

# العدل عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

( بحث استدلالي شامل وميسّر )

تأليف  
علاء الحسنون



## الفصل الأول: العدل في أفعال الله تعالى

المبحث الأول: معنى العدل

المبحث الثاني: أدلة عدم فعله تعالى للقيح

المبحث الثالث: مناقشة رأي الأشاعرة حول فعله تعالى للقيح

المبحث الرابع: قوة الله تعالى على فعل القبيح

المبحث الخامس: عدم فعله تعالى للظلم

## الفصل الثاني: الحسن والقبح العقليّان

المبحث الأول: معنى الحسن والقبح

المبحث الثاني: أقسام الفعل من حيث الاتّصاف بالحسن والقبح

المبحث الثالث: أنحاء اتّصاف الأفعال بالحسن والقبح

المبحث الرابع: إطلاقات الحسن والقبح

المبحث الخامس: نقطة الخلاف بين العدلية والأشاعرة

المبحث السادس: رأي العدلية ( القائلين بالحسن والقبح العقليّين )

المبحث السابع: أدلة ثبوت الحسن والقبح العقليّين

المبحث الثامن: إثبات الحسن والقبح العقليّين في القرآن الكريم

المبحث التاسع: رأي الأشاعرة حول حسن وقبح الأفعال

المبحث العاشر: أدلة الأشاعرة على إنكار الحسن والقبح العقليّين ومناقشتها

المبحث الحادي عشر: أقوال بعض أهل السنة

## الفصل الثالث: وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

المبحث الأول: معنى الغرض والغاية

المبحث الثاني: وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

المبحث الثالث: أدلة وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

المبحث الرابع: غرض وغاية الله تعالى من خلق الإنسان  
المبحث الخامس: مناقشة رأي الأشاعرة حول غرض وغاية الفعل الإلهي

### الفصل الرابع: الشرور والآلام

المبحث الأول: معنى الشر  
المبحث الثاني: أقسام الشر  
المبحث الثالث: الآلام وأوجه حسنها وقبحها  
المبحث الرابع: حكمة الشرور والآلام  
المبحث الخامس: إيلام غير المكلفين

### الفصل الخامس: العوض

المبحث الأول: معنى العوض  
المبحث الثاني: مولد استحقاق العوض  
المبحث الثالث: الجهات المعوضة  
المبحث الرابع: أنواع المستحق للعوض  
المبحث الخامس: خصائص العوض

### الفصل السادس: القضاء والقدر

المبحث الأول: خصائص مسألة القضاء والقدر  
المبحث الثاني: النهي عن الخوض في القضاء والقدر وأسباب ذلك  
المبحث الثالث: معنى القضاء والقدر (في اللغة)  
المبحث الرابع: معنى القضاء والقدر (في الاصطلاح العقائدي)  
المبحث الخامس: تفسير القضاء والقدر وفق نظام الأسباب  
المبحث السادس: الرضا بقضاء الله تعالى وقدره  
المبحث السابع: أقسام القضاء والقدر  
المبحث الثامن: خصائص القضاء والقدر  
المبحث التاسع: الفهم الخاطيء للقضاء والقدر

## الفصل السابع: الجبر والتفويض

المبحث الأول: معنى الجبر والاختيار

المبحث الثاني: مذهب الجبرية

المبحث الثالث: أقسام الجبر

المبحث الرابع: الأدلة المبطلّة للجبر والمثبتة للاختيار

المبحث الخامس: أدلة القول بالجبر والوردّ عليها

المبحث السادس: رأي الأشاعرة حول خلق الله لأفعال العباد

المبحث السابع: الاستطاعة وأثر قوة الإنسان في أفعاله عند الأشاعرة

المبحث الثامن: الكسب عند الأشاعرة

المبحث التاسع: رأي المعتزلة حول أفعال العباد

المبحث العاشر: التفويض عند المعتزلة

المبحث الحادي عشر: مناقشة نظرية التفويض

المبحث الثاني عشر: القولية

المبحث الثالث عشر: أفعال العباد عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

المبحث الرابع عشر: الأمر بين الأمرين

## الفصل الثامن: التكليف

المبحث الأول: معنى التكليف

المبحث الثاني: متعلّق التكليف

المبحث الثالث: حسن التكليف

المبحث الرابع: وجوب التكليف من الله تعالى للعباد

المبحث الخامس: غرض التكليف

المبحث السادس: شروط حسن التكليف

المبحث السابع: تكليف من لم تتمّ عليهم الحجّة في الدنيا

المبحث الثامن: التكليف بما لا يطاق

## الفصل التاسع: الثواب والعقاب

المبحث الأول: معنى الثواب والعقاب

المبحث الثاني: استحقاق الثواب والعقاب

المبحث الثالث: نوام أو انقطاع الثواب والعقاب

المبحث الرابع: التناسب بين الذنوب والعقاب الأخروي

المبحث الخامس: مناقشة رأي الأشاعرة حول الثواب والعقاب

### الفصل العاشر: اللطف

المبحث الأول: معنى اللطف

المبحث الثاني: أقسام اللطف

المبحث الثالث: وجوب اللطف

المبحث الرابع: أثر اللطف

المبحث الخامس: تنبيهات حول اللطف

المبحث السادس: اللطف والمفسدة

المبحث السابع: الإشارة إلى اللطف الإلهي في القرآن الكريم

المبحث الثامن: مناقشة رأي الأشاعرة حول اللطف الإلهي

### الفصل الحادي عشر: الأصلح

المبحث الأول: معنى الأصلح

المبحث الثاني: وجوب فعل الأصلح

المبحث الثالث: الأصلح في خلق العالم

### الفصل الثاني عشر: الهداية والإضلال

المبحث الأول: معنى الهداية

المبحث الثاني: الهداية الإلهية العامة

المبحث الثالث: الهداية الإلهية الخاصة

المبحث الرابع: معنى الإضلال

المبحث الخامس: نسبة إضلال العباد إلى الله تعالى

### الفصل الثالث عشر: الأجل

المبحث الأول: معنى الأجل

المبحث الثاني: أقسام الأجل

المبحث الثالث: ما يزيد وينقص الأجل

المبحث الرابع: أجل المقتول لو لم يقتل

## الفصل الرابع عشر: الرزق

المبحث الأول: معنى الرزق

المبحث الثاني: إطلاق وصف "الرزق" على الله تعالى وغيره

المبحث الثالث: الرزق والملك

المبحث الرابع: لا يصح تسمية الحوام بوزق

المبحث الخامس: أقسام الرزق

المبحث السادس: طلب الرزق

المبحث السابع: الرزق والتوكّل

المبحث الثامن: الرزق والقسمة

المبحث التاسع: زيادة الرزق

المبحث العاشر: السعر

الفهرس الإجمالى

الفهرس التفصلى

كلمة المجمع

مقدمة المؤلف :

## الفصل الأول: العدل في أفعال الله تعالى

**المبحث الأول: معنى العدل**

معنى العدل (في اللغة)

معنى العدل (في الاصطلاح العقائدي) :

معنى التقويه

معنى الفعل القبيح

معنى الفعل الواجب

معنى الوجوب على الله تعالى

الآيات القوانية المتضمنة لمعنى الوجوب على الله تعالى

دليل عدم إخلاله تعالى بالواجب

معنى العدل الإلهي في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

تتبيهاات

الفرق بين "العدل" و "المسواة"

لماذا اعتبر العدل أصلا من أصول مذهب التشيع ؟

**المبحث الثاني: أدلة عدم فعله تعالى للقبيح**

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

الدليل الرابع



المبحث الثالث: مناقشة رأي الأشاعرة حول فعله تعالى للقبیح

الدليل الأول

الدليل الثاني

المبحث الرابع: قوة الله تعالى على فعل القبیح

أدلة قوته تعالى على فعل القبیح

مناقشة رأي القائلين بعدم قوة الله على فعل القبیح

المبحث الخامس: عدم فعله تعالى للظلم

معنى الظلم

أدلة عدم فعله تعالى للظلم

نفي الظلم عن الله تعالى في الوآن الكريم

## الفصل الثاني: الحسن والقبیح العقليّان

المبحث الأول: معنى الحسن والقبیح

معنى الحسن والقبیح (في اللغة)

معنى الحسن والقبیح (في الاصطلاح العقائدي)

صلة المدح والذم بالثواب والعقاب الأخروي

الرأي الأول

الرأي الثاني

المبحث الثاني: أقسام الفعل من حيث الاتّصاف بالحسن والقبیح

تنبيهان

المبحث الثالث: أنحاء اتّصاف الأفعال بالحسن والقبیح

**المبحث الرابع: إطلاقات الحسن والقبح**

الإطلاق الأول: الكمال والنقص

الإطلاق الثاني: ما يلائم الطبع وما يناؤه

الإطلاق الثالث: ما يوافق الغرض والمصلحة وما يخالفها

الإطلاق الرابع: ما تعلّق به مدح الشروع وما تعلّق به ذم الشروع

الإطلاق الخامس: ما هو حسن ذاتاً وما هو قبيح ذاتاً

**المبحث الخامس: نقطة الخلاف بين العدلية والأشاعرة**

الاختلاف الأول

الاختلاف الثاني

الاختلاف الثالث

**المبحث السادس: رأي العدلية ( القائلين بالحسن والقبح العقليين )**

أقسام الفعل

القسم الأول

قوة العقل على معرفة الحسن والقبح الذاتيين لهذه الأفعال

القسم الثاني

تنبيهات

ثورة رأي العدلية (القائلين بالحسن والقبح العقليين)

**المبحث السابع: أدلة ثبوت الحسن والقبح العقليين**

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

الدليل الرابع

الدليل الخامس

الدليل السادس

المبحث الثامن: إثبات الحسن والقبح العقليين في القرآن الكريم

المبحث التاسع: رأي الأشاعرة حول حسن وقبح الأفعال

وَأولاً

ثانياً

المبحث العاشر: أدلة الأشاعرة على إنكار الحسن والقبح العقليين ومناقشتها

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

الدليل الرابع

الدليل الخامس

الدليل السادس

الدليل السابع

المبحث الحادي عشر: أقوال بعض أهل السنة

الفصل الثالث: وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

المبحث الأول: معنى الغرض والغاية

معنى الغرض والغاية (في اللغة)

معنى الغرض والغاية (في الاصطلاح العقائدي)

تتبيه

المبحث الثاني: وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

تتبيهات

## المبحث الثالث: أدلة وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

الأدلة العقلية

الآيات القوانية الدالة على وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

القسم الأول: الآيات العامة

القسم الثاني: الآيات الخاصة

## المبحث الرابع: غرض وغاية الله تعالى من خلق الإنسان

1 . الرحمة

2 . العبادة

3 . المعرفة

4 . إظهار قدرته وحكمته

تنبيهان

## المبحث الخامس: مناقشة رأي الأشاعرة حول غرض وغاية الفعل الإلهي

رأي الأشاعرة

أدلة الأشاعرة

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

الدليل الرابع

الدليل الخامس

رأي التفنناني حول وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

يلاحظ عليه

تنبيه

## المبحث الأول: معنى الشر

معنى الشر (في اللغة)

معنى الشر (في الاصطلاح العقائدي)

## المبحث الثاني: أقسام الشر

القسم الأول: الشر الحقيقي

أمثلة عدمية الشر الحقيقي

ثورة نظرية عدمية الشرور

تقييم نظرية الثبوتية حسب القول بعدمية الشر

القسم الثاني: الشر القياسي

تبيين كيفية اتّصاف الموجودات بالشر

أقسام الصفات

خصائص الصفات الحقيقية

مثال الصفات الحقيقية

خصائص الصفات القياسية

مثال الصفات القياسية

نوعية "الشر" في الأشياء المتّصفة بالشر

تنبيهات حول الشرور

## المبحث الثالث: الآلام وأوجه حسنها وقبحها

أوجه حسن الألم

أوجه قبح الألم

الآلام الصائفة من قبل الله تعالى

أوجه حسن الألم الصادر من قبل الله تعالى

## المبحث الرابع: حكمة الشرور والآلام

## المبحث الخامس: إيلام غير المكلفين

## الفصل الخامس: العِوض

المبحث الأول: معنى العِوض

توضيح قيود معنى العِوض

المبحث الثاني: مورد استحقاق العِوض

الأول: أن يؤلم الإنسان نفسه

الثاني: أن يؤلم الإنسان غيره

المبحث الثالث: الجهات المعوّضة

المبحث الرابع: أنواع المستحق للعوض

المبحث الخامس: خصائص العِوض

## الفصل السادس: القضاء والقدر

المبحث الأول: خصائص مسألة القضاء والقدر

المبحث الثاني: النهي عن الخوض في القضاء والقدر وأسباب ذلك

النهي عن الخوض في القضاء والقدر

أسباب النهي عن الخوض في القضاء والقدر

الرأي الأول

الرأي الثاني

الرأي الثالث

### المبحث الثالث: معنى القضاء والقدر (في اللغة)

معنى القضاء (في اللغة)

معنى القدر (في اللغة)

أنواع التقديرات الإلهية

### المبحث الرابع: معنى القضاء والقدر (في الاصطلاح العقائدي)

الرأي الأول

أقوال العلماء المؤيدين لهذا الرأي

عمل الملائكة

الرأي الثاني

أدلة هذا الرأي

أقوال العلماء المؤيدين لهذا الرأي

الرأي الثالث

### المبحث الخامس: تفسير القضاء والقدر وفق نظام الأسباب

معنى القضاء

معنى القدر

معنى القضاء والقدر الإلهي في أفعال العباد

معنى القضاء الإلهي في أفعال العباد

الأدلة الروائية المؤيدة لهذا الرأي

بعض السنن الإلهية المذكورة في القرآن الكريم

ضرورة التمسك بنظام الأسباب

ثروات الإيمان بالقضاء والقدر المفسر وفق نظام الأسباب

آداب التمسك بنظام الأسباب

القول باستقلال نظام الأسباب

### المبحث السادس: الرضا بقضاء الله تعالى وقدره

وجوب الرضا بقضاء الله وقدره

توضيحات

**المبحث السابع: أقسام القضاء والقدر**

التقسيم الأول: القضاء والقدر العلمي والعيني

التقسيم الثاني: القضاء والقدر التكويني والتشريعي

**المبحث الثامن: خصائص القضاء والقدر**

معنى خلق الله للقضاء والقدر

أدلة تقدم القدر على القضاء

**المبحث التاسع: الفهم الخاطئ للقضاء والقدر**

تشويه مفهوم القضاء والقدر

الفهم الخاطئ للقضاء والقدر

تبعات الفهم الخاطئ للقضاء والقدر

تتبعات

معالجة الفهم الخاطئ للقضاء والقدر

**الفصل السابع: الجبر والتفويض**

**المبحث الأول: معنى الجبر والاختيار**

معنى الجبر (في اللغة)

معنى الجبر (في الاصطلاح العقائدي)

معنى الاختيار (في اللغة والاصطلاح العقائدي)

**المبحث الثاني: مذهب الجوية**

أول طائفة إسلامية قالت بالجبر

نوافع القول بالجبر



**المبحث الثالث: أقسام الجبر**

1 . الجبر الديني

2 . الجبر الفلسفي

3 . الجبر المادي

توضيح الجبر المادي

العوامل المكوّنة لشخصية الإنسان

**المبحث الرابع: الأدلة المبطلّة للجبر والمثبتة للاختيار**

الأدلة المبطلّة للجبر

1 . بطلان الشوايع والتكليف

2 . سقوط الثواب والعقاب

3 . التسلوي بين المحسن والمسيئ

4 . عبثية التّوغيّب والتخويف

5 . عبثية مساعي المويّبين

6 . نسبة الظلم إلى الله تعالى

7 . احتجاج العاصي على الله تعالى

الأدلة المثبتة للاختيار

ردّ القوّان الكريم على القائلين بالجبر

بعض الآيات القوّانية النافية للجبر والمثبتة للاختيار

بعض الأحاديث الشريفة المبطلّة للجبر والمثبتة للاختيار

أثر الاختيار في أفعال الإنسان

**المبحث الخامس: أدلة القول بالجبر والودّ عليها**

الدليل الأوّل

الدليل الثاني

النتيجة

أمثلة عدم تأثير العلم في المعلوم

**المبحث السادس: رأي الأشاعرة حول خلق الله لأفعال العباد**

أدلة الأشاعرة على خلقه تعالى لأفعال العباد

الدليل الأول

آيات قرآنية أخرى استدلت بها الأشاعرة على خلقه تعالى لأفعال العباد

الدليل الثاني

الدليل الثالث

الدليل الرابع

الدليل الخامس

**المبحث السابع: الاستطاعة وأثر قوة الإنسان في أفعاله عند الأشاعرة**

رأي الأشاعرة حول قوة العبد في أفعاله

خلاصة رأي الأشاعرة

أدلة الأشاعرة على نفي تأثير قوة العبد

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

**المبحث الثامن: الكسب عند الأشاعرة**

خلاصة رأي الأشاعرة حول أفعال العباد

ردّ نظرية الكسب عند الأشاعرة

دور قوة الإنسان في الكسب عند الأشاعرة

نفي تأثير قوة الإنسان

آراء بعض أهل علماء السنة القائلين بتأثير قوة العبد

**المبحث التاسع: رأي المعتزلة حول أفعال العباد**

قول القاضي عبد الجبار المعتزلي

## المبحث العاشر: التفويض عند المعقولة

معنى التفويض (في اللغة)

معنى التفويض (في الاصطلاح العقائدي)

نظرية التفويض

من نوافع القول بالتفويض

## المبحث الحادي عشر: مناقشة نظرية التفويض

أدلة التفويض

أساس نظرية التفويض

الآثار السلبية لنظرية التفويض

ردّ التفويض في الوآن الكريم

الآيات الدالة على تصرفه تعالى في أمور عباده

ردّ التفويض في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

## المبحث الثاني عشر: القرية

من هم القرية ؟

أدلة نسبة القرية إلى القائلين بالقدر (الجبرية)

أدلة نسبة القرية إلى النافين للقدر (المفوضة)

وجه تشبيه المجرة بالمجوس

وجه تشبيه المفوضة بالمجوس

القرية في الأحاديث الشريفة

الأحاديث الدالة على أنّ القرية هم المجرة

الأحاديث الدالة على أنّ القرية هم المفوضة

## المبحث الثالث عشر: أفعال العباد عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) حول خلق أفعال العباد

تنبيه مهم

الأوّل: إيجاد "شيء" من "لا شيء"

من الآيات القوانية المشوة إلى هذا الخلق  
الثاني: الخلق بمعنى التقدير والتصوير والصنع ، من قبيل القيام بتوكيب مجموعة  
من الآيات القوانية المشوة إلى هذا الخلق  
النتيجة

أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول أفعال العباد  
رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) حول قوة العبد  
أقوال أئمة أهل البيت حول قوة العبد  
خصائص قوة الإنسان  
رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) حول نسبة أفعال العبد إلى الله تعالى

### المبحث الرابع عشر: الأمر بين الأمرين

خصائص مقولة "الأمر بين الأمرين"

أهم معاني الأمر بين الأمرين

المعنى الأول

المعنى الثاني

المعنى الثالث

المعنى الرابع

أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول معنى الأمر بين الأمرين

## الفصل الثامن: التكليف

### المبحث الأول: معنى التكليف

معنى التكليف (في اللغة)

معنى التكليف (في الاصطلاح العقائدي)

توضيح قيود معنى التكليف

### المبحث الثاني: متعلق التكليف

وَأولاً: علم

ثانياً: ظن

ثالثاً: عمل

### المبحث الثالث: حسن التكليف

دليل حسن التكليف

وجه حسن التكليف

معنى التعريض

### المبحث الرابع: وجوب التكليف من الله تعالى للعباد

أدلة وجوب التكليف من الله تعالى للعباد

### المبحث الخامس: غرض التكليف

حديث شريف

انقطاع التكليف

إشكال وردّ

النتيجة

### المبحث السادس: شروط حسن التكليف

شروط التكليف

شروط المكفّ

شروط المكفّ

أقسام الجاهل بالتكليف

حكم الجاهل بالتكليف

### المبحث السابع: تكليف من لم تتمّ عليهم الحجّة في الدنيا

أحاديث شريفة

تنبيهات

تكليف ولد الوّنا

## المبحث الثامن: التكليف بما لا يطاق

أدلة قبح التكليف بما لا يطاق

نفي التكليف بما لا يطاق في الوآن الكريم

نفي التكليف بما لا يطاق في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

رأي الأشاعرة حول التكليف بما لا يطاق

الآيات الوآنية التي استدل بها القائلون بجواز التكليف بما لا يطاق

## الفصل التاسع: الثواب والعقاب

### المبحث الأول: معنى الثواب والعقاب

### المبحث الثاني: استحقاق الثواب والعقاب

موجبات استحقاق الثواب

الفرق بين استحقاق المدح واستحقاق الثواب

استحقاق الثواب

تأجيل الثواب الإلهي

موجبات استحقاق العقاب

الفرق بين استحقاق الذم واستحقاق العقاب

### المبحث الثالث: نوام أو انقطاع الثواب والعقاب

نوام أو انقطاع الثواب

الطريق إلى معرفة نوام الثواب

نوام أو انقطاع العقاب

دليل انقطاع عقاب المعاصي

الطريق إلى معرفة نوام وانقطاع العقاب

الخلود في العذاب

## المبحث الرابع: التناسب بين الذنوب والعقاب الأخروي

أنواع العقوبات

وَأولاً: العقوبة الاعتبالية

فائدة العقوبة الاعتبالية

التناسب بين المخالفة والعقوبة الاعتبالية

ثانياً: العقوبة السببية

ثالثاً: العقوبة التكوينية

الشواهد القوانية

التناسب بين المخالفة والعقوبة التكوينية

الغرض الإلهي من العقاب الأخروي

## المبحث الخامس: مناقشة رأي الأشاعرة حول الثواب والعقاب

أقوال بعض علماء أهل السنة

ورد عليه

## الفصل العاشر: اللطف

المبحث الأول: معنى اللطف

معنى اللطف (في اللغة)

معنى اللطف (في الاصطلاح العقائدي)

الشروط الأساس في اللطف (بمعناه العقائدي)

الصلة بين "اللطف" وبين "التوفيق" و"العصمة"

المبحث الثاني: أقسام اللطف

المبحث الثالث: وجوب اللطف

دليل وجوب اللطف

تتبيه

المبحث الرابع: أثر اللطف

تفريعات ذلك

المبحث الخامس: تنبيهات حول اللطف

المبحث السادس: اللطف والمفسدة

المبحث السابع: الإشارة إلى اللطف الإلهي في القرآن الكريم

المبحث الثامن: مناقشة رأي الأشاعرة حول اللطف الإلهي

ورد عليه

## الفصل الحادي عشر: الأصلح

المبحث الأول: معنى الأصلح

معنى الأصلح (في اللغة)

معنى الأصلح (في الاصطلاح العقائدي)

المبحث الثاني: وجوب فعل الأصلح

الآراء حول وجوب أو عدم وجوب فعله تعالى للأصلح

الرأي الأول: عدم وجوب فعله تعالى للأصلح

الرأي الثاني: وجوب فعله تعالى للأصلح

المبحث الثالث: الأصلح في خلق العالم

الأدلة المثبتة للنظام الأحسن



## الفصل الثاني عشر: الهداية والإضلال

### المبحث الأول: معنى الهداية

معنى الهداية (في اللغة)

معنى الهداية (في الاصطلاح العقائدي)

### المبحث الثاني: الهداية الإلهية العامة

أقسام الهداية الإلهية

خصائص الهداية الإلهية العامة

أقسام الهداية الإلهية العامة

الهداية التكوينية

خصائص الهداية التكوينية

بعض الآيات القوانية الدالة على الهداية التكوينية

أمثلة الهداية التكوينية

وَأولاً. الهداية التكوينية في الإنسان

ثانياً الهداية التكوينية في الحيوانات

ثالثاً الهداية التكوينية في النباتات

رابعاً الهداية التكوينية في الجمادات

الهداية التشريعية

خصائص الهداية التشريعية

بعض الآيات القوانية الدالة على الهداية التشريعية

### المبحث الثالث: الهداية الإلهية الخاصة

مستحي الهداية الإلهية الخاصة

مولزين المشيئة الإلهية في هداية عباده بالهداية الخاصة

الآيات القوانية الدالة على عدم مشيئة الله إجبار العباد على الهداية

الود الإلهي على المشركين الذين نسوا شوكهم إلى مشيئة الله تعالى

الآيات القوانية الدالة على حرّية مشيئة الإنسان في اختيار الإيمان أو الكفر  
معاني أُخرى للهداية الإلهية الخاصة  
معاني الهداية التي يصح نسبتها إلى الله تعالى  
المعنى الأوّل: الإِثابة  
المعنى الثاني: إثبات الهداية والحكم بها  
المعنى الثالث: الإرشاد إلى الجنة  
معاني الهداية التي لا يصح نسبتها إلى الله تعالى  
المعنى الأوّل: إيصال الإنسان إلى الهداية إجباراً  
المعنى الثاني: خلق الهداية في الإنسان

**المبحث الرابع: معنى الإِضلال**  
معنى الإِضلال (في اللغة)

**المبحث الخامس: نسبة إضلال العباد إلى الله تعالى**  
مستحقّي هذا النوع من الإِضلال  
موزّين مشيئته تعالى في إضلال العباد وحرمانهم من الهداية الخاصة  
معاني الإِضلال التي لا يصح نسبتها إلى الله تعالى

## الفصل الثالث عشر: الأجل

**المبحث الأوّل: معنى الأجل**  
معنى الأجل (في اللغة)  
معنى الأجل اصطلاحاً

**المبحث الثاني: أقسام الأجل**

1. أجل محتوم
2. أجل غير محتوم (أجل موقوف)

## المبحث الثالث: ما يزيد وينقص الأجل

المبحث الرابع: أجل المقتول لو لم يقتل وأجل الميت بسبب لو لم يميت بذلك السبب

الرأي الأول

الرأي الثاني

الرأي الثالث

## الفصل الرابع عشر: الرزق

### المبحث الأول: معنى الرزق

معنى الرزق ( باعتباره عنواناً للشيء الذي ينتفع به المرزوق )

معنى الرزق ( باعتباره مصوراً لفعل رزق بـرزق )

تنبيهان

### المبحث الثاني: إطلاق وصف "الرزق" على الله تعالى وغيره

إطلاق وصف الرزق على الله تعالى

إطلاق وصف الرزق على غير الله تعالى

الله تعالى هو الرزق على الإطلاق

شروط صحة وصف الإنسان بالرزق

### المبحث الثالث: الرزق والملك

النسبة بين الرزق والملك

### المبحث الرابع: لا يصح تسمية الحوام بـرزق

أدلة عدم صحة تسمية الحوام بـرزق

رأي الأشاعرة حول تسمية الحوام بـرزق

### المبحث الخامس: أقسام الرزق

من أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول أقسام الرزق  
القسم الأول: الرزق الذي يحصل عليه الإنسان من دون طلب  
القسم الثاني: الرزق الذي لا يحصل عليه الإنسان إلا بطلب  
القاعدة العامة

### المبحث السادس: طلب الرزق

أحكام طلب الرزق

من الآيات القوانية التي حثت على طلب الرزق  
من الأحاديث الشريفة التي حثت على طلب الرزق وذممت تركه  
من آداب طلب الرزق "الإجمال في الطلب"

### المبحث السابع: الرزق والتوكل

### المبحث الثامن: الرزق والقسمة

معنى القسمة العامة

معنى القسمة الخاصة

بعض الآيات القوانية المشورة إلى القسمة الخاصة  
بعض الأحاديث الشريفة الواردة حول القسمة في الرزق  
رضا الإنسان بما قسم الله له من الرزق

1 . الرضا بالقسمة العامة

2 . الرضا بالقسمة الخاصة

بعض الأحاديث الشريفة الواردة حول الرضا بالقسمة  
معنى بعض الآيات الواردة حول الرزق الإلهي

### المبحث التاسع: زيادة الرزق

تنبيهان

الحرص لا يزيد الرزق

الفرق بين "الحرص" و"السعي"

المؤثرات في زيادة الرزق

وأولاً: المؤثرات المادية

ثانياً: المؤثرات المعنوية

### المبحث العاشر: السعر

معنى السعر

أقسام السعر

المسبب للوخص والغلاء

من الأحاديث الشريفة الدالة على التدخّل الإلهي في مسألة الأسعار

من الأحاديث الشريفة الدالة على دور العباد في مسألة الأسعار



اسم  
الكتاب:  
العدل  
عند  
مذهب  
أهل  
البيت(عليهم  
السلام)  
المؤلف:  
علاء  
الحسون  
(تبريزيان)  
الموضوع:  
العقائد،  
الكلام  
الناشر:  
المعاونة  
الثقافية  
للمجمع  
العالمي  
لأهل  
البيت(عليهم  
السلام)  
الطبعة:  
الأولى  
المطبعة:  
لبلى  
الكمية:  
3000  
تاريخ  
النشر:  
1429  
هـ  
ISBN:  
978-  
964-  
529-  
316-  
9  
حقوق  
الطبع  
والترجمة  
محفوظة  
للمجمع  
العالمي  
لأهل  
البيت(عليهم  
السلام)  
الموقع  
على  
الإنترنت  
:  
www.ahl-  
bayt.org  
البريد  
الإلكتروني  
:

## العدل عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

### كلمة المجمع

إنّ واث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختونته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تويي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدم للامة الإسلامية كبار العلماء المحتدين لخطى أهل البيت (عليهم السلام) الوسالية، مستوعبين إثرات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخرجها، مقدمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية. وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام). منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه. للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبب عليها أبواب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المنوئة للإسلام، مقتنياً خطى أهل البيت (عليهم السلام) أتباع مدرستهم الوشيدة التي حرصت في الود على التحديات المستورة، وحاولت أن تبقى على النوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجرب التي تحونها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والوهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من نوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجرب الغنية من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، أو من الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام

المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً؛ لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتفتتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الوسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سوي وفريد.

وننقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ علاء الحسن لتأليفه هذا الكتاب، ولكل الإخوة الذين ساهموا في إخواجه. وكلنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداء لبعض ما علينا تجاه رسالة ربنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظوه على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

## المقدمة

### مقدمة المؤلف :

يمتاز موضوع العدل الإلهي بأهمية فائقة نتيجة تأثره البالغ في بلورة رؤيتنا حول التعامل الإلهي معنا وتحديد العلاقة فيما بيننا وبين الله تعالى ، وتوكله الآثار الواضحة في مختلف جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية .  
وقد تعرّض موضوع العدل الإلهي . للأسف الشديد . إلى هجمات مغرضة من قبل بعض السلطات الجائرة التي هيمنت على العالم الإسلامي في العصور السابقة ، وقد تركت هذه الهجمات الآثار السيئة في عقول ونفوس المسلمين نتيجة وقوعهم في التفسّوات الخاطئة لكيفية التعامل الإلهي مع الإنسان .

وقد وقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بوجه هذه التيارات المنحرفة التي استهدفت العدل الإلهي وأشاعت مفهوم الجبر بين الناس ، واهتم أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام). اقتداءً بسبوة أئمتهم الهداة، واعتماداً على كلماتهم النورانية . بمسألة إصلاح الرؤية الخاطئة حول العدل الإلهي ، وأكّنوا على تويبه الله تعالى عما لا يليق بشأنه حتى أصبح موضوع العدل الإلهي . بمرور الزمان . أصلاً من أصول الدين عندهم .

وقد اهتم علماء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) . على مرّ العصور . بهذا الموضوع في مصنفاتهم ، وتناولوه من جميع الجوانب ، وحاولوا تأسيس الإيمان بالله على ضوء قواعد معرفية متينة وإشاعة الفهم الصحيح لموضوع العدل الإلهي من أجل صيانة أبناء المجتمع من العقائد الضالّة والاختراقات الفكرية المنحرفة ، ولتكون علاقتهم مع ربهم قائمة على أسس عقائدية مبتنية على أدلة وواهبين ساطعة .

ولكن المشكلة التي نعاني منها . في يومنا هذا . هي أنّ المفاهيم المطروحة حول موضوع العدل الإلهي في كتب هؤلاء العلماء على رغم امتلاكها القيمة العلمية الكبيرة ، فإنّها مؤلّفة بلغة زمانها ومدوّنة وفق المناهج السائدة في عصورها . ولهذا تطلّب الأمر . في مرحلتنا الراهنة . القيام بإعادة صياغة هذه المفاهيم

وتبيينها وفق عرض جديد ومحاولة تطورها بقدر الإمكان لتكون غذاءً فكرياً مناسباً لمتطلّبات واحتياجات العصر ، ولتكون زاداً علمياً منسجماً مع أجواء الساحة العلمية والفكرية المعاصرة .

ولهذا الغرض تمّ تأليف هذا الكتاب ، فهو محاولة لعرض المواضيع العقائدية المرتبطة بمفهوم العدل الإلهي بلغة واضحة وسهلة وميسّرة وبعيدة عن الالتواء والتعقيد ، وعلى شكل فوات موجزة ونقسيّات واضحة تساعد القارئ على فهم المواضيع المطروحة بسهولة ، وتشوّقه لمتابعة البحث ، وتأخذ بيده ليندمج مع التفاصيل من نون تكلف .



وقد تضمّن هذا الكتاب أهم المواضيع العقائدية المرتبطة بالعدل الإلهي .

وهي حسب ترتيب عرضها في هذا الكتاب :

الفصل الأول: العدل في أفعال الله تعالى.

الفصل الثاني: الحسن والقبح العقليّان .

الفصل الثالث: وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى .

الفصل الرابع: الشرور والآلام .

الفصل الخامس: العوض .

الفصل السادس: القضاء والقدر .

الفصل السابع: الجبر والتفويض .

الفصل الثامن: التكليف .

الفصل التاسع: الثواب والعقاب .

الفصل العاشر: اللطف .

الفصل الحادي عشر: الأصلح .

الفصل الثاني عشر: الهداية والإضلال .

الفصل الثالث عشر: الأجل .

الفصل الرابع عشر: الرزق .

---

الصفحة 11

وسيشعر القارئ خلال نظراته الأولى إلى المواضيع المطروحة في هذا الكتاب بأن رغبته لمطالعة بعض الفصول أكثر من غيرها ، بل قد تكون رغبته في الفصل الواحد متّجهة لبعض المباحث دون غيرها ، ولهذا أقول لكلّ من يقع هذا الكتاب بيده: لا يوجد أي داع للمواظبة على مواعاة التسلسل في مطالعة مواضيع هذا الكتاب ، بل تستطيع . أيها القارئ العزيز . أن تصفّح هذا الكتاب أو تلاحظ الفهرس فتختار الموضوع المثير لاهتمامك وتقو ما تتجه إليه رغبتك .

وفي الختام آمل أن تكون المنهجية الجديدة المتّبعة في هذا الكتاب مؤثّرة في سهولة إلمام القارئ بالمفاهيم الدينية المرتبطة

بالعدل الإلهي ، كما آمل أن تكون هذه المنهجية المتمثّلة بعرض البحوث على شكل فئات مقسّمة ومقاطع موجزة نموذجاً

لعرض بقية المواضيع العلمية بهذه الطريقة المؤدّية إلى وصول القارئ بسهولة إلى معرفة المفاهيم المطروحة .

علاء الحسون

---

الصفحة 12

---

الصفحة 13

## العدل في أفعال الله تعالى

معنى العدل

أدلة عدم فعله تعالى للقيح

مناقشة رأي الأشاعرة حول فعله تعالى للقيح

قوة الله تعالى على فعل القبيح

عدم فعله تعالى للظلم

الصفحة 14

الصفحة 15

### المبحث الأوّل

#### معنى العدل

##### معنى العدل (في اللغة) :

ورد في "لسان العرب": العَدْلُ: ما قام في النفوس أنة مستقيم ، وهو ضد الجور .  
والعدل في أسماء الله تعالى يعني الحكم بالحق . والعدل في الناس يعني المرضي قوله وحكمه <sup>(1)</sup> .

##### تنبيه :

"العَدْلُ" من أسماء الله تعالى ، وهو مصدر أقيم مقام الاسم ، والمقصود منه المبالغة في وصفه تعالى بأنة عادل ، أي:  
كثير العدل <sup>(2)</sup> .

##### معنى العدل (في الاصطلاح العقائدي) :

العدل يعني تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب <sup>(3)</sup> .

##### معنى التنزيه :

التنزيه يعني البُعد ، ويُقال: الله موزة عن القبيح ، أي: بعيد عنه <sup>(4)</sup> .

1 - انظر: لسان العرب ، ابن منظور: مادة (عدل) .

2 - انظر: مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي: 3/133 .

3- انظر: النكت الاعتقادية ، الشيخ المفيد: الفصل الثاني ، ص32.

شرح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل ، ص 83 .

قواعد العوام ، ميثم البرواني: القاعدة الخامسة ، الركن الأول ، البحث الخامس ، ص111 .

نهج الحقّ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة ، مبحث أن الله تعالى لا يفعل القبيح ، ص85 .

شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار: الأصل الثاني ، الفصل الثاني ، ص 301 .

4 - انظر: لسان العرب ، ابن منظور: مادة (زه) .

الصفحة 16

### معنى الفعل القبيح :

(1) الفعل القبيح هو الفعل الذي يستحق فاعله الذم، ويستحق تركه المدح .

### معنى الفعل الواجب :

(2) (3) الفعل الواجب هو الفعل الذي يستحق فاعله المدح، ويستحق تركه الذم .

### معنى الوجوب على الله تعالى :

إنّ قولنا "الوجوب على الله تعالى" لا يعني أن الله تعالى محكوم بأوامر غيره ، بل يعني أننا نكتشف عن طريق التدبر في صفاته تعالى أنه حكيم ، وتقتضي حكمته أن يفعل كذا ، لأنّ عدم فعله له يؤدي إلى الإخلال بحكمته (4) .

### الآيات القرآنية المتضمنة لمعنى الوجوب على الله تعالى :

1 . { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } [ الأنعام: 54 ]

أي: ووجب الله تعالى على نفسه الرحمة (5) .

2 . { وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدَ السَّبِيلِ } [ النحل: 9 ]

أي: يجب على الله تعالى بيان الطريق المستقيم للعباد (6) .

3 . { إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ } [ الليل: 12 ]

أي: يجب علينا بمقتضى العدل أن نهدي العباد إلى الحقّ ببعث الرسل ونصب الدلائل (7) .

4 . { وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ } [ النجم: 47 ]

1 و 2) انظر المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1 ، القول في العدل ، ص152 .

الاعتماد، مقدار السيوري: الركن الثاني، ص 75 .

3 - ينبغي تقييد المدح والذم في هذا المجال بموتبة خاصة لئلا يشمل المستحب .

- انظر: صواط الحقّ ، محمد آصف المحسني: ج2 ، المقصد الخامس ، القاعدة الأولى ، ص 167 .
- 4 - للزويدراجع: تلخيص المحصل ، نصير الدين الطوسي: الوكن الثالث ، القسم الثالث ، ص342 .
- 5 - انظر: المزان، محمد حسين الطباطبائي: ج7 ، تفسير آية 12 و 54 من سورة الأنعام ، ص 27 و 105 .
- 6 - انظر: تفسير القرآن الكريم، عبد الله شبرّ: تفسير آية 9 من سورة النحل .
- 7- انظر: المصدر السابق: تفسير آية 12 من سورة الليل .

الصفحة 17

أي: يجب على الله تعالى أن يجعل ذراً أخرى إضافة إلى دار الدنيا ليقع فيها الخواء والانتصاف<sup>(1)</sup> .

### دليل عدم إخلاله تعالى بالواجب :

إنّ الله تعالى لا يخل بالواجب ، لأنّ الإخلال به قبيح<sup>(2)</sup> . وسنبيّن لاحقاً أدلة عدم فعله تعالى للقبیح .

### معنى العدل الإلهي في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) :

1. قال الإمام علي(عليه السلام): "العدل أن لا تتهمه"<sup>(3)</sup> .
2. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): "أما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه"<sup>(4)</sup> .

### تنبيهات :

1. إنّ "العدل" من صفات الله "الفعلية" ، وليس من صفاته "الذاتية"<sup>(5)</sup> ، لأنّ "العدل" عيلة عن تزيه الله تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب، وهذا الأمر منوّع من مقام الفعل .

- 1 - انظر: مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج9 ، تفسير آية 47 من سورة النجم ، ص 276 .
- 2 - انظر: قواعد العوام، ميثم الجواني: القاعدة الخامسة، الوكن الأول، البحث الخامس، ص 111 .  
رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، الفصل الخامس ، البحث الثالث ، ص260 .  
الاعتماد، مقداد السيوري: الوكن الثاني، ص 75
- 3 - نهج البلاغة ، الشريف الوضي : باب المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، الحكمة 470 ، ص755 .
- 4 - التوحيد ، الشيخ الصدوق: باب 5، ح 1 ، ص 93 .
- 5 - الفوق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية:

الصفات الذاتية	الصفات الفعلية
منوّعة من الذات الإلهية	منوّعة من الأفعال الإلهية

حادثه بحدوث الأفعال الإلهية	قديمه بقديم الذات الإلهية
يصلح سلبها عنه تعالى في بعض الأحيان	لا يصلح سلبها عنه تعالى أبداً
فيقال: الله لا يخلق ولا يبرق في	فلا يقال: الله غير عالم وغير قادر في
بعض الأحيان	بعض الأحيان

انظر: الكافي، الشيخ الكليني: ج 1 ، كتاب التوحيد ، باب صفات الذات ، ص 111 .

الصفحة 18

- 2 . إنَّ العدل الإلهي صفة لكيفية تعامل الله تعالى مع الكون بما فيه الإنسان ، ولهذا اكتسبت هذه الصفة أهمية خاصة وموقعاً ممزواً ، لأنَّ بها يتم تحديد نوعية موقف تعامل الله عزَّ وجلَّ مع الإنسان .
- 3 . إنَّ "العدل الإلهي" لا يتنافى مع "حرية الله في أفعاله" .
- وليس "العدل" قيداً لأفعال الله عزَّ وجلَّ .
- لأنَّ "الحرية الإلهية" مزهة عن النقص والظلم والقبائح .
- ولا يفعل الله تعالى إلاَّ الحسن .
- ولا يضع الأمور إلاَّ في مواضعها اللاتقة بها .
- ولهذا لا يكون بين "حرية الله في أفعاله" و"العدل الإلهي" أيَّ تضاد أو تناف.

### الفرق بين "العدل" و "المساواة" :

- إنَّ "المساواة" تعني مراعاة التسوي بين طرفين أو بين عدة أطراف .
- ولكن "العدل" يعني إعطاء كلَّ ذي حقَّ حقه .

والفوق بينهما:

إنَّ أمراً من قبيل: "مراعاة الاستحقاق" و"أخذ الأولويات بنظر الاعتبار" و"إعطاء كلَّ كائن نصيبه بموجب ما يستحق":

تُشترط في "العدل" .

ولكنها لا تُشترط في "المساواة" .

مثال :

لا يعني مراعاة العدل بين تلاميذ الصف الواحد أن يُعطى الجميع درجات متساوية.

ولا يعني مراعاة العدل بين العمَّال والموظفين أن يُعطى الجميع أجوراً متساوية .

بل يعني مراعاة العدل في هذا المقام:

إعطاء كلَّ تلميذ الدرجة التي تستحقها معلوماته ولياقته العلمية .

وإعطاء كلّ عامل أجرته بحسب أهمية العمل الذي يقوم به .

### تنبيه :

إنّ الحكمة في جعل الله الاختلاف والفروق بين الناس وعدم المساواة بينهم في إعطاء المواهب والنعم هو لأنّه تعالى جعل الحياة الدنيا ذرّاً للبلاء والاختبار، فخلق نظاماً يؤديّ إلى رفع بعض الناس فوق البعض الآخر، ليبلوهم أيهمّ أحسن عملاً ، ولوى مستوى صوهم وشكوهم ومدى نجاحهم في الاختبار الإلهي .

### لماذا اعتبر العدل أصلاً من أصول مذهب التشيع ؟

الدليل الأوّل :

بالعدل يتمّ التوحيد، ومن دون إثبات العدل لا يمكن إثبات النبوة والإمامة والمعاد<sup>(1)</sup> .

قال العلامة الحليّ:

"اعلم أنّ هذا الأصل [ العدل ] عظيم تبتني عليه القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقاً ، وبدونه لا يتمّ شيء من الأديان"<sup>(2)</sup> .

### توضيح ذلك :

1 . الصلة بين "العدل" و"النبوة" :

إنّ العدل الإلهي هو الذي يقتضي:

وَألا: لرسال الله الأنبياء بالهدى ودين الحقّ .

ثانياً: وثوق الناس بولاء الأنبياء، واطمئنانهم بأنّ هؤلاء هم الذين أرسلهم الله وسددهم بالمعجز ، وأنّ هدفهم الخير

والصلاح لهم .

وولوا العدل الإلهي لأمكن القول:

1- انظر: حقّ اليقين ، عبد الله شبر: كتاب العدل، الفصل الأوّل ، ص 83 .

2- نهج الحقّ ، العلامة الحليّ: المسألة الثالثة، المبحث الحادي عشر ، ص 72 .

وَألا: قد لا يرسل الله تعالى أحداً من رسله إلى العباد، فيتوكّ الناس لشأنهم ، ثم يفعل بهم كيفما يشاء ، فيبطل أصل النبوة

ثانياً: قد يسدّد الله تعالى الكذابين والدجالين بالمعجزة، أو يرسل رسلاً من أجل إغواء العباد والقائهم في التهلكة ، فلا يمكن

بعد ذلك الوثوق بالأنبياء .

2 . الصلة بين "العدل" و "الإمامة" :

إنّ العدل الإلهي هو الذي يقتضي اصطفاء الله تعالى الأئمة والأوصياء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للحفاظ على ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصدي من بعده للقيام بالمسؤوليات التي كانت على عاتقه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما عدا النبوّة .

ولولا العدل الإلهي لجاز له تعالى أن يترك الأمة من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سدّي ، ويتركهم يتخبّطون في الضلال من دون وجود أحد يرشدهم إلى الحقّ والصواب .

3 . الصلة بين "العدل" و "المعاد" :

إنّ الاعتقاد بالعدل الإلهي هو الذي يستلزم الاطمئنان بالوعد الإلهي وتحقق المعاد واثابته تعالى للمحسن وعقوبته للمسيء في دار الآخرة.

ولولا ثبوت العدل الإلهي لم يمكن الوثوق بوعد الله تعالى ، ولأمكن القول بأنّه تعالى قد يلغي المعاد أو يقيمه ولكنه يتصرّف بالعباد كيفما يشاء ، فيلقي الأنبياء في نار جهنم ويدخل الطغاة والمجرمين في جنة النعيم ! فيبطل بذلك أصل "المعاد"

الدليل الثاني :

إنّ الأشاعرة فسروا "العدل الإلهي" بصورة تؤديّ إلى نفيه ، فوقف أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بقوة أمام هذا التفسير ، ودافعوا عن "العدل الإلهي" بحيث عرّفوا بالعدلية ، واعتبر "العدل الإلهي" أصلا من أصول مذهبهم <sup>(1)</sup> .

1 - اشتهر الخلاف حول مسألة العدل الإلهي بين المسلمين من بداية القرون الثاني للهجرة ، واستمر هذا الخلاف بحيث أصبحت هذه المسألة علامة بارزة على أنّ المعتقد بها: "شيعي" إذا كان من أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) . "معتولي" إذا كان من أتباع مذهب أهل السنة .

## المبحث الثاني

أدلة عدم فعله تعالى للقبيح

الدليل الأول :

لا يخلو الداعي إلى فعل القبيح عن أربع صور ، وهي:

الأولى: الجهل بالقبح: وهي أن يكون فاعل القبيح جاهلاً بقبح ما يفعله .

الثانية: العجز عن تركه: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله ، ولكنه عاجز عن تركه .

الثالثة: الاحتياج إليه: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله ، وغير عاجز عن تركه ، ولكنه محتاج إلى فعله .

الرابعة: فعله عبثاً: وهي أن يكون فاعل القبيح عالماً بقبح ما يفعله ، وغير عاجز عن تركه، وغير محتاج إلى فعله ، ولكنه

يفعله عبثاً .

والله سبحانه وتعالى موزة عن جميع هذه الصور (وهي الجهل والعجز والاحتياج والعبث) ، لأنه تعالى هو العالم والقادر

والغني والحكيم على الإطلاق ، فهذا يستحيل عليه فعل القبيح <sup>(1)</sup> .

وذكر معظم علماء الشيعة:

أنّ الله تعالى لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه واستغنائه عنه <sup>(2)</sup> .

1- انظر: نهج الحق ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة ، مبحث: أن الله تعالى لا يفعل القبيح ، ص 85 .

2- انظر: الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الأوّل ، ص 88 .

المسلك في أصول الدين ، المحقق الحلّي: النظر الثاني، البحث الثالث، ص 90 .

قواعد العوام ، ميثم البرقاني ، القاعدة الخامسة، الركن الأوّل ، البحث الخامس ، ص 111 .

مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الثالث ، ص 243 .

كشف الواد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، المسألة الثانية ، ص 420 .

لرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، إثبات أنّ البري لا يفعل القبيح ، ص 260 .

الصفحة 22

### تنبيه :

إنّ الله تعالى لا يفعل القبيح لعدم وجود الداعي لفعله .

أمّا فعله تعالى للحسن ، فليس الداعي احتياجه تعالى إليه ، وإنّما يفعل الله الحسن لحسنه لا للحاجة إليه <sup>(1)</sup> .

### الدليل الثاني :

إنّ الله تعالى حكيم ، وهذه الحكمة الإلهية تستلزم عدم فعله تعالى للقبيح ، لأنّ فعل القبيح لا ينسجم مع الحكمة .

### الدليل الثالث :

يؤمن فعله تعالى للقبيح عدم الجرم بصدق الأنبياء، لأنّ دليل النبوّة مبني على إظهار الله المعجزة على يد النبي، فلو كان

الله فاعلاً للقبيح ، فإنّه قد يظهر المعجزة على يد من يدعيّ النبوّة كذبا ، فلا يمكن بعد ذلك الوثوق بصحة نبوّة أيّ نبي <sup>(2)</sup> .



## الدليل الرابع :

يلزم فعله تعالى للقبیح جواز صدور الكذب منه تعالى ، لأنّ الكذب نوع من أنواع فعل القبیح ، ومنه يلزم عدم الوثوق بوعد الله ووعيده تعالى ، فينتفي الجزم بوقوع ما أخبر بوقوعه من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية<sup>(3)</sup> .

- 1 - انظر: شوح جمل العلم والعمل، الشریف المرتضى: أبواب العدل، في أنّه تعالى لا يفعل القبیح ، ص 85 .  
تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة: في كونه تعالى لا يفعل القبیح ، ص 102.  
المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: القول في العدل ، ص 161 .
- 2- انظر: مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس، البحث الثالث، ص243.  
نهج الحقّ ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة، مبحث أن الله تعالى لا يفعل القبیح ، المطلب الثالث ، ص 86 .
- 3- انظر: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد : الفصل الثاني ، ص33 .  
الرسالة السعدية، العلامة الحلّي : القسم الأوّل ، المسألة السادسة ، البحث الثاني، ص57.

ومن هنا تتنبّط غريمة الإنسان عن طاعة وأمر الله تعالى واجتناب نواهيه، وسيقول الإنسان: ما هي فائدة عبادتي لله تعالى، وقد يدخلني الله تعالى في النار رغم عبادتي له ، لأنّه يفعل ما يشاء ، ومنها فعل القبیح !

الصفحة 23

## الدليل الخامس :

يلزم من فعله تعالى للقبیح جواز وصفه تعالى بالظلم والجور والعنوان ، لأنّه تعالى لو كان فاعلا للقبیح لأمكن أن يصدر منه الظلم والجور والعنوان ، لأنّها من جملة القبائح .

## تنبيه :

بما أنّ الله تعالى مؤهّ عن فعل القبیح ، فهذا لا يصح نسبة أيّ فعل قبیح إليه تعالى ، وبما أننا نجد ارتكاب بعض العباد للأفعال القبيحة، فهذا لا يصح نسبة هذه الأفعال إلى الله تعالى ، بل ينبغي نسبتها إلى العباد ، ويكون كلّ إنسان هو المسؤول<sup>(1)</sup> عن الفعل القبیح الذي يصدر عنه .

- 1- انظر: المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في العدل ، ص 164 .

الصفحة 24

## المبحث الثالث

مناقشة رأي الأشاعرة حول فعله تعالى للقبیح

ذهب الأشاعرة إلى أنّ الله تعالى يفعل ما يشاء ، وكلّ ما يفعله الله تعالى فهو حسن ، وإنّ حكم العقل بقبح هذا الفعل <sup>(1)</sup> .

## أدلة الأشاعرة :

### الدليل الأوّل :

إنّ الفعل لا يكون قبيحاً إلاّ بعد نهي الشروع عنه ، وبما أنّ أفعال الله تعالى لا تقع في إطار أوامر ونواهي الشروع ، فهذا لا يمكن تصوّر فعل القبيح في أفعال الله تعالى .

قال أبو الحسن الأشعري:

"الدليل على أنّ كلّ ما فعله [ تعالى ] فله فعله أنّه ... لا فوقه مبيح، ولا أمر، ولا زاجر، ولا حاضر، ولا من رسم له الوسم، وحدّه له الحدود ، فإذا كان هذا هكذا لم يقبح منه شيء، إذ كان الشيء إنّما يقبح منّا لأنّا تجاوزنا ما حدّ ورسم لنا ، وأتينا ما لم نملك إتيانه ، فلمّا لم يكن البري ... تحت أمر لم يقبح منه شيء" <sup>(2)</sup> .

### يرد عليه :

1 . إنّ بعض الأفعال قبيحة بذاتها، ولا يعود منشأ قبحها إلى حكم الشروع .

وسنبحث هذا الموضوع بصورة مفصّلة في الفصل القادم .

---

1 - انظر: المواقف ، عضد الدين الإيجي : ج 3 ، الموقف 5 ، المرصد 6، المقصد 6 ، ص 283 .

شوح المقاصد، سعد الدين التفتلاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5، المبحث 4، ص294.

2 - اللمع ، أبو الحسن الأشعري: الباب السابع، ص116 .

الصفحة 25

2 . "لو كان القبيح إنّما يقبح للنهي، لوجب فيمن لا يعرف النهي ولا الناهي أن لا يعرف شيئاً من القبائح" <sup>(1)</sup> .

وبعبارة أخرى: لو كان نهي الشروع هو المنشأ الوحيد لقبح جميع الأفعال، فينبغي أن لا يعتقد منكر الشروع بقبح شيء، لأنّه لا يؤمن بالشروع فلا يكون عنده شيء قبيحاً .

ولكننا نرى غير الملتزمين بالدين . على اختلاف فصائلهم . :

يصفون بعض الأفعال بالقبح ويعتقدون بأنّهم مؤمنون بتوكها .

ويسند هؤلاء تقبيحهم إلى العقل من غير أن يكون لحكم الشروع أيّ أثر في هذا التقبيح.

3 . "لو كان القبيح يقبح للنهي ، لوجب أن يكون الحسن يحسن للأمر ، فيؤمر عليه أن لا توصف أفعاله تعالى بالحسن أيضاً،

لأنّه [ تعالى ] كما لم ينه عن شيء، [ فإنّه تعالى ] لم يؤمر بشيء" <sup>(2)</sup> .

### الدليل الثاني للأشاعرة :

"الدليل على أنّ كلّ ما فعله [ تعالى ] ، فله فعله: أنّ المالك القاهر الذي ليس بمملوك ... فإذا كان هذا هكذا لم يقبح منه شيء"<sup>(3)</sup> .

وقال الشهرستاني:

"أمّا العدل فعلى مذهب أهل السنة: أنّ الله عدل في أفعاله ، بمعنى أنّه متصوّف في ملكه وملكه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد"<sup>(4)</sup> .

بعبارة أخرى :

1- المنفذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في العدل ، ص 155 .

2- المصدر السابق .

3 - اللمع ، أبو الحسن الأشعوي: الباب السابع، ص116 .

4 - الملل والنحل ، عبد الكريم الشهرستاني: ج1، الباب الأوّل ، ص 42 .

الصفحة 26

لا يمكن تصوّر فعل القبيح بالنسبة إلى الله تعالى ، لأنّه تعالى هو المالك لكلّ شيء على الإطلاق ، ويعتبر أيّ تصوّف له تعالى في العالم، إنّما هو تصوّف في شيء يملكه ، وله أن يفعل به كيفما يشاء .

**يرد عليه :**

إنّ ملكية الشيء لا تعني امتلاك المالك حقّ التصرف بها على خلاف مؤرّين الحكمة والعدل .

ولهذا نجد العقلاء يذمّون من يلقي أمواله في البحر بلا سبب ، ويحكمون بسفاهته مع علمهم بملكيتهم لتلك الأموال .

بعبارة أخرى :

إنّ "الملكية" لا تبيح فعل القبائح العقلية أصلاً .

ولهذا يستنكر العقلاء على المالك الذي يعذب عبده بلا جهة، ويعتبرونه سفيهاً يستحق اللوم لراء فعله القبيح هذا .

والله تعالى على رغم كونه مالكا لكلّ شيء وقاوا على كلّ شيء ، ولكنه مع ذلك "حكيم"، وحكمته تزهره عن فعل القبيح .

ولهذا قال تعالى: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَوَىٰ بظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ}** [ هود: 117 ] .

الصفحة 27

**المبحث الرابع**

قدرة الله تعالى على فعل القبيح

قال الشيخ المفيد: "إنّ الله . جلّ جلاله . قادر على خلاف العدل ، كما أنّه قادر على العدل ، إلا أنّه لا يفعل جوراً ولاً

ظلماً ولا قبيحاً ، وعلى هذا جماعة الإمامية" .

### أدلة قدرته تعالى على فعل القبيح :

- 1 . إنّ الله تعالى قادر على كل مقنور ، والقبيح مقنور ، فيثبت أنه تعالى قادر على فعل القبيح <sup>(2)</sup> .
- 2 . إنّ "الفعل الحسن" من جنس "الفعل القبيح" ، والقادر على أحد الجنسين يكون قانواً على الآخر <sup>(3)</sup> .

مثال :

ألف . إنّ قعود الإنسان في دار غره غصباً من جنس قعوده فيها باذن مالكها ، ولكن أحدهما قبيح والآخر حسن .  
ب . إنّ الله تعالى قادر . بلا خلاف . على معاقبة العاصي ، ولا يخفى بأن هذه القوة لم تتحقق عند وقوع المعصية من المكلف ، بل كان الله تعالى قانواً على

1 - أوائل المقالات ، الشيخ المفيد: قول 24، ص 56 .

2 - انظر: شوح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: باب ما يجب اعتقاده في أبواب العدل ، ص 83 . 84 .

المسلك في أصول الدين ، المحقق الحلّي: النظر الثاني ، البحث الثالث ، ص 88 .

3 - انظر: الملخص ، الشريف المرتضى: الجزء الثاني ، باب الكلام في العدل ، ص 325 .

الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثاني ، الفصل الأول ، ص 88 .

تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة في كونه تعالى قانواً على القبيح ، ص 99 .

الصفحة 28

المعاقبة قبل ذلك ، وعقوبته تعالى قبل ذلك من جملة الأفعال القبيحة، فثبت أنه تعالى قادر على فعل القبيح <sup>(1)</sup> .

3 . إنّنا قادرون على فعل القبيح ، والله تعالى أقدر منا في جميع الأحوال ، فيثبت بذلك أنه تعالى قادر على فعل القبيح <sup>(2)</sup> .

### مناقشة رأي القائلين بعدم قوة الله على فعل القبيح :

ذهب البعض إلى أنّ الله تعالى غير قادر على فعل القبيح ، لأنّه تعالى لو كان قانواً على فعل القبيح لصح منه فعله ،  
وصحة فعل القبيح منه تعالى دليل على اتّصافه تعالى بالجهل والاحتياج، وهو مزوّ عن ذلك <sup>(3)</sup> .

يرد عليه :

1 . إنّ امتلاك القوة على فعل معين لا يدل على أنّ صاحب تلك القوة سيستخدم قدرته في القيام بذلك الفعل .

وإنّما الفعل يتبع الإرادة والاختيار ووجود الداعي و ... .

والله تعالى حكيم، وتمنعه حكمته من فعل القبيح على الرغم من امتلاكه القوة عليه .

2 . إنّ الاتّصاف بالجهل والاحتياج يكون مع "فعل القبيح" لا مع "امتلاك القوة

- 
- 1 - انظر: الملخص ، الشريف المرتضى: الجزء الثاني ، باب الكلام في العدل ، ص325 .  
الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثاني ، الفصل الأول ، ص88 .  
المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: القول في العدل، ص 153 .
- 2 - انظر : تقيوب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسألة : في كونه تعالى قابراً على القبيح ، ص100 .  
غنية النزوع ، ابن زهرة الحلبي : ج2 ، فصل : في أنه تعالى قادر على القبيح و ... ، ص 74 .
- 3 - أشار بعض علمائنا إلى هذا الرأي الذي ذهب إليه بعض أعلام المعتولة .  
انظر : تقيوب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي : مسألة في كونه تعالى قابراً على القبيح ، ص 100 .  
المسلك في أصول الدين، المحقق الحلبي: النظر الثاني ، البحث الثالث ، ص 89 .  
المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1 ، القول في العدل ، ص 154 .

الصفحة 29

على فعله" ، وإنّ عدم فعله تعالى للقبيح ليس لأنّه غير قادر على فعله ، بل لأنّه تعالى حكيم وعالم وغني، فلا يريد فعل القبيح<sup>(1)</sup> .

---

1- انظر: المصدر السابق .

الصفحة 30

## المبحث الخامس

### عدم فعله تعالى للظلم

#### معنى الظلم :

"وضع الشيء في غير موضعه... وأصل الظلم الجور ومجازة الحد"<sup>(1)</sup> .

#### أدلة عدم فعله تعالى للظلم :

- 1 . إنّ الظلم ينبثق عن الجهل والحاجة والحقْد والعجز والضعف والخوف والعبث وغيرها من الودائل التي يكون الله تعالى مؤهلاً عنها، فهذا يستحيل عليه تعالى الظلم .
- 2 . إنّ الله تعالى ذمّ الظالمين وندبّ بهم ونهى الناس عن الظلم ، فكيف يكون سبحانه ظالماً للعباد؟! .
- 3 . إنّ الظلم قبيح ، والله تعالى . كما بينا فيما سبق . مؤه عن فعل القبيح .

نفي الظلم عن الله تعالى في القرآن الكريم :

- 1 . { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولَا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ } [ آل عمران: 18 ]
- 2 . { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا } [ الأنبياء: 47 ]
- 3 . { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [ يونس: 44 ]

1 - لسان العرب ، ابن منظور: مادة (ظلم) .

الصفحة 31

- 4 . { فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [ التوبة: 70 ]
- 5 . { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [ النحل: 118 ]
- 6 . { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } [ النساء: 40 ]
- 7 . { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [ الكهف: 49 ]
- 8 . { وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [ الأنفال: 51 ]
- 9 . { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [ فصلت: 46 ]
- 10 . { وَمَا اللَّهُ بِرِيدٍ ظَلْمًا لِلْعَالَمِينَ } [ آل عمران: 108 ]
- 11 . { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } [ الزخرف: 76 ]
- 12 . { وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [ النحل: 33 ]

الصفحة 32

الصفحة 33

## الفصل الثاني

### الحسن والقبح العقلي

معنى الحسن والقبح

أقسام الفعل من حيث الاتصاف بالحسن والقبح

منشأ حسن وقبح الأفعال

إطلاقات الحسن والقبح

محل الاختلاف بين العدلية والأشاعرة حول حسن وقبح الأفعال

رأي العدالة القائلين بالحسن والقبح العقلي

أدلة ثبوت الحسن والقبح العقلي

إثبات الحسن والقبح العقلي في القرآن الكريم

رأي الأشاعرة حول حسن وقبح الأفعال

أدلة الأشاعرة على إنكار الحسن والقبح العقلي ومناقشتها

أقوال بعض أهل السنة الموافقين للحسن والقبح العقلي

الصفحة 34

الصفحة 35

## المبحث الأول

### معنى الحسن والقبح

#### معنى الحسن والقبح (في اللغة) :

إنَّ للحُسْن والقبح . في اللغة . عدة معان منها :

- 1 . "الحسن" ما هو كمال ، و"القبيح" ما هو نقص .
  - 2 . "الحسن" ما يلائم الطبع ، و"القبيح" ما يناوئه .
  - 3 . "الحسن" ما يوافق المصلحة ، و"القبيح" ما يخالفها .
  - 4 . "الحسن" ما يتعلَّق به المدح ، و"القبيح" ما يتعلَّق به الذم .
- وسنشير إلى هذه المعاني في المبحث الرابع من هذا الفصل .

#### معنى الحسن والقبح (في الاصطلاح العقائدي) :

الفعل الحسن :

(1) التعريف الأوَّل: هو الفعل الذي لا يستحق فاعله الذم .

(2) (3) التعريف الثاني: هو الفعل الذي يستحق فاعله المدح .

- 1 - انظر: الزريعة إلى أصول الشريعة ، السيّد المرتضى: ج2 ، باب الكلام في الأفعال ، ص563 .  
المسلك في أصول الدين ، المحقِّق الحلِّي: النظر الثاني ، البحث الثاني ، ص85 .  
الوسالة السعدية ، العلامة الحلِّي: القسم الأوَّل ، المسألة السادسة ، البحث الأوَّل ، ص53 .
- 2 - انظر: توقيب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة في الحسن والقبح ، ص97 .

قواعد العوام، ميثم البحراني: القاعدة الخامسة ، الركن الأول ، البحث الأول ، ص 104 .

3 - بشرط أن يكون الفاعل قاصداً إلى ما يفعل .

انظر: تقريب المعرف كما في (المصدر السابق) .

الصفحة 36

الفعل القبيح :

هو الفعل الذي يستحق فاعله الذم (1) (2) .

### صلة المدح والذم بالثواب والعقاب الأخروي :

#### الرأي الأول :

إنّ "الفعل الحسن" هو الفعل الذي يستحق فاعله "المدح" ، ولا شكّ أنّ مدح الله تعالى يتبعه في الآخرة "إثابة" فاعل الفعل

الحسن .

وإنّ "الفعل القبيح" هو الفعل الذي يستحق فاعله "الذم" ، ولا شكّ أنّ ذمّ الله تعالى يتبعه في الآخرة "معاقبة" فاعل الفعل القبيح

ولهذا ذكر أغلب علماء الإمامية في تعريفهم للحسن والقبح :

"الحسن" ما يستحق فاعله المدح عاجلاً والثواب آجلاً (3) .

و"القبيح" ما يستحق فاعله الذم عاجلاً والعقاب آجلاً (4) .

#### الرأي الثاني :

إنّ الثواب والعقاب الأخروي أمر غير ملازم للحسن والقبح .

لأنّ شرط حصول فاعل الفعل الحسن على "الثواب" هو: إيمانه بالله وقصده للقربة ونحوها .

وشرط حصول فاعل الفعل القبيح على "العقاب" هو: عدم وجود العفو والشفاعة الإلهية، وعدم مبادرة فاعل القبيح إلى التوبة

ونحوها .

فلاربط للعقاب والثواب بالمدح والذم .

1 - انظر: المصدر السابق (مصوي تعريف الفعل الحسن) .

2 - بشرط أن يكون الفاعل عالماً بقبح ما يفعله، أو متمكناً من العلم به ، ولم يكن أي اضطراب إلى فعله .

انظر: تمهيد الأصول ، الشيخ الطوسي: فصل في بيان حقيقة الفعل ، وشرح أقسامه: ص 98 .

3 و 4 ) انظر: قواعد العوام ، ميثم البحراني: القاعدة الخامسة ، الركن الأول ، البحث الثاني، ص 104 .



النافع يوم الحشر ، مقدار السيوري: الفصل الرابع : في العدل ، ص 64 .

رشاد الطالبين ، مقدار السيوري: مباحث العدل ، مسألة الحسن والقبح ، ص 254 .

الصفحة 37

ولهذا قال الشيخ محمد حسن المظفر :

"إدخال كلمة الثواب والعقاب في تعريفهما [ أي: تعريف الحُسن والقبح ] خطأ ظاهر"<sup>(1)</sup> .

1- دلائل الصدق ، محمد حسن المظفر : ج 1 ، المسألة 3 ، المبحث 11 ، المطلب 2 ، ص 363 .

الصفحة 38

## المبحث الثاني

### أقسام الفعل من حيث الاتّصاف بالحسن والقبح<sup>(1)</sup>

- 1 . الفعل غير الاختياري<sup>(2)</sup> : وهو الفعل الذي لا يوصف بالحسن والقبح ، لأنّ استحقاق المدح والذم يرتبط بالفعل الاختياري فقط . وهو لا يتعلّق بالفعل غير الاختياري أبداً<sup>(3)</sup> .
- 2 . الفعل الاختياري : وهو الفعل الذي يوصف بالحُسن والقبح كما يلي:  
أ . يكون له وصف زائد على حسنه، وهو:  
الواجب: وهو ما يستحقّ فاعله المدح، ويستحقّ تركه الذم .  
المندوب: وهو ما يستحقّ فاعله المدح، ولا يستحقّ تركه الذم .  
ب . لا يكون له وصف زائد على حسنه وهو :  
المباح<sup>(4)</sup> : وهو ما لا مدح فيه على الفعل والتّرك .

1 - انظر: النريعة إلى أصول الشريعة ، السيّد المرتضى: ج2، باب: الكلام في الأفعال، ص 563 .

تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، ص 197 .

قواعد المرام ، ميثم البهواني: القاعدة الخامسة ، الركن الأوّل ، البحث الأوّل ، ص 103 .

النافع يوم الحشر، مقدار السيوري: الفصل الرابع: في العدل ، ص 64 .

كشف الرواد ، العلامة الحلّي : المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الأولى ، ص 418 .

2- من قبيل فعل الساهي وفعل النائم .

3 - انظر: تكملة شولق الإلهام، محمّد المحمدي الجيلاني: الفصل الثالث ، المسألة الأولى ، ص 25 .

4 - إنّ "المباح" يكون من أقسام "الحسن" فيما لو عرفنا "الحسن" بأنّه ما لا يستحقّ فاعله الذم ، لأنّ المباح أيضاً لا يستحقّ فاعله الذم .

الصفحة 39

ثانياً: القبيح : وهو ما يستحقّ فاعله الذم .

### تنبيهان :

1 . اختلف علماء الإمامية في أنّ "المكروه" هل هو من أقسام القبيح أو الحسن:

فمن عرف الحسن بـ "ما لا يستحقّ فاعله الذم" (وفق التعريف الأوّل الذي ذكرناه) اعتبر المكروه من الأمور الحسنة .

ومن عرف الحسن بـ "ما يستحقّ فاعله المدح" (وفق التعريف الثاني الذي ذكرناه) اعتبر المكروه من الأمور القبيحة<sup>(1)</sup> .

2 . الأصح اعتبار المكروه من الأفعال القبيحة، لترتّب الذم على فعله ، وإن كان هذا الذم أضعف من الذم المتعلّق بالحرام .

1 - للوزيراجع: الكلام المقرن ، علي الرباني الكلبايكاني: الباب السادس ، الفصل الثاني، ص164 .

الصفحة 40

### المبحث الثالث

#### منشأ حسن وقبح الأفعال

تنقسم الأفعال في كيفية اتّصافها بالحسن والقبح على ثلاثة أقسام :

1 . يكون الفعل بنفسه علّة تامّة للحسن والقبح ، فلا يتغيّر حسنه ولا قبحه بعروض العولض .

ويشمل هذا الأمر الأفعال التي يبرك العقل . عند لحاظها . أنّها حسنة أو قبيحة ، بغض النظر عن جميع الجهات الطرئة

عليها.

وهذا ما يسمّى بالحسن والقبح الذاتي<sup>(1)</sup> .

مثال :

العدل والظلم .

فالعدل بما هو عدل لا يكون إلاّ حسناً .

والظلم بما هو ظلم لا يكون إلاّ قبيحاً .

ويستحيل . في جميع الأحوال . أن يكون العدل قبيحاً والظلم حسناً .

ومثله حسن الإحسان وقبح الإساءة .

2 . لا يكون الفعل علة تامة لحسنه أو قبحه ، بل يكون مقتضياً للاتصاف بالحسن أو القبح ، بحيث يكون الفعل بنفسه حسناً أو قبيحاً ، ولكن قد يتحول حُسن هذا الفعل إلى القبح ، أو يتحول قبحه إلى الحسن فيما لو عرض عليه عنوان آخر .

1 - انظر: مطروح الأنظار ، الشيخ الأنصلي: 245 ، نقلا عن المباحث الكلامية في مصنفات الشيخ الأنصلي ، إراهيم الأنصلي الخوئيني: العدل ، هل الحسن والقبح ذاتيان أم لا ، ص 62 .  
الالهيات ، محاضرات: جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 1 / 232 . 233 .  
الصفحة 41

مثال :

إنَّ تعظيم الصديق بصورة عامة فعل حسن ، ولكنه قد يصبح قبيحاً فيما لو عوض عليه عنوان آخر ، كما لو أصبح هذا التعظيم سبباً لإيذاء هذا الصديق من قبل الآخرين .  
وفي المقابل فإنَّ تحقير الصديق بصورة عامة فعل قبيح ، ولكنه قد يصبح حسناً فيما لو عوض عليه عنوان آخر ، كما لو أصبح هذا التحقير سبباً لإنقاذه من أيدي الظالمين، ومثله الصدق والكذب .  
3 . يكون الفعل لا علية له ولا اقتضاء في نفسه للاتصاف بالحسن أو القبح ، وإنما يتبع الوجه والجهات الطرئة والعناوين المنطبقة عليه .

مثال :

الضرب ، فإنه حسن للتأديب وقبيح للإيذاء .

الصفحة 42

## المبحث الرابع

### إطلاقات الحسن والقبح

#### الإطلاق الأول :

إطلاق "الحسن" على ما هو "كمال" ، وإطلاق "القبح" على ما هو "نقص" (1) (2) .  
مثال :

إنَّ العلم والشجاعة والكرم من الأمور الحسنة ، لأنها كمال لمن يتصف بها .  
وإنَّ الجهل والجبن والبخل من الأمور القبيحة ، لأنها نقصان لمن يتصف بها .

ملاحظة :

ليس في هذا المعنى من الحسن والقبح خلاف بين العدلية (3) والأشاعرة.

ولا إشكال في أنّ العقل يبرك هذا النمط من الحسن والقبح ، لأنّ هذا الإطلاق من القضايا اليقينية التي لها واقع خلجي يطابقها ، ولا يتعلّق هذا الحسن والقبح بالشروع .

### تنبيه :

- 1 - انظر: كشف الفوائد ، العلامة الحلّي: الباب الثالث ، الفصل الأوّل ، ص245، 247 .  
قواعد العوام ، ميثم البهرواني: القاعدة الخامسة ، الركن الأوّل ، البحث الأوّل ، ص104 .  
النافع يوم الحشر ، مقداد السيوري: الفصل الرابع: في العدل ، ص64 .  
رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، مسألة الحسن والقبح ، ص254 .  
كتاب المواقف، عضد الدين الإيجي: ج3 ، الموقف 5 ، الموصد 6 ، المقصد 5 ، ص269 .
- 2 - "كمال الشيء: حصول ما فيه الغرض منه" والنقص ما يقابله .  
انظر: مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني: مادة (كمل) .
- 3 - العدلية لقب يطلق على الشيعة والمعتولة، لأنّهم يقولون بالعدل الإلهي .

الصفحة 43

لا يوجد خلاف بين العدلية والأشاعرة في إطلاق الحسن والقبح . في بعض الأحيان . على ما هو كمال أو نقص ، ولكن الخلاف يكمن في أنّنا :

- عندما نقول: تحصيل الكمال حسن ، فإنّ هذا "الحسن" هل يعرف عن طريق العقل أو عن طريق الشروع ؟  
وعندما نقول الوجود إلى النقصان قبيح ، فإنّ هذا "القبح" هل يعرف عن طريق العقل أو عن طريق الشروع ؟<sup>(1)</sup>  
وسنبيّن توضيح ذلك لاحقاً .

### الإطلاق الثاني :

- إطلاق "الحسن" على ما يلائم "الطبع" ، وإطلاق "القبيح" على ما ينافر "الطبع" .  
ويوجع هذا المعنى من الحسن والقبح . في الواقع . إلى معنى اللذة والألم<sup>(2)</sup> .

مثال :

- يقال: هذا المنظر حسن ، وهذا الصوت حسن ، لأنّهما يلائمان الطبع .  
ويقال: ذلك المنظر قبيح ، وذلك الصوت قبيح ، لأنّهما ينافوان الطبع .

ملاحظة :

ليس في هذا المعنى من الحسن والقبح خلاف بين العدلية والأشاعرة ، لأنّ هذا الإطلاق نابع من أعماق شعور النفس البشرية ، كما أنّ طبائع الناس مختلفة فيما بينها ، وليس في هذا الصعید مزان مشخص لتوحيد الطبائع البشرية .

## تنبيه :

قيل: "إنّ الملائمة والمنافرة جهتان تقتضيان الحبّ والبغض والرضا والسخط ، لا

1- انظر: صواط الحقّ ، محمد آصف المحسني: ج2 ، المقصد الخامس ، ص153 .

2- انظر: مصادر الإطلاق السابق .

الصفحة 44

(1) الحسن والقبح العقليان ، فلا معنى لعدّهما من معاني الحسن والقبح<sup>(1)</sup> .

## الإطلاق الثالث :

(2) إطلاق "الحسن" على ما "يوافق الغرض والمصلحة" ، وإطلاق "القبيح" على "ما يخالف الغرض والمصلحة"<sup>(2)</sup> .  
ويعبر عن هذا الحسن والقبح بالمصلحة والمفسدة ، فيقال: الحسن ما فيه مصلحة، والقبيح ما فيه مفسدة .

مثال :

إنّ قتل العدو حسن ، لأنّه موافق لغرض ومصلحة تعود للقائل ، ولكن قتل هذا الشخص قبيح للمقتول وأهله لمخالفته لغرضهم ومصالحهم .

ملاحظة :

ليس في هذا المعنى من الحسن والقبح خلاف بين العدلية والأشاعرة، لأنّ هذا الحسن والقبح بإجماع الطرفين أمر يركه العقل ، كما أنّ الأغواض والمصالح الشخصية لا تصحّ توصيف الفعل بالحسن والقبح دائماً ، وذلك لاختلافها ، فوبّ قتل كالقتل حسن عند فود أو جماعة ، ولكنه قبيح عند الآخرين .

## تنبيه :

لا يوجد خلاف بين العدلية والأشاعرة في إطلاق الحسن والقبح . أحياناً . على ما فيه الصلاح أو الفساد ، ولكن الخلاف يكمن في أنّ العقل هل يتمكّن بنفسه ومن دون الاستعانة بالشروع من معرفة صلاح أو فساد بعض الأفعال ، أم أنه غير متمكّن من ذلك أبداً ، ولا بدّ من الرجوع في هذه القضية إلى الشروع فقط ؟

1- دلائل الصدق، محمد حسن المظفر: ج1، المسألة 3، المبحث 11، المطلب 2، مناقشة المظفر، ص376.

2- انظر: المسلك في أصول الدين، المحقّق الحلّي: النظر الثاني ، البحث الثاني ، ص85 .

الالهيات ، محاضرات: جعفر السبحاني ، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 1 / 233 . 234 .

المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3 ، الموقف 5 ، الموصد 6 ، المقصد 5 ، ص269 .

الصفحة 45

## الإطلاق الرابع :

- إطلاق الحسن في أفعال العباد على ما تعلّق به مدح الشروع .
- وإطلاق القبيح في هذه الأفعال على ما تعلّق به ذم الشروع .
- وذلك في المورد التي لا يستطيع العقل فيها الحكم بالحسن والقبح .
- وهذا ما يسمّى بالحسن والقبح الشعري .

مثال :

حسن الصلاة والصوم، وقبح أكل لحم الميتة والربا وفق بيان الشروع .

ملاحظة :

ليس في هذا المعنى من الحسن والقبح خلاف بين العدلية والأشاعرة ، وذلك لعدم وجود شكّ بأنّ العقل البشري غير قادر في هذه المورد على معرفة الحسن والقبح ، وأنّ السبيل إلى هذه المعرفة هو الشروع فقط <sup>(1)</sup> .

## الإطلاق الخامس :

- إطلاق الحسن على ما يستحق فاعله "المدح" عقلا .
- وإطلاق القبيح على ما يستحق فاعله "الذم" عقلا .

## تنبيهات :

- 1 . إنّ الفعل الحسن بالذات هو الفعل الذي يستحق فاعله المدح عقلا ، سواء كان هذا الفاعل هو الله تعالى أو العبد .
- 2 . إنّ الفعل القبيح بالذات هو الفعل الذي يستحق فاعله الذم عقلا ، فلهذا ينبغي تترّيه الله تعالى عن هذا الفعل .
- 3 . إنّ تطبيق هذا الإطلاق على أفعال الله تعالى ليس من باب سواية حكم الإنسان على البري عزّ وجلّ ، بل هو من قبيل استكشاف قاعدة عامة ضرورية

---

1 - انظر: تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة في الحسن والقبح ، ص 98 .

الصفحة 46

وبديهية تشمل كلّ فاعل مختار من غير فرق بين الخالق والمخلوق .

4 . إنّ هذا الإطلاق للحسن والقبح هو الذي وقع الخلاف فيه بين العدلية والأشاعرة ، وسنبيّن تفصيل ذلك في المبحث القادم

الصفحة 47

## المبحث الخامس

## محل الخلاف بين العدلية والأشاعرة

حول حسن وقبح الأفعال

### الاختلاف الأول :

هل لبعض الأفعال حُسن أو قبح ذاتي ، أم أنّ الحُسن والقبح مجرد صفات اعتبالية لكل الأفعال ، بحيث توجد هذه الصفات عندما يتمّ الاتفاق عليها وتندم عندما يزول هذا الاتفاق ؟

### رأي الأشاعرة :

إنّ الحسن والقبح مجرد صفات اعتبالية لجميع الأفعال "لأنّ الأفعال كلها سواسية ليس شيء منها في نفسه حسناً أو قبيحاً بحيث يقتضي مدح فاعله وثوابه ، ولا ذم فاعله وعقابه ، وإتّما صرّت كذلك بواسطة أمر الشروع بها ونهيه عنها"<sup>(1)</sup> .

### رأي العدلية :

إنّ من الأفعال ما هي حسنة في ذاتها .  
وإنّ من الأفعال ما هي قبيحة في ذاتها .  
ويكون الشروع عند تحسينه أو تقبيحه لهذه الأفعال كاشفاً لحسنها أو قبحها لا موجباً وسبباً لها<sup>(2)</sup> .

---

1 - المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3 ، الموقف 5 ، الموصد 6 ، المقصد 5 ، ص270 .

2 - سنذكر مصادر هذا الرأي لاحقاً .

### الاختلاف الثاني :

هل يستطيع العقل من صميم ذاته، ومن دون الرجوع إلى الشروع أن يدرك ويكشف حسن وقبح الأفعال ، أم أنّه لا يستطيع ذلك إلاّ بمساعدة الشروع ؟

### رأي الأشاعرة :

لا يستطيع العقل ذلك أبداً ، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها"<sup>(1)</sup> ، وينبغي الرجوع إلى الشروع من أجل معرفة حسن وقبح جميع الأفعال .

### رأي العدلية :

دور العقل في إدراك حسن وقبح الأفعال<sup>(2)</sup> :

ولاً: يدرك العقل حسن وقبح بعض الأفعال بالضرورة والبداهة .

مثال :

- حسن العدل وشكر المنعم والصدق النافع والتكليف حسب الطاقة .
- وقبح الظلم وكفوان المنعم والكذب الضار وتكليف ما لا يطاق .
- ثانياً: يبرك العقل حسن وقبح بعض الأفعال بالتفكر والتأمل .

مثال :

حسن فعل أمر الشرائع وقبح تركها .

ثالثاً: لا يبرك العقل حسن وقبح جملة من الأفعال لا ضرورة ولا بالتفكر والتأمل ، فلا يكون للعقل سبيل لمعرفة هذا الحسن والقبح إلا عن طريق تحسين وتقبيح الشروع .

1 - المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 5 ، ص268 .

2 - انظر: قواعد العوام ، ميثم البعاني: القاعدة الخامسة ، الركن الأول ، البحث الثاني، ص 104 .

رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، مسألة الحسن والقبح ، ص 255 .

الصفحة 49

مثال :

تحسين الشروع صوم شهر رمضان، وتقبيحه صوم يوم عيد الفطر .

**تنبيه :**

ينبغي الالتفات إلى أنّ هذا التحسين والتقبيح من الشروع يدل على وجود جهة محسنة ومقبحة في هذه الأفعال ، وقد تكون هذه الجهة غير ذاتية، بل هي مجرد اختبار لمعرفة مدى امتثال الإنسان لأوامر ونواهي الله تعالى .

**الاختلاف الثالث :**

هل وأمر ونواهي الشروع هي السبب والموجب لحسن وقبح جميع الأفعال ، أم توجد أفعال لها حسن وقبح ذاتي بحيث يكون تحسين وتقبيح الشروع لها وسيلة للكشف عن الحسن والقبح الذي تتصف به بذاتها ؟

**رأي الأشاعرة :**

"الأمر والنهي عندنا من موجبات الحسن والقبح [ لجميع الأفعال ] بمعنى: أنّ الفعل أمر به فحسنٌ ، ونهْيٌ عنه فقبحٌ"<sup>(1)</sup> .

**رأي العدلية :**

إنّ بعض الأفعال لها حسن وقبح ذاتي، بحيث :

لا يكون أمر الشروع بها ونهيه عنها "موجباً وسبباً" لحسنها وقبحها .



- وإنّما يكون أمر الشوع بها ونهيه عنها "كاشفاً ومبيناً" لِحسنها وقبحها الذاتي .  
أي: أنّ الفعل حسنٌ بذاته ، فهذا أمرٌ به ، لا لأنه أمرٌ به فأصبح حسناً .  
وإنّ الفعل قبيحٌ بذاته ، فهذا نهْيٌ عنه ، لا لأنه نهْيٌ عنه فأصبح قبيحاً<sup>(2)</sup> .
- مثال :

- 
- 1 - شرح المقاصد ، سعد الدين التفتزاني: ج4 ، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 3 ، ص283 .  
2 - سنذكر مصادر هذا الرأي لاحقاً .

---

الصفحة 50

- إنّ "العدل" حسنٌ في نفسه ، ولحسنه أمر الله تعالى به ، لا أنه صار حسناً بعد أن أمر الله تعالى به .  
وإنّ "الظلم" قبيحٌ في نفسه، ولقبحه نهْيٌ الله تعالى عنه، لا أنه صار قبيحاً بعد أن نهْيٌ الله تعالى عنه .



## رأي العدالة ( القائلين بالحسن والقبح العقلي )

أقسام الفعل <sup>(1)</sup> :

### القسم الأول :

- إنّ من الأفعال ما هي حسنة في ذاتها .  
 وإنّ من الأفعال ما هي قبيحة في ذاتها .  
 ويكون الشروع عند تحسينه وتقبيحه لهذه الأفعال كاشفاً عن حُسن هذه الأفعال أو قبحها لا موجباً وسبباً لها .

### قوة العقل على معرفة الحسن والقبح الذاتي لهذه الأفعال :

- 1 . يتمكّن العقل . في بعض الأحيان . من اكتشاف ومعرفة حسن أو قبح هذه الأفعال ، مع غض النظر عن حكم الشروع ، ويكون حكم الشروع في هذه الحالة مجرد تنبيه ليلتفت الإنسان إلى حكم العقل .
- 2 . لا يتمكّن العقل . في بعض الأحيان . من اكتشاف ومعرفة حسن أو قبح هذه الأفعال ، وذلك لخفاء ملاكاتها عليه ، فيكشف الشروع له ذلك .

### تنبيه :

يعود هذا الخفاء إلى قصور العقل في تلك الحالات عن إرواك المحاسن

- 1 - انظر: الياقوت في علم الكلام ، أبو إسحاق إرواهيم بن نوبخت : القول في العدل ، ص 45 .  
 كشف الفوائد ، العلامة الحلّي: الباب الثالث ، الفصل الأول ، ص 248 .  
 مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، المبحث الأول ، ص 229 .  
 لرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، مسألة الحسن والقبح ، ص 255 .

والمصالح الكامنة في تلك الأفعال .

### القسم الثاني :

إنّ من الأفعال ما ليس لها حسن أو قبح في ذاتها ، فيقف العقل عند الحكم على حسنها أو قبحها ، ويكون الشروع في هذه

الحالة هو المصدر الوحيد لبيان حسن وقبح هذه الأفعال.

مثال :

حسن العمل بالشوايع وقبح تركه، من قبيل: الطهارة والنجاسة والأعمال العبادية .

**تنبيه :**

إنّ العقل يبرك . أحياناً . الجهة الداعية لأمر الله تعالى والجهة الباعثة على نهيه ، وقد تخفى عليه هذه الجهات غير أنّ العقل يحكم حكم اليقين بأنّه لو اطلّع على ما خفي عليه لكان حكمه موافقاً تماماً لحكم الشوع .

**خلاصة رأي العدالة :**

إنّ العقل البشوي قادر من صميم ذاته . على إرواك "حسن" أو "قبح" بعض الأفعال من دون الاستعانة بحكم الشوع . ويكون الشوع عند تحسينه وتقبيحه لهذه الأفعال كاشفاً عما يبرك العقل وموشداً إليه ، وليس للشوع في هذه الأفعال أن: يحسن ما هو قبيح ذاتاً . أو يقبح ما هو حسن ذاتاً . ولهذا فإنّ الشكّ بالنوّة يؤديّ إلى الشكّ بقبح أكل أموال الربا دون الشكّ بقبح الظلم . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

الصفحة 53

"بالعقل عرف العباد خالقهم... و عرفوا به الحسن من القبيح" (1) .

**تنبيهات :**

1 . إنّ مقتضى التحسين والتقبيح العقليين هو أنّ العقل بنفسه يبرك أنّ بعض الأفعال . بنفسها ومن دون لحاظ شيء آخر . حسنة أو قبيحة ذاتاً ، بحيث يكون وصف الحسن والقبح ثابتاً وغير متغيّر لهذه الأفعال بصورة مطلقة (2) .

مثال :

إنّ العدل حسن ذاتاً .

وإنّ الظلم قبيح ذاتاً .

ولهذا يحكم العقل بتحسين العدل وبتقبيح الظلم من خلال ملاحظة نفس موضوع العدل والظلم ، ومن دون تصوّر كون العدل يشتمل على الصلاح أو أنّ الظلم يشتمل على الفساد .

2 . إنّ الإمامية ذهبوا إلى إثبات الحسن والقبح العقليين استلهاماً في بحوثهم العقائدية . بعد القوان الكريم والسنة النبوية . من لرشادات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وإنّ المعتولة تابعت الإمامية في هذه المسألة دون العكس .

ولهذا قال العلامة الحلّي :

"ذهبت الإمامية ومن تابعهم من المعتولة إلى أنّ من الأفعال ما هو معلوم الحسن والقبح بضرورة العقل"

### ثورة رأي العدلية (القائلين بالحسن والقبح العقليين) :

1. إنّ العدل حسن بما هو عدل .

وإنّ الظلم قبيح بما هو ظلم .

1- الأصول من الكافي ، الشيخ الكليني: ج 1 ، كتاب العقل والجهل ، ح35، ص29 .

2 - انظر: الإلهيات ، محاضرات: جعفر السبحاني ، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 1 / 287 .

3- نهج الحقّ ، العلامة الحليّ: المسألة الثالثة ، المبحث الحادي عشر، المطلب الثاني، ص82 .

الصفحة 54

وإنّ العقل البشوي يكشف لنا ذلك من دون اعتماده على النصّ الشرعي والحكم الديني .

ولهذا يكون العقل المجرد لوحده دون غيره هو الدال على ثبوت العدل الإلهي واستحالة صدور الظلم منه تعالى .

2 . إنّ من النتائج المؤتّبة على إرواك العقل للحسن والقبح:

إنّ كلّ ما حكم العقل بحسنه ، فهو محبوب شرعاً .

وإنّ كلّ ما حكم العقل بقبحه ، فهو مذموم شرعاً .

ولهذا اشتهر عند الفقهاء: "كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع".

الصفحة 55

### المبحث السابع

#### أدلة ثبوت الحسن والقبح العقليين

#### الدليل الأوّل :

يحكم كلّ عاقل . على نحو البداهة . بحسن بعض الأفعال ذاتاً ولزوم العمل بها ، وقبح البعض الآخر من الأفعال ذاتاً ولزوم

الانتهاز عنها .

وإذا بلغ الأمر إلى الضرورة بطل الاستدلال ، ومن طلب الدليل بعد البداهة وقع في الإجحاف، ومن كابر في ذلك فقد كابر

(1)

مقتضى عقله .

مثال :

إنّا نعم بالضرورة من خير شخصاً بين العدل والظلم ، ولم يكن لهذا الشخص علم بموقف الشوائع ، فإنه سيختار العدل

قطعاً، وما ذاك إلاّ لأنّ حسن العدل وقبح الظلم ذاتي وضروري عقلاً .

## الدليل الثاني :

لو كان الحسن والقبح شوعيين لما حكم بهما من ينكر الشوائع ، ولكننا زى غير الملتزمين بالدين . على اختلاف فصائلهم .

:

- 1 - انظر: الياقوت في علم الكلام ، أبو اسحاق إواهيم بن نوبخت: القول في العدل ، ص 45 .
  - المسلك في أصول الدين ، المحقق الحلّي: النظر الثاني ، البحث الثاني ، ص 86 .
  - قواعد الغرام، ميثم الجواني: القاعدة الخامسة ، الركن الأول ، البحث الثاني، ص 104 .
  - كشف الغرر ، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الأولى ، ص 418 .
  - نهج الحقّ ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة، المبحث الحادي عشر، ص 83 .
  - مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، مسألة (195) ، ص 230 .
  - النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع: في العدل ، ص 65 .
  - رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، مسألة الحسن والقبح ، ص 255 .
- 
- الصفحة 56

يصفون بعض الأفعال بالحسن، ويجدون أنفسهم مؤمنين بفعالها .

ويصفون بعض الأفعال الأخرى بالقبح، ويعتقدون بأنهم مؤمنون بتوكها .

ويسند هؤلاء تحسينهم وتقبيحهم إلى "العقل" من غير أن يكون "للحكم الشوعي" أي أثر في هذا التحسين والتقبيح والالتزام

بالفعل والتوك (1) .

مثال :

يحسن هؤلاء العدل وأداء الأمانة والصدق والنافع والوفاء بالعهد وخفاء الإحسان بالإحسان ونورها، ويرون ضرورة

الالتزام بهذه الأفعال .

ويقبح هؤلاء الظلم والخيانة والكذب الضار ونقض العهد وخفاء الإحسان بالإساءة ونورها، ويرون ضرورة الابتعاد عن

هذه الأفعال .

## الدليل الثالث :

إنّ الاعتقاد بالتحسين والتقبيح العقلي هو السبيل لإثبات صحة التحسين والتقبيح الشوعي، ولا يمكن إثبات الحسن والقبح

مطلقاً من دون الاعتقاد بالحسن والقبح العقلي .

توضيح ذلك :

إنّ إنكار تحسين وتقبيح العقل يؤم إنكار تحسين العقل للصدق وتقبيحه للكذب ، فيؤدّي ذلك إلى فقدان الثقة بتحسين وتقبيح

الشوع ، وذلك لاحتمال كون الشوع كاذباً في إخبئه ، فينتفي الوثوق بالشوع ، وتكون النتيجة عدم الاطمئنان بصحة تحسين وتقبیح الشوع .  
وبعبارة أخرى :

إنّ استقلال العقل في تحسينه للصدق وتقبیحه للكذب هو الذي يدفع الإنسان إلى الوثوق بقول الشوع ، ولولا ذلك يبقى احتمال عدم صدق الشوع في قوله وإخبئه ، فينتفي الجرم بصدقه .

---

1 - انظر: المصادر المذكورة في الهامش السابق .

---

الصفحة 57

توضیح ذلك :

إنّ الكذب . حسب قول منكوي الحسن والقبح العقلي . لا يقبح إلا إذا قبحه الشوع ، فلا يعلم قبح الكذب قبل تقبیح الشوع له ، ولهذا لا يكون للإنسان قبل إيمانه بالشوع دليل على توريه الشوع عن الكذب ، فينتفي الجرم بصدق الشوع مطلقاً .

### الخلاصة :

إنّ الجرم بعدم كذب الشوع رهن حكم العقل ، وهذا ما يثبت الحسن والقبح العقلي <sup>(1)</sup> .

ولهذا قال العلامة الحلّي:

"إنّا لو لم نعلم حسن بعض الأشياء وقبحها عقلاً ، لم نحكم بقبح الكذب ، فجاز [ أي: فيؤدّي ذلك إلى جواز ] وقوعه من الله ... فإذا أخبرنا [ تعالى ] في شيء أنّه قبيح لم نجرم بقبحه ، وإذا أخبرنا في شيء أنّه حسن لم نجرم بحسنه لتجويز الكذب [ فيندعم السبيل لمعرفة ما حسّنه الله تعالى وما قبحه ]" <sup>(2)</sup> .

### الدليل الرابع :

إنّ "المعجزة" هي الوسيلة التي بها يثق الناس بصدق دعوة الأنبياء . ولا يكون هذا الوثوق إلا بعد الاعتقاد بالحسن والقبح العقلي المتمثّل في القاعدة التالية وهي:

إنّ إعطاء الله المعجزة للكاذب في دعوة النوبة قبيح ذاتاً .

ومن هنا نثق بصدق مدّعي النوبة فيما لو جاء بالمعجزة ، لأننا نؤمن بأنّ إعطاء الله تعالى هذه المعجزة للكاذب في دعوة النوبة قبيح ذاتاً ، والله تعالى لا يفعل القبيح . وإنما "الحسن" إعطاء المعجزة للمصدق في دعوة النوبة .

---

1- انظر: المسلك في أصول الدين ، المحقّق الحلّي : النظر الثاني ، البحث الثاني ، ص 86 . 87 .

كشف الرواد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث، المسألة الأولى ، ص 418 .

مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، المبحث الأول ، ص 231 .

النافع يوم الحشر ، مقدار السيوري: الفصل الرابع: في العدل ، ص 65 .

رشاد الطالبين ، مقدار السيوري: مباحث العدل ، مسألة الحسن والقبح ، ص 256 .

2 - كشف الغرر ، العلامة الحلي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الأولى ، ص 418 .

الصفحة 58

ولكن إذا أنكر الإنسان الحسن والقبح الذاتي، فإنه لا يصل أبداً إلى مرحلة اليقين بصدق من يدعي النبوة ويقدم المعجزة

لإثبات مدعاه، لأنه يبقى دائماً في حالة شك بأن هذا الذي يمتلك المعجزة قد يكون كاذباً في دعوته للنبوة، وإنما أعطاه الله

المعجزة عبثاً ، لأنه تعالى يفعل ما يشاء !

فنتسد بذلك أبواب معرفة النبي الصادق وتمييزه عن الكاذب (1) .

بعبارة أخرى :

لو كان "الحسن" ما حسنه الشوع ، و"القبح" ما قبحه الشوع، لما قبح من الله تعالى أي شيء ، حتى لو كان ذلك إظهاره

المعجزات على أيدي الكاذبين .

فينتفي بذلك إمكانية تصديق دعوى الأنبياء .

وهذه النتيجة باطلة .

لأنها تؤدي إلى:

1 . غلق باب معرفة الأنبياء الصادقين .

2 . منح الكفار العذر في إنكارهم لنبوة الأنبياء .

ولهذا لا يوجد سبيل سوى الاعتقاد بالحسن والقبح العقلي .

### الدليل الخامس :

لو لم يكن الحسن والقبح عقليين لم يكن للأنبياء أي دليل لإثبات لزوم توجه الناس إلى البحث والنظر ، ووجوب تعرف

الخلق على الله تعالى، وضرورة اتباع الناس لهم .

توضيح ذلك :

إذا طلب النبي من أحد الأشخاص البحث والتعرف على الله واتباع سبيله .

فسيقول هذا الشخص للنبي: لماذا أبحث ولماذا أتعب نفسي من أجل التعرف

1 - انظر: غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ج 2، باب الكلام في العدل ، ص 71 . 72 .

كشف الفوائد ، العلامة الحلي: الباب الثالث ، الفصل الأول ، ص 248 .

نهج الحق ، العلامة الحلي: المسألة الثالثة، المبحث الحادي عشر ، المطلب الثاني، ص 84 .

على الله ، وما هو الدليل الذي يؤمني اتباع سبيلك ؟

فإذا كان دليل ذلك هو أنّ البحث وطلب المعرفة واتباع الرسل أمور يحكم بها العقل لأنّها أمورٌ حسنة ، وينهى عن تركها لأنّ تركها قبيح ، فأنا لا أعتقد بالحسن والقبح العقلي .  
وإذا كان دليل ذلك هو الشوع ، فأنا لا أثق بالشوع ، لأنّه من قولك ، وقولك لم يثبت عندي أنّ حجة ، لأنني لم أؤمن بك لحدّ الآن، فلا يجب عليّ اتباعك .

وبذلك لا تتمّ الحجّة على هذا الشخص ، فيلزم الاعتقاد بوجوب الحسن والقبح العقلي .

### النتيجة :

إنّ وجوب التوجّه إلى البحث والنظر ، ووجوب التعرف على الله تعالى ، ووجوب اتباع النبي أمورٌ عقلية لا

"شوعية"<sup>(1)</sup> .

### الدليل السادس :

لو كان الحسن ما حسنه الله تعالى .

ولو كان القبيح ما قبحه الله تعالى .

لم يكن فوق بين :

العدل والظلم .

فيجوز . في هذه الحالة . أن يظلم الله تعالى العباد .

لأنّ الظلم غير قبيح ذاتاً ، بل :

يكون الظلم حسناً فيما لو أمر الله تعالى به .

ويكون الظلم قبيحاً فيما لو نهى الله تعالى عنه .

1 - انظر: كشف الفوائد، العلامة الحلّي: الباب الثالث ، الفصل الأوّل ، ص249 .

نهج الحقّ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة ، المبحث الحادي عشر ، المطلب الثاني ، ص84 .

الرسالة السعدية ، العلامة الحلّي: القسم الأوّل ، المسألة السادسة، المبحث الأوّل ، ص55 .

(1) وهذا باطل بالضرورة .

بعبارة أخرى :



- لو كان الحسن ما حسنه الله تعالى فقط .
- ولو كان القبيح ما قبحه الله تعالى فقط .
- لم يقبح من الله شيء .

وتكون النتيجة :

- إنَّ كلَّ ما يفعله الله تعالى حسن ولو كان ذلك ظلماً .
- ولكن الله تعالى مؤزّه من الظلم .

### الدليل السابع :

- لو كان الحُسن والقبح مستنداً إلى الشروع فقط ، لم يكن فوق بين :
- ما عُلم قبحه من الشروع .
- وما عُلم قبحه من العقل .
- ولكننا نجد :

- إنَّ الشخص الذي يشكّ بالشروع فهو بالطبع :
- يشكّ في قبح ما علم قبحه من الشروع كقبح أكل لحم الميتة .
- ولا يشكّ في قبح ما علم قبحه من العقل كقبح الظلم والخيانة<sup>(2)</sup> .

- 
- 1 - انظر: كشف الفوائد، العلامة الحلّي: الباب الثالث، الفصل الأوّل، ص 249 .
  - نهج الحقّ ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة، المبحث الحادي عشر ، المطب الثاني ، ص 84 .
  - 2 - انظر: الياقوت في علم الكلام ، أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت: القول في العدل ، ص 45 .
  - إشراق اللاهوت ، عميد الدين العبيدلي: المقصد السابع، المسألة الأولى ، ص 307 .

الصفحة 61

### المبحث الثامن

#### إثبات الحسن والقبح العقليّين في القوان الكريم

توجد آيات قرآنية تدل بظاهرها على أنّ العقل البشوي قادر بذاته على إرواك حسن وقبح بعض الأفعال ، ومن هذه الآيات :

- 1 . {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفِتْنَةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمُ آيَاتُ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [ الأعراف: 28 ]

{ تَعْلَمُونَ } [ الأعراف: 28 ]

وجه الدلالة :

تبيّن هذه الآية بأنّ الكفار كانوا يفعلون القبائح مع اعزّافهم بقبحها ، ولكنهم يعتذرون عن ذلك بأنّ الله تعالى أوهم بها ، فأبطل الله تعالى مقاتلهم، وبيّن في هذه الآية بأنّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء .

**تنبيه :**

إنّ ظاهر قوله تعالى: **{ قُلْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ }** هو أنّ الله تعالى ينهى عن الفحشاء ، لأنّ الفحشاء قبيحة في نفسها ، لا أنّ الفحشاء تكون قبيحة بعد نهى الله تعالى عنها <sup>(1)</sup> .

2. **{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ } [ الأعراف: 33 ]**

وجه الدلالة :

تبيّن هذه الآية بأنّ الشريعة تحرّم ما يكون قبيحاً في نفسه .  
والفاحشة: "هي الفعلة أو الخصلة التي فحش قبحها في الفطر السليمة والعقول

---

1 - انظر: الموزان، العلامة الطباطبائي: ج 8 ، تفسير آية 10 . 25 من سورة الأعراف ، ص 59 .

الصفحة 62

الواجحة التي تميّز بين الحسن والقبيح والضرار والنافع" <sup>(1)</sup> .

**تنبيه :**

لو كان القبيح ما نهى عنه الشروع فقط . كما ذهب إليه الأشاعرة . :

فسيكون معنى قوله تعالى **{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ }** : "قل إنّما حرّم ربي ما حرّم" !  
وهذا المعنى بعيد عن الفصاحة والبلاغة .

3. **{ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ } [ الأعراف: 29 ]**

وجه الدلالة :

إنّ هذه الآية تشبه الآية السابقة في وجه الدلالة .

أي: لو كان القسط عبثاً عما أمر به الشروع فقط . كما ذهب إليه الأشاعرة . :

فسيكون معنى هذه الآية: "أمر ربي ما أمر به" !

وهذا المعنى بعيد عن الفصاحة والبلاغة .

فنستنتج بأنّ "القسط" حسن بذاته، ولهذا أمر الله تعالى به ، وليس "القسط" حسن لأنّ الله تعالى أمر به .

4. **{ وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [ لقمان: 13 ]**

وجه الدلالة :

إنّ تعليل قبح الشرك بأنّه ظلم عظيم يدل على أنّ قبح هذا الفعل تابع لملاك عقلي وهو قبح الظلم .  
فالشرك قبيح، لأنّه ظلم .

والظلم قبيح، لأنّه قبيح بذاته، وما هو قبيح بذاته لا يعلّل قبحه بعنوان آخر .

5 . { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجْتُونَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِمْ فِي } [الأعراف: 53]

1 - تفسير المنار، محمّد رشيد رضا : ج8 ، تفسير آية 33 من سورة الأعراف ، ص349 .

الصفحة 63

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ { [الأعراف: 157]

وجه الدلالة :

إنّ "المعروف" هو ما تعرّف العقول السليمة حسنه ، وتوتّاح له القلوب الطاهرة لموافقته للفطرة الإنسانية .

وإنّ "المنكر" هو ما تعرّف العقول السليمة قبحه ، وتشمئزّ منه القلوب الطاهرة لمنافوته للفطرة الإنسانية .

وأما تفسير "المعروف" بما أمرت به الشريعة .

وتفسير "المنكر" بما نهت عنه الشريعة .

(1)

فهو من قبيل تفسير الماء بالماء !

وإذا كان "المعروف" هو ما أمرت به الشريعة ، فسيكون معنى: { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ } أي: يأمرهم بما أمرهم به ! وهذا

المعنى غير صحيح .

وإذا كان "المنكر" هو ما نهت عنه الشريعة ، فسيكون معنى: { وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } أي: ينهاهم عما نهاهم عنه ! وهذا

المعنى غير صحيح .

فيثبت وجود ما هو حسن وقبيح قبل أمر الشراع ونهيه .

6 . { أَمْ فَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ } [المؤمنون: 115]

وجه الدلالة :

إنّ هذه الآية تحتجّ على منكوي القيامة ، وتبيّن لهم بأن إنكار القيامة يؤم كونه تعالى عابثاً في خلقه للإنسان .

ولا يتم هذا الاحتجاج إلا إذا كان العبث قبيحاً عندهم ، وكونه تعالى مؤمهاً عن فعل القبيح .

1 - تفسير القوان الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمّد رشيد رضا: ج9 ، تفسير آية 157 من سورة الأعراف ، ص193

(بتصوّف) .

الصفحة 64

وبما أنّ هؤلاء المنكرين لم يكونوا من المؤمنين بالرسالة ، فيكشف اعترافهم بقبح العبث أنّ هذا التقبيح نابع من عقولهم .

7 . { هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } [ الرحمن: 60 ]

وجه الدلالة :

يفيد الاستفهام الاستنكاري في هذه الآية "التأكيد".

وفيد سياق النفي والاستثناء في هذه الآية "الحصر".

وعليه فالآية تنص على أصل كلي ثابت في العقول وهو: "حسن جزاء الإحسان بالإحسان" و "قبح جزاء الإحسان بالإساءة"

8 . { أَ فَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمَجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } [ الفلم: 35 . 36 ]

وجه الدلالة :

تفيد هذه الآية قاعدة عقلية ثابتة، وهي حسن التفريق بين المحسن والمسيء وقبح التسوي بينهما .

وقد ترك الله تعالى في هاتين الآيتين القضاء والحكم إلى "العقل"، وهذا ما يدل على قوة "العقل" على التمييز بين الحسن

والقبح في هذه القضايا .

9 . { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ } [ ص: 28 ]

وجه الدلالة :

يشبه وجه الدلالة في هذه الآية ما ذكرناه في وجه دلالة الآية السابقة .

10 . { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ... } [ النحل: 90 ]

وجه الدلالة :

تبيّن هذه الآية وجود أمور توصف بالعدل والإحسان والفحشاء والمنكر قبل

الصفحة 65

تعلق الأمر والنهي الشوعي بها .

وتفيد هذه الآية بأنّ الإنسان يجد من صميم ذاته ومن دون استعانتته بالشروع اتّصاف بعض الأفعال بهذه الأوصاف ، بحيث

لا يكون دور الشروع في هذه الحالة سوى تأكيد إرواك العقل بالأمر بالحسن والنهي عن القبيح .

الصفحة 66

## المبحث التاسع

رأي الأشاعرة حول حسن وقبح الأفعال

وَأَلا :

رأي الأشاعوة حول الحسن والقبح الذاتي للأفعال :

- 1 . إنَّ الحسن والقبح صفات اعتبارية لجميع الأفعال "لأنَّ الأفعال كلها سواسية ، ليس شيء منها في نفسه [ حسن أو قبيح ] بحيث يقتضي مدح فاعله وثوابه ، ولا ذم فاعله وعقابه ، وإثما صرت كذلك بواسطة أمر الشروع بها ونهيه عنها"<sup>(1)</sup> .
- 2 . "لا حسن ولا قبح للأفعال قبل ورود الشروع"<sup>(2)</sup> .
- 3 . "ولو عكس الشروع القضية فحسن ما قبحه ، وقبح ما حسنه لم يكن ممتعا"<sup>(3)</sup> .
- 4 . لا يوجد أيُّ حسن أو قبح ذاتي للأفعال، بل "إنَّ الفعل أمرٌ به فحسنٌ، ونهيٌ عنه فقبح"<sup>(4)</sup> .
- 5 . "ما ورد الأمر به فهو حسن ، وما ورد النهي عنه فقبيح، من غير أن يكون للعقل جهة محسنة أو مقبحة في ذاته"<sup>(5)</sup> .
- 6 . "فإن قال: فإنما يقبح الكذب لأنَّه قبحه [ الشروع ] ، قيل له: أجل ولو حسنة

- 
- 1 - المواقف، عضد الدين الإيجي: ج3 ، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 5 ، ص270 .
  - 2- المصدر السابق: ص268 .
  - 3- المصدر السابق .
  - 4 - شوح المقاصد، سعدالدين التفتلاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5، المبحث 3، ص283.
  - 5 - شوح المقاصد، سعد الدين التفتلاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5، المبحث 3، ص282 .

الصفحة 67

لكان حسناً ، ولو أمر به لم يكن عليه اعتراض"<sup>(1)</sup> .

## ثانياً :

رأي الأشاعوة حول دور العقل في إرواكه وكشفه لحسن وقبح الأفعال من دون الاستعانة بالشروع:

- 1 . لا يستطيع العقل أن يدرك أو يكشف حسن وقبح الأفعال في جميع الأحوال ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها"<sup>(2)</sup> ، وينبغي الرجوع إلى الشروع من أجل معرفة حسن وقبح جميع الأفعال .
- 2 . "إنَّ العقل لا يحكم [ولا يمكنه العلم ] بأنَّ الفعل [ الفلاني ] حسن أو قبيح في حكم الله تعالى"<sup>(3)</sup> .

- 
- 1 - اللمع ، أبو الحسن الأشعوي: الباب السابع ، ص116 .
  - 2- المواقف، عضد الدين الإيجي : ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 5 ، ص268 .
  - 3 - شوح المقاصد ، سعد الدين التفتلاني، ج4 ، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 3، ص282 .

الصفحة 68

## أدلة الأشاعرة على إنكار

الحسن والقبح العقليين ومناقشتها

### الدليل الأول :

لو كان العقل هو الذي يحكم بحسن وقبح بعض الأفعال ، لما حصل تفاوت:

بين حكم العقل في مجال التحسين والتقييح .

وبين حكم العقل بأن الواحد نصف الاثنين .

ولكن وقع الخلاف ، وهذا ما يدل على نفي كون التحسين والتقييح عقليين (1) .

### يرد عليه :

إنّ هذا الاستدلال مبني على أصل خاطئ وهو عدم وجود التفاوت في حكم العقل ، في حين ينقسم حكم العقل إلى عدة أقسام

تفاوت فيما بينها (2) .

ولا يصح القول بأنّ اختلاف العقلاء وتفاوتهم في الحكم بحسن أو قبح شيء، يؤدّي إلى إخراج هذا الحكم عن كونه حكماً

عقلياً .

بعبارة أخرى :

إنّ أحكام العقل تنقسم تبعاً لأقسام العلوم اليقينية إلى عدة أقسام .

وإنّ هذه الأحكام العقلية المتعدّدة ليست على نمط واحد، بل لها مراتب

---

1 و 2 ) انظر: كشف الغراد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الأولى ، ص 419 .

رشاد الطالبين، مقداد السيوري: احتجاج الأشاعرة على نفي الحسن والقبح العقلي ، ص 259 .

الصفحة 69

ووجات بحيث تكون بعض أحكام العقل أوضح وأكثر بداهة من البعض الآخر (1) .

### أقسام العلوم اليقينية (2) :

1 . الأوليات: وهي ما يحكم بها العقل من دون توسط شيء آخر معها.

المثال: حكم العقل بأنّ الواحد نصف الاثنين .

2 . المشاهدات: وهي ما يحكم بها العقل بواسطة الحسّ .

المثال: حكم العقل بوجود زيد" في المسجد بعد رؤيته فيه .

3 . التجريبات: وهي التي يكون مبدأ الحكم بها التجربة التي يزول معها الشكّ .

المثال: حكم العقل بوجود جاذبية في الأرض .

4 . الحدسيات: وهي التي يكون مبدأ الحكم بها حدس في النفس يزول معه الشكّ .

المثال: حكم العقل بأنّ نور القمر مستفاد من الشمس .

5 . المتواترات: وهي التي تسكن إليها النفس سكوناً يزول معه الشكّ ويحصل الجزم القاطع بواسطة إخبار جماعة يمتنع

تواطؤهم على الكذب .

المثال: حكم العقل بوجود بلدة تسمى الهند .

### مواتب العلوم اليقينية<sup>(3)</sup> :

إنّ "الأوليّات" أكثر بداهة من "المشاهدات" .

وإنّ "المشاهدات" أكثر بداهة من "التجربيات" .

وإنّ "التجربيات" أكثر بداهة من "الحدسيات" .

وإنّ "الحدسيات" أكثر بداهة من "المتواترات" .

1 - انظر: قواعد الغوام ، ميثم الجواني: القاعدة الخامسة، الركن الأول ، البحث الثاني، ص105 .

مناهج اليقين ، العلامة الحلّي : المنهج السادس ، ص233 .

2 - المنطق ، محمّد رضا المظفر: الجزء الثالث ، الباب السادس: الصناعات الخمس، ص314 . 323 .

3 - انظر: الفوائد البهية ، محمّد حمود العاملي: ج1 ، الفصل الأوّل ، الباب الرابع ، ص283 .

الصفحة 70

### ردّ الفلاسفة على دليل الأشاعرة<sup>(1)</sup> :

إنّ الأشاعرة قاسوا مسألة الحسن والقبح مع مسألة أنّ الواحد نصف الاثنين .

وهذا قياس مع الفرق لأنّ :

الحاكم في قضية "الحسن والقبح" هو "العقل العملي" .

والحاكم في قضية "الواحد نصف الاثنين" هو "العقل النظري" .

### الفرق بين العقل النظري والعقل العملي<sup>(2)</sup> :

إنّ الفرق بينهما يعود إلى تفاوت المركات .

فإذا كانت المركات من الأمور النظرية التي لا صلة لها بالعمل والفعل ، سُمّي العقل عقلاً نظرياً .

وإذا كانت المركات من الأمور العملية التي "ينبغي" أو "لا ينبغي" أن تفعل ، سُمّي العقل عقلاً عملياً .

## الدليل الثاني للأشاعة على إنكار الحسن والقبح العقليين :

لو كان الحسن والقبح ذاتيين :

لما جاز أن ينقلب الحسن قبيحاً .

ولما جاز أن ينقلب القبيح حسناً .

لكنه ينقلب .

وهذا ما يدل على عدم كون الحسن والقبح ذاتيين <sup>(3)</sup> .

مثال :

إنّ الكذب . كفعل قبيح عقلا . قد يحسن فيما لو اشتمل على مصلحة عامة من قبيل إنقاذ نبي من يد ظالم .

وإنّ الصدق . كفعل حسن عقلا . قد يقبح فيما لو اشتمل على مفسدة عامة من قبيل هلاك نبي على يد ظالم <sup>(4)</sup> .

1 - انظر: قواعد العقائد، نصير الدين الطوسي: الباب الثالث ، ص63 .

2 - انظر: الفوائد البهية ، محمّد حمود العاملي: ج1 ، الفصل الأوّل ، الباب الرابع ، ص282 . 284 .

3 و 4 ) انظر: شوح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 3 ، ص 284 .

المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 5 ، ص 275 .

الصفحة 71

## النتيجة :

لو كان حسن الصدق وقبح الكذب ذاتياً لما زال هذا الحسن والقبح ، ولما حسن الكذب وقبح الصدق أبداً .

## يرد عليه :

الرأي الأوّل :

إنّ الكذب . في الصورتين المذكورتين . باق على قبحه .

وإنّ الصدق . في الصورتين المذكورتين . باق على حسنه .

إلا أنّ إنقاذ النبي رُجح من الصدق .

وإنّ ترك إنقاذ النبي أقبح من الكذب .

فيحكم العقل بلرتكاب أقل القبيحين . وهو الكذب . تخلصاً من ارتكاب الأقباح وهو هلاك النبي <sup>(1)</sup> .

بعبارة أخرى :

ألف . إنّ قبح الكذب لا يزول أبداً .

وإنّ القول بحسن الكذب عند اشتماله على مصلحة عامة ليس لكونه كذباً ، بل لاشتماله على المصلحة العامة، فيكون الحسن



للمصلحة العامة لا للكذب.

ب . إنَّ حسن الصدق لا يزول أبداً .

وإنَّ القول بقبح الصدق عند اشتماله على مفسدة عامة ليس لكونه صدقاً ، بل لاشتماله على المفسدة العامة ، فيكون القبح

للمفسدة العامة لا للصدق .

1 - انظر: كشف المراد ، العلامة الحلِّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث، المسألة الأولى ، ص 419 . 420 .

رشاد الطالبين، مقداد السيوري: احتجاج الأشاعرة على نفي الحسن والقبح العقلي، ص 259 . 260 .

الصفحة 72

### النتيجة :

لا ينقلب الحسن قبيحاً، ولا ينقلب القبيح حسناً في هذا المقام .

بل "الحسن" باق على حسنه، و"القبيح" باق على قبحه .

ولهذا لا يدل مثال الأشاعرة على عدم كون الحسن والقبح ذاتيين .

الرأي الثاني :

إنَّ هذا الاستدلال مبني على اعتبار قبح الكذب وحسن الصدق كقبح الظلم وحسن العدل ذاتيان لا يتغوران .

ولكن قبح الكذب وحسن الصدق . في الواقع . ليسا ذاتيين، بل هما من الأمور التي تتغير بتغير العولض التي تطأ عليها

(1)

بعبارة أخرى :

إنَّ "الحسن" و "القبح" ليسا ذاتيين لعنواني "الصدق" و "الكذب".

لأنَّ "الصدق" و "الكذب" من الأمور التي يختلف حسنهما وقبحهما بالوجه والاعتبارات .

فلا يوصف "الصدق" و "الكذب" بالحسن والقبح إلا بتوسيط عنوان آخر بحيث يكون الحسن أو القبح ذاتياً لهذا العنوان

وعوضياً لعنوان الصدق والكذب .

توضيح ذلك :

1 . إنَّ ما يحكم به العقل هو "حسن الصدق النافع" و"قبح الكذب الضار" فقط ، وأما الصدق والكذب المذكوران في مثال

الأشاعرة خرجان عن البحث .

2 . إنَّ عنوان الكذب ليس علّة تامّة للقبح، بل مقتضياً له .

وإنَّ وصف الكذب بالقبح مشروط بأن لا يطء عليه عنوان آخر أقبح منه كهلاك النبي ونحوه .

1 - انظر: بداية المعرف الإلهية، محسن الخوري: ج1، عقيدتنا بالعدل ، ص108 .

2 - من أمثلة العناوين التي تمتلك الحسن والقبح الذاتي: "العدل" و"الظلم" .

الصفحة 73

### الدليل الثالث للأشاعرة على إنكار الحسن والقبح العقليين :

لو كان الحسن والقبح ذاتيين لزم اجتماع الحسن والقبح في شيء واحد وهو قول القائل: "لأكذبن غداً" لأن هذا القائل :

ألف . إذا وفى بوعده غداً وكذب ، فسيكون فاعلاً . في نفس الوقت . للفاعل :

1 . الحسن ، وهو الوفاء بالوعد .

2 . القبيح ، وهو الكذب .

ب . إذا أخلف بوعده غداً وترك الكذب، فسيكون فاعلاً . في نفس الوقت . للفاعل:

1 . الحسن ، وهو ترك الكذب .

2 . القبيح ، وهو خلف الوعد .

فيكون هذا القول متضمناً للحسن والقبح في آن واحد .

وهذا ما يدل على أنّ الحسن والقبح أمران اعتباريان وغير ذاتيين ، لأنّهما لو كانا ذاتيين لما اجتماعاً في شيء واحد <sup>(1)</sup> .

**يرد عليه :**

الرأي الأول :

إنّ اجتماع الحسن والقبح في الشيء الواحد لا يدل على كون الحسن والقبح غير ذاتيين إلا إذا كان هذا الاجتماع من جهة

واحدة .

ولكن اجتماع الحسن والقبح في قول القائل: "لأكذبن غداً" ليس من جهة واحدة ليثبت به مدعى الأشاعرة ، بل هو من جهتين

، فلا يثبت به نفي ذاتية الحسن والقبح .

1 - انظر : شرح المقاصد ، سعد الدين التفتزاني : ج4 ، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 3 ، ص 284 .

المواقف، عضد الدين الإيجي ، شوح: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 5 ، ص 275 . 276 .

الصفحة 74

توضيح ذلك :

إنّ عدم عمل هذا الشخص بقوله "لأكذبن غداً" يشتمل على جهتين:

1 . حسن ، من حيث إنّه ترك الكذب .

2 . قبيح ، من حيث إنّه أخلف الوعد .

وإن عمل هذا الشخص بقوله "لأكذب غداً" يشتمل على جهتين:

1 . حسن ، من حيث إنّه وفي بوعده .

2 . قبيح ، من حيث إنّه كذب .

فالحسن والقبح . في هذا المقام . يختلفان من ناحية الجهة .

ولهذا لا يكون وصف الحسن والقبح . هنا . للشيء الواحد من جهة واحدة، ليستلزم القول بأنّ الحسن والقبح أمران

(1) . اعتباريان وغير ذاتيين .

### الموقف الصحيح :

إنّ هذا الشخص يجب عليه . بحكم العقل . ترك الكذب غداً ، لأنّه :

1 . إذا كذب غداً ، فقد فعل فعلين قبيحين وفعل حسناً واحداً :

الفعل القبيح الأول: الغم على الكذب .

الفعل القبيح الثاني: الكذب .

الفعل الحسن: الوفاء بالوعد .

2 . إذا ترك الكذب غداً ، فقد فعل فعلين حسنين وفعل قبيحاً واحداً:

الفعل الحسن الأول: ترك الغم على الكذب .

الفعل الحسن الثاني: ترك الكذب .

الفعل القبيح: خلف الوعد .

ويحكم العقل . في هذه الحالة . باجتنب أكثر هذين الموردين قبحاً، فيتعيّن على هذا الشخص القائل: "لأكذب غداً" أن يتوك

الكذب غداً ، لأنّ ذلك أقلّ قبحاً

---

1 - انظر: لرشاد الطالبين، مقداد السيوري: احتجاج الأشاعرة على نفي الحسن والقبح، ص 260 .

الصفحة 75

(1) من المورد الآخر .

### النتيجة :

لا يكون اجتماع الحسن والقبح . في هذا المقام . من جهة واحدة ليستلزم الدلالة على أنّ الحسن والقبح غير ذاتيين، بل هو

اجتماع من عدّة جهات وعدّة حيثيات .

ويكون حكم العقل . في مثل هذه المورد . لزوم اجتناب أكثر المورد قبحاً .

الرأي الثاني :

لا يستتزم قول: "لأكذب غداً" اجتماع الحسن والقبح في شيء واحد ، بل هو كلام قبيح مطلقاً ، وينبغي لقائله أن يتوك

الكذب غداً .

وأما مسألة خلف الوعد :

فليس الوفاء بالوعد . في هذا المقام . حسناً ليكون تركه قبيحاً .

لأنّ الحسن إنّما يحسن فيمالو لم يستتزم القبيح .

وإنّ الوفاء بالوعد . هنا . يستتزم القبيح (وهو الكذب) ، فيكون قبيحاً وينبغي الاجتناب عنه .

### تنبيه :

إنّ استدلال الأشاعرة في هذا المقام مبني . كاستدلالهم السابق . على كون:

حسن "الصدق" وحسن "الوفاء بالوعد" مثل حسن "العدل" .

وقبح "الكذب" وقبح "خلف الوعد" مثل قبح "الظلم" .

ولكن هذين الحسنين والقبيحين يختلفان .

لأنّ حسن "العدل" وقبح "الظلم" يجب الائتام بهما دائماً .

ولكن حسن وقبح المورّد المذكورة في هذا الاستدلال لا يجب الائتام بهما فيما لو تعرضا مع حسن وقبح النوع الأوّل

(أي: إذا تعرضا مع العدل والظلم) .

توضيح :

1- انظر: مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، المبحث الأوّل ، ص234 .

الصفحة 76

إنّ "العدل" حسن دائماً ، ولهذا ينبغي الائتام به في جميع الأحوال .

وإنّ "الظلم" قبيح دائماً ، ولهذا ينبغي الاجتناب عنه في جميع الأحوال .

وأما "الصدق" فهو "حسن" ، ولكنه إذا أدّى إلى الظلم فيجب الاجتناب عنه .

وأيضاً "الكذب" فهو "قبيح" ، ولكن إذا استوجبه العدل فيجب العمل به .

### الدليل الرابع للأشاعرة على إنكار الحسن والقبح العقليين :

لو كان حُسن بعض الأفعال وقبحها ثابتاً بالعقل قبل الشروع لزم القول:

باستحقاق العقاب لتترك ما يستوجبه العقل .

واستحقاق العقاب لمرتكب ما يستقبحه العقل .

ولكن الله تعالى نفى استحقاق العقاب والتعذيب قبل بعثه للرسول بقوله تعالى :<sup>(1)</sup>

الآية الأولى :

{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } [ الإِسْوَاء: 15 ]

**الورد على تفسير الأشاعرة :**

- 1 . يدل ظاهر سياق هذه الآية على أنّ العواد من التعذيب في هذه الآية هو التعذيب الدنوي المتمثل بعذاب الاستئصال ، وليس المقصود منه العذاب الأخروي<sup>(2)</sup> .
- 2 . إنّ هذه الآية لا تدل على نفي حجية تحسين وتقييح العقل ، بل تكشف عن امتنان من الله تعالى على العباد واقتضاء العناية الإلهية أن لا يعذب قوماً (سواء كان هذا العذاب من نوع العذاب الاستئصالي أو العذاب الأخروي) إلا بعد أن يبعث إليهم رسولا يؤكد عليهم الحجّة إضافة إلى الحجّة العقلية التي تمت عليهم قبل مجيء الشوع<sup>(3)</sup> .

- 1 - انظر: شوح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4 ، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 3 ، ص284 .
- 2 - للمزيد راجع: المزان ، العلامة الطباطبائي: ج13، تفسير آية 15 من سورة الإِسْوَاء، ص57 . 58 .
- 3- انظر: المصدر السابق .

الصفحة 77

الآية الثانية :

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكُ الْقَوَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَارِ رَسُولًا } [ القصص: 59 ]

**الورد على تفسير الأشاعرة :**

- إنّ هذه الآية أيضاً . كالأية السابقة . يدل سياقها على بيان السنة الإلهية في عذاب الاستئصال . وقد بينت هذه الآية بأن عذاب الاستئصال لا يقع امتناناً منه تعالى إلا بعد تأكيد الحجّة على أهل القوى برسال الوسل .
- الآية الثالثة :

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةً بَعْدَ الرُّسُلِ } [ التّسَاء: 165 ]

**الورد على تفسير الأشاعرة :**

- 1 . لا تدل هذه الآية على نفي حجية تحسين وتقييح العقل ، بل تدل على أنّ في رسال الوسل "إتماماً لأوام الحجّة لئلا يقول الناس [ لله تعالى ] : لولا أرسلت إلينا رسولا يوصل إلى المحجّة وينبّه على الحجّة ويوقظ من سنة الغفلة"<sup>(1)</sup> .
  - 2 . إنّ الاعتقاد بالرسول لا يتم إلا عن طويق العقل ، لأنّ صدق الرسول لا يمكن الاعتقاد به إلا عن طويق حكم العقل .
- بعبارة أخرى :

لو كانت الحجّة الإلهية لا تتم إلا بالرسول لاحتاج هذا الرسول لإثبات لزوم اتباعه إلى رسول آخر ، والكلام في رسوله

(2)

- كالكلام فيه حتى يتسلسل وهو باطل . ولهذا لا سبيل لإثبات لزوم اتباع الرسول الإلهي إلا عن طريق حجة العقل .  
ولهذا قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

1 - تفسير جوامع الجامع ، الشيخ الطوسي: ج 1 ، تفسير آية 165 من سورة النساء ، ص 462 .

2 - انظر مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج 3 ، تفسير آية 165 من سورة النساء، ص 218 .

الصفحة 78

"حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل" (1)

وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام):

"إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسول والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ، وأما الباطنة فالعقول" (2) .

### الدليل الخامس للأشاعة على إنكار الحسن والقبح العقليين :

1 . لو كان "الحسن" أمراً ذاتياً لبعض الأفعال ، وهو الداعي للعمل بها:

فسيكون الداعي (وهو "حسن" الفعل) سابقاً على "الفعل".

أي: يكون المعنوم (وهو "الحسن" الذي سيحققه هذا الفعل) هو الذي يدفع الإنسان إلى تحقق هذا الفعل .

فيؤزم ذلك قيام الموجود بالمعنوم وهو باطل ، فيثبت بطلان كون "الحسن" أمراً ذاتياً للفعل (3) .

2 . لو كان "القبح" أمراً ذاتياً لبعض الأفعال ، وهو الصلرف عن العمل بها :

فسيكون الصلرف (وهو "قبح" الفعل) سابقاً على "الفعل" .

أي: يكون المعنوم (وهو "القبح" الذي سيحققه هذا الفعل) هو الذي يردع الإنسان عن تحقق هذا الفعل .

فيؤزم ذلك قيام الموجود بالمعنوم وهو باطل ، فيثبت بطلان كون "القبح" أمراً ذاتياً للفعل (4) .

### يرد عليه :

1 . ليس "الداعي" . في هذه الحالة . هو "الحسن" بنفسه ليقال: يؤزم ذلك قيام الموجود بالمعنوم ، بل :

1- الأصول من الكافي، الشيخ الكليني: ج 1 ، كتاب العقل والجهل، ج 22 ص 25 .

2- المصدر السابق: ج 12، ص 16 .

3 - انظر: شوح المقاصد، سعد الدين التفتازاني: ج 4 ، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 3 ، ص 289 .

4- انظر: المصدر السابق .

الصفحة 79

إنّ "الداعي" هو علم الشخص بأنّه إذا فعل هذا الفعل فإنه سيفعل ما هو "حسن" ، وسيستحق بذلك "المدح" ، وهذا "العلم" أمر وجودي .

2 . ليس "الصرّف" . في هذه الحالة . هو "القبح" بنفسه ليقال: يؤم ذلك قيام الموجود بالمعدوم ، بل:

إنّ "الصرّف" هو علم الشخص بأنّه إذا فعل هذا الفعل فإنه سيفعل ما هو "قبيح" ، وسيستحق بذلك "الذم" ، وهذا "العلم" أمر وجودي (1) .

### الدليل السادس للأشاعة على إنكار الحسن والقبح العقلي :

"إنّ الذي عقلناه من معنى الحسن ، ما يكون نفعاً أو مؤدياً إليه .

والذي عقلناه من معنى القبح ما يكون ضرراً أو مؤدياً إليه .

والرغبة في المنفعة ، والرغبة عن المضوّة إنّما يعقل حصولهما في حقّ من يصح عليه النفع والضرر .

ولمّا كان ذلك في حقّ الله تعالى محالاً ، كان القول بثبوت الحسن والقبح في حقّ الله محالاً" (2) .

### يرد عليه :

لا يعني حسن وقبح أفعال الله تعالى حصول المنفعة والمضوّة له تعالى ، لأنّ الله عزّ وجلّ مؤهّب عن ذلك ، وانما المنفعة والمضوّة متوجّهة لغوه من مخلوقاته.

ومن هذا المنطلق:

إنّ الفعل الإلهي الذي فيه المنفعة لغوه يوصف بالحسن .

وإنّ الفعل الإلهي الذي فيه مضوّة لغوه يوصف بالقبح .

ويحكم العقل بأنّه تعالى حكيم:

وأنّ كلّ أفعال الله تعالى فيها منفعة لمخلوقاته .

1- انظر: المصدر السابق .

2 - المطالب العالية، فخر الدين الرلي: ج3، الباب التاسع ، الفصل السابع ، ص290 .

الصفحة 80

وأنّ كلّ أفعال الله تعالى مؤهّبة عن المضوّة لمخلوقاته .

فيثبت بذلك الحسن والقبح للفعل الإلهي .

### الدليل السابع للأشاعة على إنكار الحسن والقبح العقلي :

إنّ الاعتقاد بوجود الحسن والقبح الذاتي يستلزم وجوب:

قيامه تعالى ببعض الأفعال .  
واجتنابه تعالى عن البعض الآخر .  
ويتضمّن هذا الأمر تقييد الله تعالى في أفعاله ونفي حرّيته المطلقة .  
ولهذا ينبغي حفاظاً على "الحرّية الإلهية المطلقة" إنكار وجود "الحسن والقبح الذاتي".

### يرد عليه :

1 . إنّ القول بالحسن والقبح الذاتي لبعض الأفعال

وضرورة فعله تعالى لبعض الأفعال الحسنة

وضرورة اجتنابه عن الأفعال القبيحة

لا يعني فرض التكليف على الله تعالى .

بل يعني أنّ العقل يكتشف عن طويق التدبّر في صفاته تعالى أنّه حكيم، وتقتضي حكمته تعالى أن يفعل ما يليق بها وأن يجتنب عما لا يليق بها .

2 . إنّ الحرّية الإلهية مزهّة عن النقائص والقبايح، ولهذا لا ينبغي أن يدفعنا الحفاظ على حرية الله تعالى إلى نسبة الأمور القبيحة إليه تعالى .

### المبحث الحادي عشر

#### أقوال بعض أهل السنة

الموافقين للحسن والقبح العقلي

1 . قال سعد الدين التفتازاني: "ذهب بعض أهل السنة وهم الحنفية إلى أنّ حسن بعض الأشياء وقبحها مما يدرك بالعقل ... كجوب أول الواجبات، وجوب تصديق النبي، وحرمة تكذيبه دفعاً للتسلسل ..."<sup>(1)</sup>

2 . الماتريدي، ومن أقواله الدالة على موافقته للحسن والقبح العقلي:

وَألا: "ما حسنه العقل وقبحه ليس له زوال ولا تغيير من حال إلى حال"<sup>(2)</sup> .

ثانياً: "ما يدرك حسنه بالعقل وقبحه ، فلا زال يزداد على ما فيه إواكه ببديهة الأحوال ، ولذلك جعل الله العقول

حجة"<sup>(3)</sup> .

ثالثاً: "وبعد، فإنّه قد حسن في العقول الصدق والعدل ، وقبح فيها الجور والكذب ...

العقول آتية بكسب ما يعلي شرف من رزق منها ، ونهاية عما فيه هوان صاحبها، فيجب الأمر والنهي بضرورة

العقل"<sup>(4)</sup> .



3 . ابن قيم الجوزية: ومن أقواله الدالة على موافقته للحسن والقبح العقلي:

وَأَمَّا : "فإن قيل: فما جوابكم عن الأدلة التي نكوها نفاة التحسين والتقبيح على كثرتها؟ قيل: قد كفونا بحمد الله مؤونة

إبطالها بقدهم فيها، وقد أبطلها كلها

1 - شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني: ج4 ، الفصل 5 ، المبحث 3 ، ص293 .

2- كتاب التوحيد، أبو منصور الماتريدي: مسألة في أفعال الخلق وإثباتها، ص223 .

3- المصدر السابق: ص223 . 224 .

4 - المصدر السابق: مسألة إثبات الوسالة وبيان الحاجة إليها، ص178 .

الصفحة 82

واعترض عليها فضلاء أتباعها وأصحابها... (1) .

ثانياً : "إنّ الكذب لا يكون قط إلا قبيحاً ... إن تخلف القبح عن الكذب لفوات شرط أو قيام مانع يقتضي مصلحة راجحة

على الصدق لا تخرجه عن كونه قبيحاً لذاته" (2) .

4 . قال فخر الدين الوري: "المختار عندنا: أنّ تحسين العقل وتقبيحه بالنسبة إلى العباد معتبر، وأما بالنسبة إلى الله تعالى

فهو باطل .

أما إثباته في حقّ العباد فيدل عليه وجوه:

الأول :

إنّا زى أنّ العقلاء قبل علمهم بالشوائع والنوبات مطبقون على حسن مدح المحسن، وحسن ذم المسيء .. وهذا الحكم

حاصل ، سواء كان ذلك الإنسان مؤمناً يصدق بالأنبياء أو لم يكن كذلك ، فعلمنا أنّ هذا الحسن مقررّ في عقولهم .

الثاني :

لا معنى للقبح الشرعي إلا أنّ ينهى الشرع عن ذلك الفعل ، فيقول العقل: هل يجب الانتهاء عما نهى الشرع ؟

فإن قضى بذلك فالحسن والقبح العقليان قد ثبتا .

وإن لم يقض العقل بذلك فيحتاج الأمر حينئذ إلى إيجاب آخر .

فإن كان هذا الإيجاب من الشرع ، فالكلام فيه كما في الأول ، فيلزم التسلسل وهو محال ، فيثبت ضرورة الاعتقاد بالحسن

والقبح العقليين .

الثالث :

لابدّ من الاعتراف بوجود شيء يكون مطلوباً لذاته .

ولابدّ من الاعتراف بوجود شيء يكون مكروهاً لذاته .

وهذا الحكم ثابت في محض العقول سواء حصلت الشريعة أو لم تحصل".

1 - مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية: ج2، ص342 .

2- المصدر السابق: ص354 . 355 .

3 - انظر: المطالب العالمة، فخر الدين الوري: ج3، الباب التاسع ، الفصل السابع ، ص289 . 290 .

ثم بين "فخر الدين الوري" بعض الأدلة في إثبات بطلان تحسين العقل وتقبيحه بالنسبة إلى أفعال الله تعالى، وهذه الأدلة منها ما هي بعيدة عن إثبات مدعاه، ومنها ما بيّننا الورد في البحث السابق .

الصفحة 83

5 . إنّ الأمر الملفت للنظر من "عضد الدين الإيجي" أنه ذكر في كتابه "المواقف" حول دليل الأشاعرة على امتناع صدور

الكذب من الله عزّ وجلّ: "إنه (أي: الكذب منه تعالى) نقص، والنقص على الله تعالى محال" (1) .

ثمّ علّق "الإيجي" بنفسه على كلامه هذا، وقال:

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ لِي فَرْقٌ بَيْنَ النِّقْصِ فِي الْفِعْلِ وَبَيْنَ الْقَبْحِ الْعَقْلِيِّ، فَإِنَّ النِّقْصَ فِي الْأَفْعَالِ هُوَ الْقَبْحُ الْعَقْلِيُّ بَعِينَهُ، وَإِنَّمَا

تختلف العبارة! (2) .

ثمّ علّق شلح كتاب "المواقف" الشريف الجرجاني" على هذه العبارة، وقال:

"فأصحابنا المنكرون للقبح العقلي كيف يتمسكون في دفع الكذب ... عن الله تعالى بلزوم النقص في أفعاله تعالى؟" (3) .

1 - كتاب "المواقف" ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، الموصد 4، المقصد 7، ص140 .

2- المصدر السابق .

3- المصدر السابق .

الصفحة 84

### الفصل الثالث

## وجود الغرض والغاية في

## أفعال الله تعالى

معنى الغرض والغاية

وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

أدلة وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى  
غرض وغاية الله تعالى من خلق الإنسان  
مناقشة رأي الأشاعرة حول غرض وغاية الفعل الإلهي

الصفحة 85

الصفحة 86

الصفحة 87

## المبحث الأول

### معنى الغرض والغاية

**معنى الغرض والغاية (في اللغة) :**

- (1) "الغرض" هو الهدف والقصد .  
(2) "الغاية" هي أقصى الشيء ومنتهاه .

**معنى الغرض والغاية (في الاصطلاح العقائدي) :**

يطلق "الغرض والغاية" اصطلاحاً على الشيء الذي يقصده الفاعل المختار من وراء عمله ، وهي الفائدة التي ينظر إليها الفاعل قبل قيامه بالفعل ، ثم يجعل الفعل وسيلة للظفر بتلك الفائدة .  
وهذه الفائدة التي يطلق عليها "الغرض" و"الغاية" تصبح الهدف للقيام بالفعل ، وهي التي يؤدي الفاعل فعله من أجل الوصول إليها (3) .

**تنبيه :**

إنّ المراد من "الغرض" و"الغاية" ليس "الهدف" و"المقصود" فحسب ، بل المراد "الهدف" و"المقصود" النافع الذي يستحق عقلا القيام بالفعل من أجل تحقيقه .  
ومن هذا المنطلق ، إذا قام شخص بفعل له "هدف" ، ولكن لم يكن لهذا الفعل هدف "عقلاني" ، فسيقول العقلاء حول هذا الفعل : إنّه عبث . ويتسامحون أحياناً في

1 و 2 ) انظر: لسان العرب ، ابن منظور : مادة (غرض) و(غيا) .

3 - انظر: معرف القوان ، (معرفة الله) ، محمد تقي المصباح: هدف الأفعال الإلهية، ص 225 . 226 .

الصفحة 88

(1)

التعبير فيقولون: إنّه من دون هدف، أي: أنّه ليس له هدف ذو قيمة .

1 - انظر: معارف القرآن، (معرفة الله)، محمد تقي المصباح، تعريب: محمد عبدالمنعم الخاقاني: هدف الأفعال الإلهية: ص226 .

الصفحة 89

## المبحث الثاني

### وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

إنّ الله تعالى لا يفعل شيئاً إلا لغرض وغاية وحكمة مقصودة<sup>(1)</sup> .

#### تنبيهات :

- 1 . إنّ غرض الفعل الإلهي قد يكون واضحاً لعباده وقد يكون خفياً ، ولكنه تعالى في جميع الأحوال لا يفعل إلا لغرض وغاية وحكمة مقصودة.
- 2 . إنّ غرض الفعل الإلهي يقتصر على نفع الغير لا إيضاره، لأنّ الإضرار قبيح ، والله تعالى موه عن فعل القبيح<sup>(2)</sup> .
- 3 . إنّ غرض الفعل الإلهي لا يعود على الله تعالى بالمنفعة ، لأنّه تعالى غني بالذات وكامل من جميع الجهات، وهو غير محتاج لشيء ، وإنّما تعود منفعة الغرض والغاية للمخلوقات<sup>(3)</sup> .

- 1 - انظر: قواعد العوام ، ميثم البرواني: القاعدة الخامسة، ولكن الأول ، البحث الرابع، ص110 .  
نهج الحق ، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة، المبحث الحادي عشر، ص74 .
- 2 - انظر: النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع: في العدل، ص71 .
- 3 - انظر: تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث، ص198 .  
كشف الفوائد، العلامة الحلّي: الباب الثالث ، الفصل الأول ، ص257 .



## المبحث الثالث

## أدلة وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى

## الأدلة العقلية :

- 1 . إن نفي الغرض والغاية عن أفعاله تعالى يتنافى مع حكمته تعالى ، لأنّ فعل الشيء من دون غرض أو غاية عبث ، والحكيم لا يصدر منه العبث <sup>(1)</sup> .
- 2 . يؤم نفي الغرض والغاية عن الفعل الإلهي :  
عدم قصده تعالى جميع المنافع التي جعلها الله تعالى منوطة بالأشياء .  
فلا يكون خلق العين للإبصار .  
ولا خلق الأذن للسمع .  
ولا اليد للعمل .  
ولا الرجل للمشي .  
بل يكون خلق جميع هذه الجوارح والأعضاء عبثاً ، وهذا خلاف الواقع <sup>(2)</sup> .
- 3 . يؤم نفي الغرض والغاية عن الفعل الإلهي :  
عدم الجرم بصدق دعوى الأنبياء .  
لأنّ من أدلة إثبات صدق النبوة: إظهار الله "المعجزة" على يد مدعي النبوة .  
فلو أنكونا وجود الغرض والغاية في الفعل الإلهي .  
فسيكون إظهار الله المعجزة على يد النبي لغير غرض وغاية .

---

1 - انظر: تجريد الاعتقاد، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، ص198.

كشف الرواد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الرابعة، ص422.

النافع يوم الحشر، مقدار السيوري: الفصل الرابع: في العدل ، ص70 .

2- انظر: نهج الحق، العلامة الحلّي: المسألة الثالثة، مبحث أن الله تعالى لا يفعل القبيح ، ص90 . 91 .

ولا يكون غرض وغاية الله من هذه المعجزة إثبات صدق ادعاء النبوة .  
فيكون النبي . في هذه الحالة . كاذباً في ادعائه بأن الله تعالى أظهر على يده المعجزة لغرض التصديق به .

لأنّ لقائل أن يقول له: بأنّ أفعال الله ليس لها غرض وغاية .  
والمعجزة من فعل الله .

فكيف أصبح لها غرض وغاية لتدّعي أنّ الغرض والغاية منها إثبات نبوتك ؟  
فلا يكون . بعد هذا . سبيل لتصديق دعوى الأنبياء .  
(1)  
وهذا باطل .

4 . يؤرم نفي الغرض والغاية عن فعله تعالى أن لا تكون:  
إثابة الله المطيع لطاعته .

ولا معاقبة الله العاصي لعصيانه .

بل يكون ثواب الله تعالى وعقابه من دون غرض .

فلهذا لا يكون عند الله فوقّ بين "المؤمن" وبين "الكافر" في الثواب والعقاب .  
(2)  
وهذا ما ينافي العدل الإلهي .

5 . يؤرم نفي الغرض والغاية عن الفعل الإلهي:

أن يكون تكليفه تعالى للعباد لغير إفادتهم في الدنيا أو الآخرة .

فيكون الله عزّ وجلّ ظالماً للعباد .

(3)  
وهو تعالى مزه عن ذلك .

6 . يؤرم نفي الغرض والغاية في الفعل الإلهي مخالفة الكتاب العزيز وتكذيب القرآن الكريم ، لأنّ الله تعالى بينّ في محكم

كتابه العديد من الآيات الدالة على

---

1- انظر: نهج الحقّ، العلامة الحليّ: المسألة الثالثة: ص 91 . 92 .

2- انظر: المصدر السابق: ص 94 .

3 - انظر: الرسالة السعدية، العلامة الحليّ: القسم الأوّل ، المسألة السادسة، البحث الرابع ، ص 62 .

الصفحة 92

(1)  
وجود الغرض والغاية في أفعاله تعالى .

الآيات القرآنية الدالة على وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى :

**القسم الأوّل: الآيات العامة**

1 . { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ } (2) [ الأنعام: 73 ]

(3)

- 2 . { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَغْيِبُنَّ \* مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [ الدخان: 38 . 39 ]
- 3 . { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا <sup>(4)</sup> } [ آل عمران: 191 ]
- 4 . { أَمْ فَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا <sup>(5)</sup> } [ المؤمنون: 115 ]

### القسم الثاني : الآيات الخاصة

إنّ هذه الآيات تضمّنت تعيين غرض وغاية لبعض أفعال الله تعالى ، ومن هذه الآيات :

- 1 . { وَمَا خَلَقْتَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } [ الذريات: 56 ]
- 2 . { إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقْتَهُمْ } [ هود: 119 ]
- 3 . { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [ هود: 119 ]

1- انظر: نهج الحق، العلامة الحلي: المسألة الثالثة، مبحث: أن الله تعالى لا يفعل القبيح ، ص 93 .

2- كلمة "الحق" في هذه الآية تعني: الفعل ذو الهدف القيم اللائق بالفاعل.

انظر: معرف القرآن ، (معرفة الله) ، محمد تقي المصباح: هدف الأفعال الإلهية، ص 238 .

3 - "اللعب" عبارة عن مجموعة حركات منظّمة تودّي من أجل هدف يرضي خيال الإنسان فقط ، ولا تكون للنتيجة حقيقة واقعية .

انظر: المصدر السابق: ص 240 .

4- كلمة "الباطل" في هذه الآية تعني: الفعل الفاقد للهدف القيم اللائق بالفاعل .

انظر: المصدر السابق: ص 239 .

5- "العبث" هو الفعل الفاقد للهدف الصحيح .

انظر: المصدر السابق .

الصفحة 93

[ هود: 7 ]

4 . { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَبُوا بِهَا } [ الأنعام: 97 ]

5 . { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَوَاهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحُسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ } [ هود: 16 ]

[ يونس: 5 ]

6 . { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } [ البقرة: 29 ]

7 . { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } [ المائدة: 32 ]

8 . { لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ ... ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [ المائدة: 78 ]

- 9 . { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَانُوا حَرْمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُخِلَّت لَّهُمْ وَبُصِّدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا } [النساء: 160]
- 10 . { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [إبراهيم: 1]
- 11 . { لَنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً } [الحاقة: 12]
- 12 . { لَنُنحِيئَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا } [الفرقان: 49]
- 13 . { لَنُخْرِجَ بِهِ حَبَابًا وَنَبَاتًا } [النبأ: 15]
- 14 . { وَنَبِّئُوا أَذْهَبَكُمْ } [محمد: 31]
- 15 . { لَتَجُوزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى } [طه: 15]
- 16 . { لَنُرِيهَ مِنْ آيَاتِنَا } [الإسراء: 1]
- 17 . { لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُورَى } [طه: 23]

## المبحث الرابع

### غرض وغاية الله تعالى من خلق الإنسان

#### 1 . الرحمة :

قال تعالى: { إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ وَتِلْكَ خَلْقِهِمْ } [هود: 119]

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حول تفسير هذه الآية: "خلقهم ليفعلوا ما يستوجبوا به رحمته،

فروحهم"<sup>(1)</sup>.

#### 2 . العبادة :

قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذريات: 56]

#### 3 . المعرفة :

ورد في الحديث القدسي المشهور: "كنت كزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف"<sup>(2)</sup>.

وورد عن الإمام الحسين (عليه السلام): "إنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عِبَوْهُ"<sup>(3)</sup>.

#### 4 . إظهار قدرته وحكمته :

سئل الإمام الصادق (عليه السلام): لم خلق الله الخلق؟ فقال: "إن الله تبارك وتعالى لم يخلق



2 - هذا الحديث مجهول السند، ولكن معناه صحيح، وهو مستفاد من قوله تعالى: ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) أي: ليعرفوني كما فسّره ابن عباس .

راجع: إحقاق الحقّ وإهراق الباطل، نور الله الحسيني الرعشي التسوّي، تعليق، السيّد شهاب الدين الرعشي النجفي: في أته تعالى يفعل لغرض وحكمة، ص431 .

3 - علل الثوائع ، الشيخ الصدوق: باب 9 : علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم ، ح 1، ص 9 .

الصفحة 95

خلقه عبثاً ، ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلّفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضوّّة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد" (1) .

وفي حديث آخر: سئل الإمام الصادق(عليه السلام): لأيّ علّة خلق [ الله عزّ وجلّ ] الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا

مضطر إلى خلقهم ولا يليق به العبث بنا ؟

قال(عليه السلام): "خلقهم لإظهار حكمته ...". (2) .

### النتيجة :

إنّ الله تعالى خلق العباد إظهاراً لقدرته وحكمته ، وخلقهم لرحمهم ، فكلّفهم بمعرفته والإقرار بوجوده والامتثال لأوامره ونواهيه ، ليكون الرّامهم الاختياري بهذا التكليف سبباً لمعيشتهم في ظل الرحمة الإلهية المتمثّلة بجنة النعيم التي أعدّها للمتقين والرضوان الإلهي الذي أعدّه لأصحاب الدرجات العليا .

### تنبيهان :

1 . خلق الله تعالى الأرض والسماء لأجل الإنسان، وذلك لقوله تعالى:

وَأَلَّا: { خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } [ البقرة: 29 ]

ثانياً: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَوَائِمًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ } [ البقرة: 22 ]

2 . إنّ الغرض والغاية من خلقه تعالى للبشر . كما ذكرنا . هو التكليف بالعبادة من أجل التكامل ونيل الرحمة الإلهية، ولكن البعض من الناس لا تتوقّر لهم الأجواء المناسبة في هذه الدنيا لاجتياز مرحلة الاختبار الإلهي، وهؤلاء من قبيل الأطفال الذين يموتون قبل البلوغ، أو المجانين، أو غرهم ممن لم تتوقّر فيهم شروط التكليف في هذه الدنيا .

1 - علل الثوائع، الشيخ الصدوق: باب 9 : علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم، ح 2 ص 9 .

2 - الاحتجاج ، الشيخ الطوسي: احتجاجات الإمام الصادق(عليه السلام) ، احتجاج رقم 223، ص 217 .

الصفحة 96

ولهذا يؤخّر الله تعالى اختبار هؤلاء ، ويجعله في يوم القيامة، ليحدّد هؤلاء مصوهم في ذلك الموقف، ويعينوا اتجاههم إلى الجنة أو النار<sup>(1)</sup> .

1 - راجع: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، ب13، ص288 . 297 .  
وانظر في هذا الكتاب: الفصل الثامن: التكليف، المبحث السابع: تكليف من لم تتم عليهم الحجّة في الدنيا.  
الصفحة 97

## المبحث الخامس

### مناقشة رأي الأشاعرة حول غرض وغاية الفعل الإلهي

#### رأي الأشاعرة :

إنّ أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض<sup>(1)</sup> .

أدلة الأشاعرة<sup>(2)</sup> :

#### الدليل الأول للأشاعرة على إنكار وجود الغرض في أفعال الله تعالى :

لو كان لفعله تعالى غرض ، لزم أن يكون البري عرّوجاً ناقصاً بذاته ومستكملاً بتحصيل ذلك الغرض، ولكن الله تعالى غني بذاته، ولا يجوز له الاستكمال .

#### يرد عليه :

1 . إنّ الاستكمال يكون فيما لو كانت أغراض وغايات الفعل الإلهي تعود على الله تعالى بالمنفعة، ولكن الأمر ليس كذلك ، وإنّ منفعة هذه الأغراض والغايات تعود للمخلوقات .  
فلهذا لا يلزم وجود الغرض والغاية في الفعل الإلهي الاستكمال له تعالى<sup>(3)</sup> .

- 1 - انظر: الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرلي: ج1 ، المسألة السادسة والعشرون ، ص350 .  
كتاب المواقف، عضد الدين الإيجي: ج3 ، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 8 ، ص294 .  
شرح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 5، ص301 .
- 2 - انظر: المصادر المذكورة في الهامش السابق .
- 3 - انظر: كشف المراد ، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة الرابعة، ص422 .  
النافع يوم الحشر، مقداد السيوري، الفصل الرابع، ص71 .

تنبيه :

قد لا يكون الغرض من الفعل الإلهي منفعة العبد، وإنما يكون ذلك لاقتضاء نظام الوجود.

مثال ذلك :

إنّ من أمثلة "اقتضاء نظام الوجود": خلود أهل النار في النار، لأنّ خلودهم لا نفع فيه لهم، ولكنه من قبيل اقتضاء أعمالهم السيئة، لأنّ الإنسان يخلد في الآخرة مع أعماله التي قام بها في الدنيا، والأعمال السيئة تتحول إلى نار، فيعيش معها .

الصفحة 98

بعبارة أخرى :

إنّ منشأ خطأ الأشاعرة هو الخلط بين :

أ . غاية الفاعل .

ب . غاية الفعل .

والمنفى عنه تعالى هو "غاية الفاعل"، لأنّ وجود الغاية للفاعل تعني: أنّ الفاعل ناقص، فيصل إلى الكمال عن طريق الغاية، وهذا لا يجوز بالنسبة إلى الله تعالى .

والثابت لله تعالى هو "غاية الفعل"، وهذا لا يستلزم وجوده النقص لله تعالى، بل يؤدي إلى نفي العبث عن أفعاله تعالى <sup>(1)</sup> .

2 . إنّ احتياج الفعل الإلهي إلى الغرض والغاية ليس من قبيل :

الاحتياج الدال على نقصه تعالى .

بل هو من قبيل :

احتياجه تعالى في كونه "رُزقاً" إلى "مَنْ يرزقه" .

وهذا الاحتياج ليس نقصاً، والأصح عدم تسميته "احتياجاً" .

بل هو "شوط" من شروط وجود الفعل أو شروط كماله .

فمن شروط كونه تعالى "رُزقاً" أن يكون في الواقع الخرجي "مَنْ يرزقه" .

ومن شروط "كمال الفعل الإلهي" أن يكون هذا الفعل "ذا غرض وغاية حكيمة" <sup>(2)</sup> .

1 - انظر: القواعد الكلامية، علي الوباني الكلبيكاني: العدل والحكمة، الفصل الثاني، ص158 .

2- انظر: دلائل الصدق ، محمد حسن المظفر: ج1 ، المسألة 3، المبحث 11، المطلب 4، ص391 .

الصفحة 99

**الدليل الثاني للأشاعرة على إنكار وجود الغرض في أفعال الله تعالى :**

إنّ أداء الفعل من أجل الغرض والغاية يعني الوقوع تحت تأثورها، فيكون الله تعالى محكوماً لا حاكماً، والله تعالى مزه

(1)

عن المحكومة .

**يرد عليه :**

إنَّ وجود الغرض والغاية لا يعني وجود عامل خلجي يجعل الله تعالى متأثراً بهذا العامل ومحكوماً ومقيداً به، بل يعني ذلك: أنَّ مقتضى كماله تعالى وحكمته أن يكون فعله ذا غرض وغاية حكيمة .

بعبارة أخرى :

إنَّ وجود الغرض والغاية في فعله تعالى لا يعني كون الغرض والغاية قيدياً لهذا الفعل .  
وإنما يكون وجود الغرض والغاية من شروط كمال الفعل الإلهي ، لأنَّ الفعل الفاعل للغرض والغاية يكون فعلاً متصفاً بالعبث واللغو ، والله تعالى موزة عن ذلك .

**الدليل الثالث للأشاعة على إنكار وجود الغرض في أفعال الله تعالى :**

إنَّ القول بوجود الغرض في الفعل الإلهي يعني :

عدم حصول الفعل الإلهي إلا بتوسط الغرض .

وعدم حصول الفعل الإلهي إلا تبعاً للغرض .

ولكن الله تعالى فاعل لجميع الأشياء ابتداءً ومن دون توسط شيء<sup>(2)</sup> .

**يرد عليه :**

إنَّ غرض الفعل الإلهي ليس شيئاً خرجاً ومنفصلاً عن وجود فعله تعالى ليكون واسطة لتحقيق الفعل الإلهي ، وإنما الغرض هنا عبارة عن الأمر الذي يُخرج الفعل من

---

1 - انظر: المصادر المذكورة في بداية هذا المبحث .

2 - انظر: المصادر المذكورة في بداية هذا المبحث .

العبث واللغو، وهذا الأمر عبارة عن:

1 . الحكمة الكامنة في هذا الفعل .

2 . الأهداف المطلوبة من هذا الفعل .

مثال :

إنَّ الغرض والغاية من خلقه تعالى للعالم ليس أمراً خرجاً عن وجود هذا العالم، بل هو عبارة عن:

1 . الحكمة الكامنة في خلق هذا العالم .

- 2 . الأهداف المطلوبة من خلق هذا العالم .  
وهذه الحكمة وهذه الأهداف هي بلوغ العالم بأخوائه إلى الكمال الممكن .  
وهذا الكمال خصوصية موجودة في نفس العالم .  
وليس الغرض والغاية الإلهية هنا شيئاً مفصلاً وخلجاً عن خلقه تعالى للعالم.  
ولهذا لا يوجد أي تناف بين الأمرين التاليين :  
1 . وجود الغرض والغاية في الفعل الإلهي .  
2 . فعل الله الأشياء ابتداءً ومن دون توسط شيء خرج عنها .

### الدليل الرابع للأشاعة على إنكار وجود الغرض في أفعال الله تعالى :

- لو قلنا بضرورة وجود الغرض في جميع الأفعال الإلهية .  
فينبغي القول بأنّ هذا الغرض أيضاً يجب أن يكون له . حسب هذه القاعدة . غرض آخر .  
ومن هنا تتسلسل الأغراض إلى ما لا نهاية لها .  
فنضطر إلى الاعتراف بانتهاء أفعاله تعالى إلى فعل لا غرض له .  
فيثبت وجود فعل إلهي ليس له غرض .

الصفحة 101

- وهذا يتنافى مع قاعدة ضرورة وجود الغرض لجميع الأفعال الإلهية <sup>(1)</sup> .

### يرد عليه :

إنّ الغرض لا يحتاج إلى غرض آخر ، وعندما نقول: إنّ الغرض من التكامل هو "حسن التكامل" ، هذا "الحسن" لا يحتاج إلى غرض يحسنه ، بل هو حسن بذاته، ويكون الغرض منه نفس وجوده <sup>(2)</sup> .

### الدليل الخامس للأشاعة على إنكار وجود الغرض في أفعال الله تعالى :

إنّ بعض الآيات القوانية تدل على نفي وجود الغرض في الفعل الإلهي منها <sup>(3)</sup> :

1 . { لا يُسألُ عما يفعلُ } [ الأنبياء: 23 ]

يلاحظ عليه :

إنّ هذه الآية لا تدل على نفي وجود الغرض في الفعل الإلهي، بل تدل على :  
وألا : عدم وجود أمر وناه عليه تعالى حتّى يسأله عن فعله كما يسأل الناس عن أفعالهم .  
ثانياً : لا معنى للسؤال عن فعله تعالى ، لأنّه حكيم ، ولا يفعل إلاّ ما تقتضيه الحكمة <sup>(4)</sup> .  
سئل الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) حول أفعاله تعالى: كيف لا يسأل عما يفعل؟

<sup>(5)</sup>

قال (عليه السلام): "لأته لا يفعل إلا ما كان حكمة وصواباً".

2. { يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [ إِبْرَاهِيم: 27 ] ، { يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ } [ المائدة: 1 ]

يلاحظ عليه :

- 1 - انظر: المصادر المذكورة في بداية هذا المبحث .
- 2 - انظر: الإلهيات، محاضرات: جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 1/268 . 269 .
- صراط الحقّ ، محمد آصف المحسنّي: ج2 ، المقصد الخامس ، تبعية أفعاله للأغراض ، ص198 .
- 3 - انظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرزي: ج10، تفسير آية 56 من سورة الذريات، ص193 .
- 4 - انظر: مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج7، تفسير آية 23 من سورة الأنبياء، ص70 .
- 5 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 61، ح13، ص386 .

الصفحة 102

إن مفاد هاتين الآيتين إطلاق مشيئته تعالى وإرادته، وليس فيهما أية دلالة على عدم وجود الغرض والغاية في فعله تعالى وحُكمه<sup>(1)</sup> .

3. { فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ } [ إِبْرَاهِيم: 8 ]

يلاحظ عليه :

غنى الله تعالى يعني الغنى عن الغرض والغاية التي تعود بالمنفعة إليه تعالى.

ولكن الأغراض والغايات الإلهية . في الواقع . لا تعود بالمنفعة إليه تعالى، وإنما تعود بالمنفعة إلى غير الله عزّ وجلّ . وليس في هذه الآية ما يدل على نفي الأغراض والغايات التي تعود بالمنفعة إلى غير الله تعالى<sup>(2)</sup> .

**رأي التفتلاني حول وجود الغرض والغاية في أفعال الله تعالى :**

اختار "التفتلاني" قولا وسطاً بين العدلية والأشاعرة، وهو تعليل بعض أفعاله تعالى بالغاية دون الجميع فقال: "والحقّ أنّ تعليل بعض الأفعال لاسيما شرعية الأحكام بالحكم والمصالح ظاهر كإيجاب الحدود والكفارات وتحريم المسكوات وما أشبه ذلك، والنصوص أيضاً شاهدة بذلك... وأما تعميم ذلك بأن لا يخلو فعل من أفعاله [ تعالى ] عن غرض فمحل بحث"<sup>(3)</sup> .

**يلاحظ عليه :**

إنّ مسألة "الغرض والغاية" ليست من التعبديات ليمكننا الاقتصار على الأدلة النقلية فقط ، بل هي من الأمور العقلية ، وملاكها لزوم وجود العيب في الفعل الإلهي فيما لو نفينا الغرض عن أفعاله تعالى ، وهذا يعمّ التكوين والتشريع سواء علمنا بالغاية أم لا<sup>(4)</sup> .

- 
- 1 - انظر: صواط الحقّ ، محمد آصف المحسني: ج2 ، المقصد الخامس ، القاعدة الرابعة، ص202 . 203 .  
2 - صواط الحقّ ، محمد آصف المحسني: ج2 ، المقصد الخامس ، القاعدة الرابعة، ص202 . 203 .  
3 - شرح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5 ، المبحث 5، ص302 . 303 .  
4 - انظر: القواعد الكلامية، علي الرباني الكلبايكاني: الفصل الثاني ، ص158 .
- 
- الصفحة 103

### تنبيه :

قالت الأشاعرة في الصعيد الفقهي بحجّة "القياس".

ولا يخفى بأنّ "القياس" لا يثبت إلاّ بعد الاعتقاد بوجود "الغرض الإلهي" في تشريعه تعالى لكلّ موضوع، ليتمكن قياس الموضوع الآخر عليه، وتسوية الحكم الشوعي من الموضوع الأصلي إليه .  
وهذا القول يتنافى مع رأيهم في الصعيد العقائدي ويتنافى مع قولهم بعدم وجود الغرض في الأفعال الإلهية .

---

الصفحة 104

---

الصفحة 105

## الفصل الرابع

## الشرور والآلام

معنى الشر

أقسام الشر

الآلام وأوجه حسناتها وقبحها

حكمة الشرور والآلام

إيلام غير المكلفين

---

الصفحة 106

---

الصفحة 107

## المبحث الأوّل

معنى الشر

**معنى الشر (في اللغة) :**

(1) الشر: السوء ، وهو ضدّ الخير .

**معنى الشر (في الاصطلاح العقائدي) :**

(2) يطلق الشر على :

1 . عدم كمال الوجود مما له شأنية ذلك الكمال ، من قبيل العمى للعين ، أو عدم الثروة في الشجرة المؤهلة لإعطاء الثروة

2 . عدم الوجود مما له شأنية الوجود، من قبيل عدمية وجود الإنسان بعد وجوده ، لأنّ ذلك شرّ بالنسبة إلى هذا الإنسان .

1 - انظر: لسان العرب ، ابن منظور: مادة (شر) .

2 - انظر: الإشرات والتبیهات ، ابن سينا: ج3، النمط السابع، الفصل 23، ص320 .

الصفحة 108

## المبحث الثاني

### (1) أقسام الشر

1 . الشر الحقيقي (الذاتي): وهو أمر عدمي لما من شأنه الوجود ، كالجهد والعجز والفقر بالنسبة إلى الموجود الذي من شأنه العلم والقوة والغنى .

وسنبيّن توضيح ذلك لاحقاً .

2 . الشر القياسي (العرضي): وهو أمر وجودي ، وإنّما يتّصف بالشر لأنّه يؤديّ إلى إعدام وجود شيء ما أو إعدام كمال

وجوده ، كالزلزل والسيول والزواحف السامة والحيوانات المفترسة و ...

وسنبيّن توضيح ذلك لاحقاً .

### القسم الأول: الشر الحقيقي

(2) ليس الشر الحقيقي أمراً وجودياً، بل هو أمر عدمي .

### (3) أمثلة عدمية الشر الحقيقي :

1. إنّ الجهل هو عدم العلم ، وللعلم وجود ، ولكن الجهل ليس له أي وجود، وإنّما هو مجرد عدم العلم .

1 - انظر: العدل الإلهي، مرتضى مطهري، ترجمة: محمّد عبدالمنعم الخاقاني: الفصل الثالث، ص151 . 170 .



2 - إنَّ أساس نظرية عدمية الشرور تعود إلى "أفلاطون" .

انظر: المزان ، العلامّة الطباطبائي: ج13، ذيل تفسير آية 82 . 100 من سورة الإسراء، ص187 .

3 - انظر: المزان في تفسير القآن، محمّد حسين الطباطبائي: مبحث: الشرّ عدمي محض، ص159 .

الصفحة 109

- 2 . إنَّ الفقر هو عدم الملك ، وللملك وجود، ولكن الفقر ليس له أي وجود ، وإنّما هو مجرد عدم الملك . والفقر هو الفاقد للملك والثروة، وليس الفقير هو المالك لشيء اسمه الفقر .
- 3 . إنَّ العمى عدم، وليس له واقع ملموس بحيث يوجد في العين شيء يسمى العمى ، وإنّما هو فقدان الرؤية وعدم البصر .
- 4 . إنَّ الموت عدم ، وهو فقدان الجسم للحياة وتحوله إلى جماد، وليس الموت تحصيلاً لشيء، بل هو فقدان لشيء .
- 5 . إنَّ الظلمة ليست شيئاً سوى عدم النور، والنور له وجود ، وله منشأ يشع منه ، ولكن الظلمة ليس لها وجود، وليس لها مبدأ أو منشأ تشع منه .

### ثمرة نظرية عدمية الشرور :

يؤدّي إثبات عدمية الشرور إلى بطلان النظرية الثنوية بجميع اتّجاهاتها المتنوّعة.

بيان ذلك :

ذهبت الاتّجاهات الثنوية إلى :

- 1 . أنّ الشر أمر وجودي .
- 2 . أنّ الخير يحتاج إلى مبدأ فاعلي ينسجم (له سنجية) مع الخير .
- وأنّ الشرّ يحتاج إلى مبدأ فاعلي ينسجم (له سنجية) مع الشرّ .
- فلهذا ينبغي أن يكون موجد "الخير" غير موجد "الشر" .

### تقييم نظرية الثنوية حسب القول بعدمية الشر :

تنهار نظرية الثنوية مع إثبات عدمية الشرّ ، لأنّ هذه النظرية تثبت بأنّ الشر ليس أمراً وجودياً ليحتاج إلى موجد أو مبدأ

يسانحه ، بل "الشرّ" أمر "عدمي" ، والعدم ليس شيئاً حتّى يحتاج إلى إيجاد .

الصفحة 110

### القسم الثاني :

الشر القياسي

إنّ الشرّ القياسي أمر وجودي، أي له وجود ، وهو من قبيل الجراثيم والميكروبات والعقرب السامة والحيوانات المفترسة واللازل والعواصف ، فهي موجودة ، وهي ليست شراً بذاتها وإنّما توصف بالشرّ عند مقايستها مع الإنسان ، لأنّها تلحق

## تبيين كيفية اتّصاف الموجودات بالشر :

### أقسام الصفات :

الأول : الصفات الحقيقية .

الثاني : الصفات القياسية (النسبية) (العوضية).

### خصائص الصفات الحقيقية :

- 1 . لها واقعية في الصعيد الخرجي .
- 2 . تثبت هذه الصفات للأشياء بقطع النظر عن أي شيء آخر .

### مثال الصفات الحقيقية :

- 1 . صفة الوجود للإنسان ، فهي صفة لها واقعية في الصعيد الخرجي .
- 2 . صفة الحياة للإنسان ، لأنّ الإنسان يتّصف بالحياة بقطع النظر عن مقرنته بأي شيء آخر .

### خصائص الصفات القياسية :

- 1 . ليس لها واقعية في الصعيد الخرجي .
- 2 . ينوّعها ذهن الإنسان عن طريق المقايسة بينها وبين شيء آخر .

### مثال الصفات القياسية :

- 1 . الصغر والكبر ، فالكبر صفة ليس لها وجود في الواقع الخرجي، وإنما يتّصف

الصفحة 111

بها الشيء عن طريق مقايسته بما هو أصغر منه .

توضيح المثال :

- توصف الأرض بالكبر عند مقايستها بالقمر، وتوصف في نفس الوقت بالصغر عند مقايستها بالشمس ، وهذان الوصفان لا يدخلان في حقيقة الموصوف (وهو الأرض) ، وإلّا لما صح وصف الأرض بوصفين متعارضين في آن واحد<sup>(1)</sup> .
- 2 . الأوليّة والثانوية، فهذه الصفات ليس لها وجود خرجي ، وإنما يتّصف بها الشيء عند مقايسته مع الشيء الآخر .

توضيح المثال :

لو شوح الأستاذ موضوعاً لتلميذه مرتين .

فهذا "الشوح" له في كلّ مرة صفة خاصة .

ويوصف تلة بالشوح "الأول" .

ويوصف تلة أخرى بالشوح "الثاني" .

ولا يعني هذا أنّ الأستاذ أدّى في كل مرة عمليتين أحدهما نفس الموضوع، والآخر صفة "الأولية" و"الثانوية"، بل: هذه الصفات اعتيادية وقياسية تنشأ من أداء الأستاذ للعمل مكرراً<sup>(2)</sup> .

### نوعية "الشر" في الأشياء المتّصّفة بالشر :

إنّ الأشياء المتّصّفة بالشرّ ليست شواً من قبيل "الشر الحقيقي" ، بل هي من قبيل "الشر القياسي" .  
أي: إنّ شواها صفة قياسية ينوّعها ذهن الإنسان عند مقايستها مع الأشياء الأخرى .

1 - انظر: الإلهيات ، محاضرات: جعفر سبحاني، بقلم: حسن محمّد مكي العاملي: 1/280 .

2 - انظر: العدل الإلهي ، مرتضى مطهري: الفصل الثالث: مبحث: الشر أمر نسبي ، ص 166 .

الصفحة 112

مثال ذلك :

- 1 . إنّ الجراثيم والميكروبات ليست شواً بذاتها، وإنما توصف بالشرّ لأنّها تؤدي إلى فقدان حياة الإنسان أو فقدان صحة بدنه، فهي شرّ بالعرض وبالمقايضة إلى الأمر الذي تقوم به راء الإنسان .
- 2 . إنّ العقرب السامة والحيات القاتلة والحيوانات المفترسة والسباع الضوري ليست شواً بذاتها ، بل تتصّف بالشرّ نتيجة الأذى الذي تلحقه بالإنسان أو بالكائنات الأخرى .
- 3 . إنّ الزلازل والعواصف ظواهر طبيعية تنتج من حدوث بعض التغيّبات الأرضية والجوية ، وليست هذه الظواهر شواً بذاتها، وإنّما توصف بالشرّ لأنّها من شأنها تدمير حياة الإنسان والحاق الضرر بمنافعه .  
ولهذا فإنّ وصف هذه الظواهر بالشرّ لا يكون إلا بعد مقايستها مع مصالح ومنافع الإنسان .

### تنبيه :

بما أنّ الشرّ القياسي أمر وجوديٌّ، فهذا يحتاج هذا "الشر" إلى الخلق والتقدير، ومن هذا المنطلق:

1 . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام) في تمجيدهِ لله تعالى: " ... أنت الله لا إله إلا أنت خالق الخير والشرّ " (1) .

2 . قال(عليه السلام) أيضاً في دعاء عوفة: "اللهم ... بيدك مقادير الخير والشرّ ... " (2) .

والمقصود من "الشرّ" في هذا المقام هو "الشرّ القياسي" الذي له وجود، وليس المقصود "الشرّ الحقيقي"، ولا شك أنّ الجراثيم والمكروبات والعقرب السامة والزلازل والعواصف أمور مخلوقة ويكون الضرر الذي تلحقه بالكائنات الأخرى وفق مقادير

معينة .

1 - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، الشيخ الصدوق: ثواب من مجّد الله بما مجّد به نفسه ، ص 35 .

2 - الإقبال ، السيد ابن طولوس: ج2، الباب الثالث ، ص121 .

الصفحة 113

### تنبيهات حول الشرور :

- 1 . إنّ وجود الشرور . أي: وجود الكائنات التي تلحق الشرّ بالكائنات الأخرى . لا ينافي الحكمة الإلهية ولا يتعارض مع وجود النظم في العالم ، لأنّ الله تعالى جعل هذا العالم مكاناً لاختبار العباد، فجعل الشرور وسيلة لاختبارهم وتمييز مستوى استعانتهم بالصبر راء الشرور التي تصيبهم .
- 2 . إنّ الله تعالى هو الذي خلق العالم بصورة تّواحم وتتضاد فيه الموجودات ، فينتهي الأمر إلى نشوء الشرور ، وكان بإمكانه تعالى أن يصمّم عالم الإمكان بصورة لا تقع فيه الشرور ، ولكنه لم يفعل ذلك ، لأنّه شاء أن تكون الشرور هي الوسيلة لاختبار العباد .
- 3 . لا يصح القول بأنّ الله تعالى وجد بأنّ خلقه للعالم يستلزم الخير الكثير والشر القليل ، فوضي بالشر القليل لكثرة الخير، بل الصحيح :

إنّ الله عزّ وجلّ هو الذي جعل الدنيا داراً "بالبلاء محفوفة"<sup>(1)</sup> ، وهو الذي خلق الإنسان في كبد<sup>(2)</sup> (أي: في وسط الآلام والشدائد)، وهو الذي جعل الشر في العالم ليبولوا الناس أيهم أحسن عملاً<sup>(3)</sup> .

1 - قال الإمام علي(عليه السلام) حول الدنيا: "دار بالبلاء محفوفة وبالعناء معروفة وبالغدر موصوفة... وإنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتقصمهم بحمامها" .

بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج73 ، كتاب الإيمان والكفر، باب 122 ، ح109 ، ص117 .

2 - إشارة إلى قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [البند: 4] .

3 - قال تعالى: (وَنَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: 35] .

الصفحة 114

### المبحث الثالث

#### الآلام وأوجه حسنها وقبحها<sup>(1)</sup>

إنّ الألم من الأمور الوجدانية المحسوسة لدى كل إنسان .  
وما يهّمنا في هذا المقام معرفة أوجه حسن وقبح الألم ، ليمكننا بعد ذلك معرفة أوجه حسن إلحاق الألم من الله تعالى بالعباد

## أوجه حسن الألم (2) :

- 1 . الاستحقاق .
  - 2 . حصول النفع الوافي .
  - 3 . دفع ضرر أعظم من الألم .
- أمثلة ذلك :

أمثلة حسن إلحاق الأذى والألم بالآخرين على نحو الاستحقاق :  
ألف . ذم المسيء ، وإن كان ذلك سبباً في تألمه ، لأنه يستحق ذلك .  
ب . تأديب أهل سوء على إساءتهم ، لأنهم يستحقون ذلك .

### تنبيه :

يود على من وى بأن إلحاق الألم من الله تعالى بالعباد لا يكون إلا للاستحقاق بأن الأنبياء أكثر الناس بلاء ، فلو كان البلاء والألم على وجه الاستحقاق فقط ،

- 1- انظر: مناهج اليقين ، العلامة الحلبي: المنهج السادس، المبحث السادس، ص255 .
- 2 - انظر: المسلك في أصول الدين، المحقق الحلبي: النظر الثاني، البحث الرابع، ص104 . 105 .

الصفحة 115

لأخل ذلك بعصمتهم، بل بعدالتهم .

أمثلة حسن إلحاق الأذى والألم بالنفس أو الغير من أجل الحصول على النفع :

ألف . إعتاب النفس وتحمل المشقات المؤلمة طلباً للعلم أو الحصول على الأرباح من خلال السفر، فإن هذا الألم حسن ، لأن به يتم الحصول على النفع الوافي .

ب . استئجار الغير لأداء عمل شاق وراء أجر يعتد به ، فإن الألم الذي يتحمّله الإنسان خلال العمل حسن ، لأن به يحصل الإنسان على النفع الوافي .

### تنبيه :

- 1 . لا يحسن الألم للحصول على النفع إلا في حالة عدم وجود سبيل للوصول إلى هذا النفع إلا بالإيلام . ولهذا لا يحسن من السفر وإعتاب النفس فيه طلباً للأرباح التي نستطيع أن نظفر بها في بلادنا<sup>(1)</sup> .

أمثلة حسن إلحاق الأذى والألم بالنفس أو الغير من أجل دفع الضرر :

ألف . شرب المريض النواء الكويه والمرّ للتخلص من المرض .

ب . مبادرة الطبيب إلى معالجة المريض عن طريق العملية الجراحية المؤلمة .

## أوجه قبح الألم<sup>(2)</sup> :

- 1 . العبث .
- 2 . الظلم .
- 3 . الفساد .

1- انظر: المنقذ من التقليد، سيد الدين الحمصي: ج 1 ، القول في الأبرار والآلام، ص 322 .

2- انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني ، الفصل السادس ، ص 142 .

الصفحة 116

## الآلام الصاورة من قبل الله تعالى :

إنّ جميع الآلام الصاورة من قبل الله تعالى حسنة ، لأنّه تعالى مّوه عن العبث والظلم والفساد .

## أوجه حسن الألم الصادر من قبل الله تعالى :

1 . الاستحقاق :

وهو أن يعجّل الله تعالى عقوبة بعض المذنبين في دار الدنيا ، فيصيبهم ببعض الآلام التي يستحقونها .

مثال ذلك :

ألف . الحدود والتغزوات على من ارتكب موجباتها .

ب . إزال العذاب على الأمم الطاغية بما كانوا يعملون .

2 . الغرض والمصلحة :

إنّ الله تعالى قد يؤلم البعض لوجود مصلحة ولطف لهم أو لغوهم ، بحيث يخج الألم بهذه المصلحة عن كونه عبثاً ،

وسنبيّن حكمة الشور والآلام في المبحث القادم .

3 . العوض :

إنّ الله تعالى إضافة إلى وجود الحكمة في إلحاقه الألم بالعباد، فإنّه يعوّضهم لراء ما يؤلمهم ، وبهذا العوض يخج الألم

عن كونه ظلماً، وسيأتي التفصيل حول "العوض" في الفصل اللاحق .

## تنبيه :

لا يحسن الألم من الله تعالى لدفع الضرر، لأنّه تعالى قادر على دفع كل ضرر من دون ألم ، فيكون الألم في هذا المقام

(1)

عبثاً، والله عزّ وجلّ مّوه عن العبث .

1 - انظر: الذخوة ، الشويف المرتضى: الكلام في الآلام ، ص226 .

الصفحة 117

الصفحة 118

## المبحث الرابع

### حكمة الشرور والآلام

1 . تثبت الواهين القاطعة بأنّ الله تعالى حكيم ومزوّ عن الظلم والأفعال القبيحة، ولهذا يؤم حمل الشرور على ما لا ينافي

هذه الواهين القاطعة .

2 . عدم معرفة حكمة الشرور والآلام لا يعني عدم وجود حكمة فيها، بل غاية الأمر قصور الفهم وعدم العلم بحكمتها، وقد

ورد في النصوص الدينية :

قال تعالى: **{ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }** [الإساءة: 85]

قال تعالى: **{ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }** [الرّوم: 7]

قال الإمام علي(عليه السلام): "إنّ الدنيا لم تكن لتستقر إلاّ على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والخواء في المعاد ، أو ما شاء مما لا تعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فأحمله على جهالتك"<sup>(1)</sup> .

3 . إنّ البلايا والمصائب خير وسيلة لتفجير الطاقات وزدهار المواهب وتنشيط المساعي والاندفاع نحو الحركة المثورة

والمحاولة المقتنّوة والسعي المتواصل والتحرّر من الكسل .

بعبارة أخرى :

يكمّن كمال الإنسان في المسرعة نحو الكمال ، ولا يكون ذلك إلاّ في ظل الطوح ، ولا يتحقّق الطوح إلاّ في ظل

الحرمان .

4 . إنّ أجواء الحياة المحفوفة بالمشاكل والمصاعب تدفع الإنسان الذي يحسن الاستفادة منها إلى غوس الصمود والصلابة

في نفسه ، وتويده قوّة لحلّ المشاكل

1 - نهج البلاغة ، الشويف الوضي،رسالة 31، ص541 .

الصفحة 119

ورفع الموانع وتحطيم العقبات ومواجهة التيارات المعاكسة التي يجدها خلال مسيرته نحو الكمال .

قال الإمام علي(عليه السلام): "إنّ الشوة الروية"<sup>(1)</sup> أصلب عوداً، والروائع الخضوة"<sup>(2)</sup> رُق جلوداً"<sup>(3)</sup> .

5 . إنّ اللذائذ والشهوات . بصورة عامة . توجب غفلة الإنسان ، وتؤدّي إلى ابتعاده عن القيم الأخلاقية والكمالات المعنوية،

وإنّ البلياء والمصائب والمحن تكون بمتولة المنبهات التي توقظ الإنسان وتخفف من غفلته وطغيانه ، ولهذا قال تعالى:

{ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } [ الأعراف: 94 ]

{ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فُؤَعَانَ بِالسَّنِينِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [ الأعراف: 130 ]

{ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } [ فصلت: 51 ]

{ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ } [ الشورى: 27 ]

{ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلِجُودِ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [ المؤمنون: 75 ]

6 . إنّ البلياء والمصائب خير وسيلة لإيقاف الإنسان العاصي على نتائج عتوه وعصيانه ، وهي أدعى لأهل سوء إلى ترك

العناد، وأشدّ زجراً لِنفوسهم عن الميل إلى الهوى وحب الفساد، وهي تتضمن التحذير لهم ، وتحثهم على إصلاح نفوسهم .

1 - الشجرية الوية: التي تنبت في البرّ الذي لا ماء فيه .

2 - الروائع الخضوة: الأشجار والأعشاب الغضة الناعمة التي تنبت في الأرض الندية .

3 - نهج البلاغة ، الشريف الوضي: رسالة 45 (كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصلي) ، ص 575 .

الصفحة 120

قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [ الروم: 41 ]

قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إنّ الله إذا أراد <sup>(1)</sup> بعبد خيراً فأذنب ذنباً ، أتبعه بنقمة ، ويذكّره الاستغفار" <sup>(2)</sup> .

7 . إنّ كون البلاء نعمة أو نقمة يرتبط بوعود فعل الإنسان ، لأن الموضوع الواحد قد يختلف وصفه بالنسبة إلى

شخصين .

توضيح :

إنّ البلياء والمصائب وسيلة لاختبار الإنسان .

فإذا كان موقف الإنسان منها موقف المؤمن الصالح ، فسيكون البلاء له خيراً ، وسيبيلاً لوصوله إلى الكمال .

وإن كان موقف الإنسان منها موقف المعاند للحق ، فسيكون البلاء له شراً ، وسيبيلاً لإيصاله إلى النقصان .

مثال :

إنّ الفقر بصورة عامة شرّ ، ولكنه إذا كان سبباً في تقوّب الإنسان إلى الله تعالى فهو خير .

وإنّ الغنى بصورة عامة خير ، ولكنه إذا كان سبباً في ابتعاد الإنسان عن الله تعالى فهو شرّ <sup>(3)</sup> .

وقد قال تعالى: { وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُذِذُوا <sup>(4)</sup> } [ آل عمران: 178 ]



- 1 - إنَّ رادة الله تعالى ليست عشوائية، وإنَّ منشأها في هذا المقام عمل الإنسان نفسه .
- 2- الكافي ، الكليني: ج2 ، كتاب الإيمان والكفر، باب الاستتراج ، ح1، ص452 .
- 3 - انظر: أصول العقائد في الإسلام ، مجتبي الموسوي اللاري: ج1 ، الأصل الثاني، بحث: تحليل حول الشرور في العالم، ص 181 . 182 .
- 4 - إنَّ اللام في (لِزْدَادُوا) ليست للغرض ، لأنَّه تعالى عدل حكيم، ولا يكون الإثم غرضاً لفعله تعالى ، بل اللام هي لام العاقبة والنتيجة، أي: إنَّ الإنسان مختار في أفعاله، فإذا اختار الشر، فستكون نتيجته الوقوع في المزيد من الإثم .

الصفحة 121

النتيجة :

يُوقَلُ اللهُ تَعَالَى . بِحِكْمَتِهِ . وَحَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ النِّعْمَةُ وَالْبَلَاءُ عَلَى النَّاسِ .  
فمن شكر راء النعم وصبر راء البلاء فهو من أهل السعادة.  
ومن كفر راء النعم ولم يصبر راء البلاء فهو من أهل الشقاء .

8 . إنَّ الحكمة من بعض البلايا هو اختبار العباد وتشخيص مستوى استعانتهم بالصبر ، وقد ورد في النصوص الدينية :

قال تعالى: **{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ٥٥]**

[ 155 ]

قال الإمام الصادق(عليه السلام): "إنَّ العبد ليكون له عند الله الدرجة لا يبلغها بعمله ، فيبتليه الله في جسده ، أو يصاب بماله ، أو يصاب في ولده ، فإن هو صبر بلَّغه الله إياها" <sup>(1)</sup> .

9 . إنَّ بعض الشرور قد تكون لمعاقبة العصاة والمذنبين ، وهي مصائب بما كسبت أيدي الناس ، وقد ورد هذا المعنى في

العديد من الآيات القرآنية، منها :

**{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يَمُنُّوا لَكُمْ وَوَلَّسْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مُمْرَرًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ**

**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } [ الأتعام: 6 ]**

**{ وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقَوَى إِلَّا وَأَهْلِيهَا ظَالِمُونَ } [ القصص: 59 ]**

**{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } [ الشورى: 30 ]**

**{ فَكُلًّا (من الأمم التي أتولنا عليها العذاب) أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [**

العنكبوت: 40 ]

**{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقَوَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**

وَلَكِنْ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ { [الأعراف: 96]

### تنبيه :

إنّ العذاب الذي أباد الله تعالى به بعض الأمم السابقة بما كسبت أيديهم أهلک الظالمين لظلمهم، وأهلك غوهم لعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ولهذا ورد في القرآن والسنة :

قال تعالى: {وَأَتَوْا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [ الأنفال: 25 ]

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لنأمنون بالمعروف ولنتهن عن المنكر أو ليعمّكم عذاب الله"<sup>(1)</sup> .

10 . إنّ الله سبحانه وتعالى يبئلي بعض عباده بالمصائب ليظهورهم من الأوران والثوائب التي علقبت بهم خلال ارتكابهم

للذنوب، فيكون ذلك سبيلا لتكفير خطاياهم .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا حزن ولا همّ ..

إلا كفر الله به خطاياها"<sup>(2)</sup> .

11 . إنّ الحكمة من نزول البلائيا والمصائب على الأنبياء والأولياء والمخلصين هو تركهم الأولى أو رفع شأنهم ، وقد ورد

في الأحاديث الشريفة:

قال الإمام علي (عليه السلام): "إنّ البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء حجة، وللأولياء كرامة"<sup>(3)</sup> .

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إنّ الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب"<sup>(4)</sup> .

1- وسائل الشيعة، الحرّ العاملي: ج16 ، كتاب الأمر بالمعروف و ... ، باب 3 ، ح [ 21173 ] 12 ، ص135 .

2- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج81 ، كتاب الطهارة ، باب 44 ، ح45 ، ص188 .

3- المصدر السابق: ج67 ، كتاب الإيمان والكفر ، باب 12 ، ح54 ، ص235 .

4- الكافي ، الشيخ الكليني: ج2 ، كتاب الإيمان والكفر ، باب في تفسير الذنوب ، باب نادر ، ح2 ، ص450 .

### تنبيهان :

1 . إنّ بعض مصاديق الخير والشر واضحة عند الإنسان ، والبعض الآخر مبهمه بحيث لا يستطيع الإنسان التمييز بين

كونها خيراً أو شراً له ، من قبيل الأمور المرتبطة بعالم الغيب، وهنا ينبغي للإنسان الولوج إلى الدين والشريعة الحقة ليعرف

ما هو خير له وما هو شر له .

2 . إنَّ الإنسان قد ينطلق في تقييمه للشور والبلاء من رؤية غير شمولية، فيجعل المصالح الآنية مقياساً للتقييم ، وهو غافل عن مصلحته الكلية .

ولهذا قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]

الصفحة 124

## المبحث الخامس

### إيلام غير المكلفين

إنَّ أسباب الآلام التي تصيب غير المكلفين (من قبيل الأطفال ونوي العقول القاصوة والبهائم و...) تنقسم إلى قسمين :  
الأول: يكون المسبب للألم غير الله، من قبيل النوات العاقلة التي تمتلك الاختيار في الفعل ، فتكون هذه النوات هي المتحملة لتبعات إلحاقها الألم بغوها (فيما لو كان في ذلك تجوزاً لحدود العدل) .  
الثانية: يعود سبب الألم إلى الله تعالى ، وبما أنه تعالى عادل وحكيم ، فهو لا يفعل إلا ما فيه العدل والحكمة (1) .  
أضف إلى ذلك :

- 1 . قد يكون الغرض والحكمة من إلحاق الله الألم بغير المكلفين هو اعتبار واتعاط المكلفين ، وبهذا يخرج هذا الألم عن كونه عبثاً .
- 2 . سيعوّض الله تعالى هؤلاء غير المكلفين في يوم القيامة راء هذه الآلام ، وبهذا يخرج الألم عن كونه ظلماً (2) .

### تنبيه :

ليس في موت الأطفال بصورة مبكّرة ما ينافي العدل الإلهي، لأنَّ الإبقاء ليس واجباً عليه تعالى ليكون في تركه خلاف العدل ، كما أنّ هؤلاء الأطفال سيجتازون

- 1 - إنَّ الله تعالى حكيم، وهو مؤهّ عن الظلم والأفعال القبيحة، وكما أشرنا فيما سبق فإنَّ عدم الإمام بحكمة إيلامه تعالى للأطفال والبهائم لا يعني عدم وجود حكمة في هذا المجال ، بل يعني ذلك عدم علمنا بها .
- 2 - للفيديراجع في هذا الكتاب: الفصل الخامس: العوض .

الصفحة 125

(1) مرحلة التكليف يوم القيامة، وسيتم تحديد مصوهم هناك من خلال اختيّلهم لسبيل السعادة أو الشقاء .

### وجه حسن إيلامه تعالى للبهائم :

إنَّ الله تعالى أبا ح للإنسان ذبح البهائم من أجل الانتفاع بها .

ويكون الغرض الذي يخرج به هذا الإيلاء من العيب: انتفاع الإنسان من لحمها وجلودها و... ويكون الأمر الذي يخرج به هذا الإيلاء من الظلم: أنه تعالى تكفل أعطاء العوض لهذه البهائم في يوم القيامة<sup>(2)</sup> .

---

1 - للمزيد راجع في هذا الكتاب: الفصل الثامن: التكليف ، المبحث السابع .

2 - انظر: هداية الأمة إلى معرف الأئمة ، محمّد جواد الخواساني: ص 783 .

---

الصفحة 126

---

الصفحة 127

## الفصل الخامس

### العوض

معنى العوض

مولد استحقاق العوض

الجهات المعوّضة

أنواع المستحق للعوض

خصائص العوض

---

الصفحة 128

---

الصفحة 129

### المبحث الأوّل

معنى العوض

العوض: "هو النفع المستحق الخالي من التعظيم والإجلال"<sup>(1)</sup> .

توضيح قيود معنى العوض<sup>(2)</sup> :

1 . قيد "المستحق" :

يخرج بهذا القيد "التفضّل" ، لأنّ التفضّل هو النفع غير المستحق .

2 . قيد "الخالي من التعظيم والإجلال" :

يخرج بهذا القيد "الثواب" ، لأنّ الثواب هو النفع المقترن بالتعظيم والإجلال .

- 1- مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس، البحث السابع، ص 258 .  
2- انظر: المصدر السابق.

قواعد العوام ، ميثم الجواني: القاعدة الخامسة ، الوكن الرابع، البحث الأول ، ص 119 .

الصفحة 130

## المبحث الثاني

### مولد استحقاق العوض

مصدر إلحاق الألم بالإنسان على نحوين :

الأول: أن يؤلم الإنسان نفسه .

الثاني: أن يؤلم الإنسان غيره .

توضيح ذلك :

الأول: أن يؤلم الإنسان نفسه ، ويكون سبباً في إيذائها ، وموجباً لإلحاق الألم بها.

وهذا النمط من إلحاق الألم بالنفس على قسمين :

1 . قبيح :

مثاله: قتل الإنسان نفسه ، أو جرحه لأحد أعضائه من دون غاية عقلانية .

حُكمه: لا يستحق هذا الشخص "العوض" ، راء الألم الذي يصيبه.

ولا يستطيع هذا الشخص أن يطالب الله أو أي شخص آخر "بالعوض" في قبال هذا الألم .

2 . حسن :

مثاله: إلحاق الإنسان الألم بنفسه عن طريق شوبه للأدوية المؤلمة طلباً للشفاء.

وينقسم حكم هذا النمط من إلحاق الألم بالنفس إلى عدّة أقسام :

ألف . إذا كان المسبب للمرض هو الله تعالى .

حُكمه: يستحق هذا الشخص "العوض" من الله تعالى .

الصفحة 131

ب . إذا كان المسبب للمرض غير الله تعالى .

حُكمه: يستحق هذا الشخص "العوض" من ذلك المسبب للمرض .

ج . إذا كان سبب شوب هذا الشخص للواء المرّ ، وتحملته ألم تناوله ، لنوعي من قبيل زدياد الوشاقة .

حُكمه: لا يستحق هذا الشخص "العرض" من الله تعالى أو من غيره .

الثاني: أن يؤلم الإنسان غيره، ويكون سبباً في إيذاء غيره وموجباً لإلحاق الألم به .

وهذا النمط من إلحاق الألم بالغير على قسمين :

1 . قبيح :

مثاله: الظلم والتعدي على حقوق الآخرين .

حُكمه: يستحق المظلوم . في هذه الحالة . "العرض" من الظالم .

2 . حسن :

مثاله: إلحاق الطبيب الألم بالمريض الذي يقوم بمعالجته .

وينقسم حُكم هذا النمط من إلحاق الألم بالغير إلى نفس الأحكام السابقة المذكورة بالنسبة إلى النمط "الحسن" من إلحاق

الإنسان الألم بنفسه .



## المبحث الثالث

## الجهات المعوّضة

إنّ الجهات التي يكون عليها "العوض" عبوة عن :

1 . الله سبحانه وتعالى .

2 . غير الله تعالى .

توضيح ذلك :

1 . العوض الذي يعطيه الله تعالى :

إنّ الله تعالى يعوّض جميع المستحقين للعوض .

## تنبيه :

إذا كان غير العقلاء من قبيل البهائم والسباع والحوام والصبيان ومن في حكمهم سبباً في إلحاق الألم بأحد الأشخاص<sup>(1)</sup> فإنّ "العوض" راء هذا الألم يكون على الله تعالى ، لأنّ الله تعالى هو الذي مكنّ هذه الكائنات غير العاقلة من إلحاق الألم بغورها، وهو الذي لم يجعل لها عقلاً يصدّها ويزجها عن ذلك<sup>(2)</sup> .

2 . العوض الذي يكون على غير الله تعالى .

إذا كان أحد الأشخاص يطلب غوه "العوض" راء الألم الذي ألحقه ذلك الشخص به ظلماً وعدواناً ، فإنّ الله تعالى هو الذي يأخذ يوم القيامة "العوض" من ذلك الشخص ويعطيه لمستحقه، وهذا ما يسمّى بـ "الانتصاف".

فالانتصاف . في الواقع . هو أخذ الله تعالى حقّ المظلوم من الظالم بقدر ما

1 - بشروط أن لا يكون لهذا الشخص أي تقصير في ذلك .

2- انظر: مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس، البحث السابع، ص258 .

يسلوي ظلمه .

## المبحث الرابع

## أنواع المستحق للعوض

إنَّ المستحقَّ للِعوضِ على نحوين :

1 . مكلف .

2 . غير مكلف .

والمكلفُ المستحقُّ للِعوضِ على نحوين :

1 . من أهل الجنة .

2 . من أهل النار .

والمكلفُ المستحقُّ للِعوضِ وهو من أهل الجنة :

1 . يستحقُّ "العوض" من الله تعالى :

فإنَّ اللهَ تعالى سيعطيه "العوض" بتمامه وكماله .

2 . يستحقُّ العوض من غير الله تعالى :

فإنَّ اللهَ تعالى سيأخذ "العوض" من ذلك الغير، ويوصله إلى هذا المستحق .

وأما المكلفُ المستحقُّ للِعوضِ وهو من أهل النار :

1 . يستحقُّ "العوض" من الله تعالى :

فإنَّ اللهَ تعالى سيعطيه "العوض" في دار الدنيا أو في دار الآخرة .

وإذا كان هذا التعويض في الآخرة وبعد دخول النار، فإنه سيكون سبباً في إسقاط جزء من عذاب مستحقِّ العوض .

2 . يستحقُّ "العوض" من غير الله تعالى :

---

الصفحة 135

فإنَّ اللهَ تعالى سيأخذ العوض من ذلك الغير ، ويوصله إلى هذا المستحق .

وأما غير المكلفُ المستحقُّ للِعوضِ فهو على نحوين :

1 . يستحقُّ "العوض" من الله تعالى :

فإنَّ اللهَ تعالى سيعطيه "العوض" بتمامه وكماله .

2 . يستحقُّ العوض من غير الله تعالى :

فإنَّ اللهَ تعالى سيأخذ "العوض" من ذلك الغير ، ويوصله إلى هذا المستحق .

---

الصفحة 136

## المبحث الخامس

### خصائص العوض



1 . لا يحسن أن يؤلم الله تعالى أحداً لمجرد "العوض" ، لأنه تعالى قادر على إعطاء "العوض" من دون "الألم" ، فلهذا

ينبغي في هذا النمط من إيلام الغير :

وَأَلا: وجود "المصلحة" ليخوج الألم عن كونه "عبثاً".

ثانياً: وجود "العوض" ليخوج به الألم عن كونه "ظلماً"<sup>(1)</sup> .

مثال :

إنَّ الإيلام لمجرد العوض يكون بمثابة من يستأجر أجراً ليغوف الماء من النهر ويصبه في نفس النهر ، لا لغرض سوى

نفع الأجير بالأجرة ، وهذا العمل عبث، لأنَّ صاحب الأجرة قادر على إعطاء تلك الأجرة للأجير من دون فرض ذلك العمل عليه<sup>(2)</sup> .

2 . إنَّ "العوض" من الله تعالى يكون بحيث لو خيراً المتألم لم بين الأمرين التاليين:

وَأَلا: إلحاق الألم به وإيصال العوض إليه .

ثانياً: عدم إلحاق الألم به وحرمانه من العوض .

لاختار الأول<sup>(3)</sup> .

3 . إنَّ العوض :

وَأَلا: إذا لم يكن في "تعجيله" مصلحة: جاز "تأخوه" .

ولكن يشترط في هذه الحالة إلحاق الزيادة بالعوض .

---

1 - انظر: شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: أبواب العدل ، الكلام في الآلام والأعراض، ص112 .

2- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1 ، القول في الأمراض والآلام ، ص318 . 319 .

3 - انظر: لرشاد الطالبين، مقداد السبيري: مباحث العدل ، ص283 .

الصفحة 137

ثانياً: إذا كان في "تأخوه" مصلحة: جاز "تأخوه" .

ولا يشترط في هذه الحالة إلحاق الزيادة بالعوض، لأنَّ هذه المصلحة تنوب مكان الزيادة<sup>(1)</sup> .

4 . إذا ألحق أحد الناس الأذى والألم بنفسه أو بغیره ظلماً وعنواناً .

فإنَّ هذا الشخص هو الذي يتحمل "العوض" راء ذلك .

ولا يصح القول :

إنَّ الله تعالى هو المتحمل "للعوض" ، لأنه تعالى هو الذي مكنَّ هذا الشخص من الظلم وأعطاه القوة على ذلك .

ودليل عدم صحّة هذا القول :

أنّ الله تعالى أعطى هذا الشخص القوة والاستطاعة ليستعلمها في الخير والطاعة، وقد نهاه تعالى عن الظلم والعدوان ، ولهذا لا يتحمّل الله تعالى تبعات سوء تصرفات هذا الشخص ، ولا يكون عليه العوض أبداً .  
مثال :

إنّ من أعطى شخصاً سيفاً ليقتل به "من يستحق القتل" ، ولكن قتل هذا الشخص بهذا السيف "من لا يستحق القتل" ، فإنّ "العوض" يكون على "القاتل" ولا يكون على "صاحب السيف"<sup>(2)</sup> .

---

1 - انظر: الذخيرة، الشريف المرتضى: الكلام في الأعراف، ص254 .

2 - انظر: إرشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، ص283 . 284 .

---

الصفحة 138

---

الصفحة 139

## الفصل السادس

## القضاء والقدر

خصائص مسألة القضاء والقدر

النهي عن الخوض في القضاء والقدر

معنى القضاء والقدر (في اللغة)

معنى القضاء والقدر (في الاصطلاح العقائدي)

تفسير القضاء والقدر وفق نظام الأسباب

الرضا بقضاء الله تعالى وقدره

أقسام القضاء والقدر

خصائص القضاء والقدر

الفهم الخاطئ للقضاء والقدر

---

الصفحة 140

---

الصفحة 141

المبحث الأول

## خصائص مسألة القضاء والقدر

- 1 . إنَّ مسألة القضاء والقدر لا تختص بالدين الإسلامي دون بقية الأديان السماوية ، بل هي مسألة لها جنور زمنية ممتدة وتوغّل عميق في الفكر الديني والإنساني .
- 2 . إنَّ مسألة القضاء والقدر كانت ولا تزال من أعقد المسائل الكلامية التي شاع الزواع حولها في الأوساط الإسلامية ، وقد تشعبت فيها الآراء واختلفت مناهج تناولها من قبل الباحثين .
- 3 . لقد أخذت هذه المسألة حزاً هاماً في بحوث ورواسات مفكري الإسلام ، وشغلت الكثير من رجال الدين نتيجة تأثرها البالغ في أوساط الحياة الاجتماعية .
- 4 . لا يزال مسألة القضاء والقدر . رغم البحوث المكثفة والمعقدة التي أُجريت حولها . مسألة تكتنف بنيانها النظري العديد من الملبسات والنقاط الغامضة .
- 5 . إنَّ الفهم الخاطئ لمعنى القضاء والقدر ، وتصوّر البعض بأنّها مرادفة للجبر ، هو السبب الذي أدى إلى تشويه هذين المفهومين .
- 6 . إنَّ الإشكالية الأساسية التي تكمن في مسألة القضاء والقدر ، تعود إلى الالتباس الناشئ عن تصوّر التعرض بين الاختيار والإيمان بالقضاء والقدر .
- 7 . إنَّ مسألة القضاء والقدر ليست مجرد فكرة نظرية فحسب، بل لها تأثير مباشر على الواقع الاجتماعي ، ولهذا ينبغي تصحيح أفكار المجتمع راء هذه المسألة، لئلا يتروك الفهم الخاطئ لها أثراً سلبياً في الصعيد الاجتماعي .
- 8 . تعتبر مسألة القضاء والقدر . نتيجة خطأ البعض في فهم معناها الصحيح . من

الصفحة 142

- 9 . أهم العوامل الفكرية التي تُطرح على طاولة البحث عند رواسة أسباب التخلف والوكود والانحطاط الفودي والاجتماعي . لقد وجّه أعداء الإسلام سهامهم وضرباتهم العنيفة نحو مسألة القضاء والقدر للإطاحة بالإسلام ، وعلّوا فشل المسلمين بها ، وقالوا بأنّ هذه المسألة هي التي بسببها اتّجّه المسلمون نحو الكسل انتظراً لما يأتيهم من الغيب !
- 10 . إنَّ مسألة القضاء والقدر لها صلة وثيقة بمسألة الجبر والاختيار ، لأنّ هذه المسألة قائمة على نفس الأسس التي تقوم عليها مسألة الجبر والاختيار .

الصفحة 143

## المبحث الثاني

النهى عن الخوض في القضاء والقدر وأسباب ذلك

النهى عن الخوض في القضاء والقدر :

- 1 . قال الإمام علي(عليه السلام) لمن سأله عن القضاء والقدر: " ... بحر عميق فلا تلجه .. طريق مظلم فلا تسلكه ... سرُّ الله فلا تكلفه ..."<sup>(1)</sup> .
- 2 . قال الإمام علي(عليه السلام) بعد أن قيل له: أنبئنا عن القدر: "سرّ الله فلا تفتشوه"<sup>(2)</sup> .
- 3 . قال الإمام علي(عليه السلام) في القدر: "ألا إنّ القدر سرّ من أسوار الله ، وحرز من حرز الله ، مرفوع في حجاب الله ، مطوي عن خلق الله ، مختوم بخاتم الله ، سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ورفع فوق شهاداتهم ..."<sup>(3)</sup> .
- 4 . قال الإمام علي(عليه السلام) لقوم رآهم يخوضون في أمر القدر وغره في بعض المساجد وقد ارتفعت أصواتهم :  
"يا معاشر المتكلمين ألم تعلموا أنّ لله عبادة قد أسكتتهم خشيتها من غير عي ولا بكم، وأنهم هم الفصحاء البلغاء الألباء ..."<sup>(4)</sup> .

### أسباب النهي عن الخوض في القضاء والقدر :

#### الرأي الأول :

إنّ هذا النهي خاص بضعيفي العلم الذين يفسدهم الخوض في القضاء والقدر ،

- 1 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 60 : باب القضاء والقدر و ... ، ح3، ص355 .
- 2 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب 3 : القضاء والقدر و ... ، ج70، ص123 .
- 3- المصدر السابق: ح23 ، ص97 .
- 4- المصدر السابق: ج3 ، كتاب التوحيد، باب9، ح30، ص265 .

الصفحة 144

وليس هذا النهي عاماً لكافة المكلفين<sup>(1)</sup> .

#### سبب النهي :

إنّ الخوض في هذه المسألة يثير في نفوس ضعيفي العلم جملة من الشبهات التي تؤدي بهم إلى التيه والانحراف والوقوع في أودية الضلال .

توضيح ذلك :

1 . تعتبر مسألة القضاء والقدر من المسائل الشائكة التي يحيطها الغموض النظري ، ولها من الألغاز ما لا يمكن حلّها

بسهولة، ولهذا ينبغي لنوي المستويات العلمية الضعيفة أن يحذروا من التعمق فيها خشية الوقوع والتورط في بعض المتولقات

الفكرية .

2 . إنّ تحذير النصوص الروائية من الخوض في غمار مبحث القضاء والقدر يعود إلى العمق الذي ينطوي عليه هذا

المبحث ، وهو الأمر الذي يملي على الإنسان عدم الخوض في هذا المبحث إلا بعد التسلّح بأقصى حالة من الدقة والحذر عند  
رواسة هذا البحث .

3 . إنّ مسألة القضاء والقدر فيها الكثير من دقائق الأمور ، فمن استطاع فهمها بصورة لائقة فيها ونعمت ، وإلاّ فيجب على  
الإنسان في هذه الحالة أن يترك التكلّف في فهمها والتدقيق فيها ليصون نفسه من الوقوع في فساد العقيدة .

4 . إنّ الذي يجد نفسه في مأمن من الوقوع في المحذور ، فلا إشكال في عدم شمول النهي الولد في الأخبار له ، لأنّه  
يستطيع الخوض في هذا المبحث ليتمكّن من الوصول إلى معرفة الحقّ ، ومن ثمّ المباشرة إلى تعليم غيره الولد على من أراد  
الطعن بعقيدة الإسلام .

### الرأي الثاني :

إنّ النهي عن الكلام في القضاء والقدر ناظر إلى "النهي عن الكلام فيما خلق الله

1 - انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد : مبحث تفسير أخبار القضاء والقدر ، ص 57 .

الصفحة 145

تعالى، وعن الله وأسبابه وعما أمر به وتعبّد ، وعن القول في علل ذلك إذا كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً ، لأنّ  
الله تعالى سترها عن أكثر خلقه" (1) .

بعبارة أخرى :

إنّ المقصود من النهي عن الخوض في القضاء والقدر هو النهي عن الخوض لمعرفة الأسرار والعلل الغيبية المرتبطة  
بالخلق والتشريع الإلهي .

### سبب النهي :

إنّ العقول مهما بلغت في نضجها وإبرائها فهي عاجزة عن إدراك الأبعاد الغيبية المرتبطة بشؤون الخلق والتشريع، ولهذا  
يؤدّي تكلفها في هذا المجال إلى زدياد حيرتها بحيث يدفعها ذلك إلى التيه والانحراف .

### النتيجة :

ينبغي للعباد أن يكتفوا بما جاء في الشريعة الإلهية حول علل الخلق وحكمة التشريع، وأن يقتصر تفكيرهم في هذا المجال  
على الحدود التي بيّنها الله تعالى لهم .

### الرأي الثالث :

إنّ النهي والتحذير ناظر إلى التفتيش عن المقوّرات، واتباع السبل غير المشروعة من قبيل "الكهانة" و"تحضير الأرواح"  
و"الاتّصال بالجن" من أجل اكتشاف ما ستره الله على عباده من قضائه وقوه (2) .

بعبارة أخرى :

إنّ المقصود من النهي عن الخوض في القضاء والقدر لا يعني النهي عن البحث حول حقيقة معناه، بل يعني ذلك المباورة العملية عن طريق السبل غير المشروعة إلى اكتشاف ما سيكون في المستقبل من أمور تتحقق بقضاء الله تعالى وقوره

1- تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: مبحث تفسير اخبار القضاء والقدر ص 57 .

2- راجع : بحار الأثوار ، العلامة المجلسي : ج 5 ، كتاب العدل والمعاد ، باب 3 ، ح 23، ص 97 .

الصفحة 146

### سبب النهي :

وَألا . تكلف الاطلاع على ما ستره الله تعالى، يعني التجسس في الحريم الإلهي، وهو أمر محرم ولا ينبغي الخوض فيه .

ثانياً . إنّ هذا الطويق كما وصفه الإمام علي (عليه السلام) <sup>(1)</sup> :

- 1 . سرّ من أسوار الله .
- 2 . ستر من ستر الله .
- 3 . حرز من حرز الله .
- 4 . مرفوع في حجاب الله .
- 5 . مطوي عن خلق الله .
- 6 . مختوم بخاتم الله .
- 7 . سابق في علم الله .
- 8 . وضع الله عن العباد علمه .
- 9 . بحر زاخر مواج خالص لله تعالى .
- 10 . عمقه ما بين السماء والأرض .
- 11 . عوضه ما بين المشرق والمغرب .
- 12 . أسود كالليل الدامس .
- 13 . كثير الحيات والحيتان .
- 14 . يعلو موة ويسفل أخرى .
- 15 . في قوه شمس تضيئ .

ثمّ قال (عليه السلام): "لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ، ونزعه في

سلطانه ، وكشف عن سوءه وسوءه وباء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير" .

1- انظر: الاعتقادات، الشيخ الصدوق: ب7، ص15 . 16 .

2- الاعتقادات، الشيخ الصدوق: ب7، ص15 . 16 .

الصفحة 147

الصفحة 148

### المبحث الثالث

#### معنى القضاء والقدر (في اللغة)

##### معنى القضاء (في اللغة) :

القضاء هو فصل الأمر <sup>(1)</sup> ، سواء كان هذا "الأمر" قولاً أو فعلاً، وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري ، ومثال ذلك <sup>(2)</sup> :

1 . القول الإلهي: **{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُوا إِلَّا إِيَّاهُ }** [الإسراء: 23]

أي: أمر ربك ألا تعبوا إلا إياه .

2 . الفعل الإلهي: **{ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ }** [فصلت: 12]

أي: خلقهن الله تعالى وأوجدهن سبع سموات في يومين .

3 . القول البشري: من قبيل قضاء الحاكم ، لأن حكمه يكون بالقول .

4 . الفعل البشري: **{ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ }** [البقرة: 200]

أي: فإذا أدبتموا مناسككم، فاذكروا الله تعالى .

##### معنى القدر (في اللغة) :

القدر هو كمية الشيء ، وتقدير الله تعالى للأشياء عبارة عن جعلها على مقدار ووجه مخصوص حسب حكمته عزّ

<sup>(3)</sup> وجلّ .

##### أنواع التقديرات الإلهية :

1 . تقدير الخلق:

قال تعالى: **{ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا }** [الفرقان: 2]

- 1 - انظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (قضى) .
- 2 - انظر: المفردات في غريب القآن ، الراغب الأصفهاني: مادة (قضي) .
- 3 - انظر: المفردات في غريب القآن ، الراغب الأصفهاني: مادة (قدر) .

الصفحة 149

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَرَ كُلَّ مَا رَادَ خَلْقَهُ .

2 . تقدير الكم والكيف :

قال تعالى: **{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ }** [ الْحَجَر: 21 ]

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقُولُ مِنْ خَزَائِنِهِ شَيْئًا عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بَعْدَ تَحْدِيدِ قَدْرِ ذَلِكَ الشَّيْءِ كَمَا وَكَيْفًا .

وقال تعالى: **{ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ }** [ الوعد: 8 ]

أي: لَا يَكُونُ شَيْءٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا مُحَدَّدًا بِمَقْدَارٍ مُعَيَّنٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْكَمِيَّةِ وَالْكَيفِيَّةِ .

3 . تقدير الماهية والخاصية :

قال تعالى: **{ وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }** [ فَصَّلَتْ: 12 ]

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا عَلَى مَقْدَارٍ وَوَجْهٍ مُخْصِصٍ مِنَ التَّوَيَّنِ بِالْمَصَابِيحِ وَ ...

وقال تعالى: **{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }** [ القمر: 49 ]

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَفْقَ قَدْرِ مُعَيَّنٍ وَعَلَى وَجْهِ مُخْصِصٍ .

4 . تقدير الزمان والأجل :

قال تعالى: **{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }** [ الْأَعْوَابُ: 34 ]

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ غَايَةَ مُعَيَّنَةً فِي الزَّمَانِ بَحِيثٍ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْعَهُمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْأَجَلَ .

وقال تعالى: **{ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مُهِينٍ \* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَوَارِيرٍ مُكِينٍ \* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ }** [ الْمَوْسَلَاثُ: 20 . 22 ]

أي: إِلَى زَمَانٍ مُحَدَّدٍ وَمَعْلُومٍ .

وقال تعالى: **{ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }**

الصفحة 150

[ يس: 38 ]

أي: إِنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي وَفْقَ قَدْرِ زَمَانِي مُعَيَّنٍ حَدَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا .

الصفحة 151

المبحث الرابع



## معنى القضاء والقدر (في الاصطلاح العقائدي)

### الرأي الأول :

القضاء والقدر عبارة عن كتابة الله تعالى كل ما سيجري في الكون بتمام خصوصياته وقوره في الوح المحفوظ، والتي منها كتابته عز وجل ما سيجري على العباد واخبار الملائكة بذلك .

### أقوال العلماء المؤيدين لهذا الرأي :

- 1 . الشيخ الصدوق: "يجوز أن يقال: إن الأشياء كلها بقضاء الله وقوره تترك وتعالى بمعنى أن الله عز وجل قد علمها وعلم مقاديرها"<sup>(1)</sup> .
- 2 . المحقق الطوسي: "والقضاء والقدر إن أُريد بهما خلق الفعل لزم المحال .. والإعلام [ أي: وإن أُريد بهما الإعلام والإخبار ] صحّ مطلقاً"<sup>(2)</sup> .
- 3 . العلامة الحلبي: "أ نه تعالى قضى أعمال العباد وقورها [ فإذا قلنا ] أ نه تعالى بينها وكتبها وأعلم أنهم سيفعلونها فهو صحيح ، لأ نه تعالى قد كتب ذلك أجمع في الوح المحفوظ وبينه لملائكته .."<sup>(3)</sup> .

خلاصة هذا الرأي :

القضاء والقدر ينقسم إلى قسمين :

- 1 . القضاء والقدر العلمي: وهو علم الله الذاتي بما سيجري من أمور في الخلق مع علمه تعالى بالحدود والمقادير المحيطة بها، والعلم بعلتها التامة الموجبة لها .
- 2 . القضاء والقدر الفعلي (العيني): وهو تسجيل الله لهذا العلم في لوح المحو

---

1 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 6، باب القضاء والقدر و... ، ذيل ح32، ص375 .

2 - كشف الواد ، العلامة الحلبي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الثامنة، ص432 . 433 .

3- المصدر السابق: ص433 .

والإثبات ، وتدوين كل فعل مقدر بالمقادير ومستند إلى علته التامة الموجبه له .

### الحكمة من كتابة المقادير وتدوينها :

إنّ الله تعالى لا يحتاج إلى كتابة المقادير، وهو مژه عن السهو والنسيان ، وانما المقادير تنون لكي تتلقاها الملائكة كأمر، فتقوم بإنجاز الأعمال الموكلة بها وتنفيذها بإذن الله، ومنه قوله تعالى: **{ فَأَلْمُدَوَاتُ أَمْرًا }** [ النزعات: 5 ] ، والمقصود من المدوات كما ورد في التفاسير هي الملائكة التي تدبر شؤون الخلق .

## عمل الملائكة :

إنّ لكلّ حدث في هذا العالم . إضافة إلى العلل والأسباب المادية . علل وأسباب غيبية خافية علينا، بحيث لا يمكننا معرفتها بالحس ورصدها بالتجربة ، وتعتبر الملائكة من هذه الأسباب الغيبية حيث إنّها تقوم بمهمات خاصة في هذا العالم .

## الرأي الثاني حول معنى القضاء القدر اصطلاحاً :

القضاء: إنّ القضاء الإلهي في أفعال العباد يعني أنّه تعالى :

قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها .

وقضى في أفعالهم السيئة بالنهي عنها .

القدر: إنّ القدر الإلهي في أفعال العباد يعني أنّه تعالى بينّ مقادير وأمره ونواهيه للعباد، ووضّح لهم تفاصيل هذه

التكاليف (1) .

## أدلة هذا الرأي :

1 . قال علي بن موسى الرضا(عليه السلام): " ... ما من فعل يفعله العباد من خير وشرّ إلاّ ولله فيه قضاء " .

فسأله الرولي: فما معنى هذا القضاء؟

قال(عليه السلام): "الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا

1 - انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: تفسير آيات القضاء والقدر ، ص 56 .

الصفحة 153

والآخرة" (1) .

2 . فسّر الإمام علي(عليه السلام) القضاء والقدر لمن سأله عنهما بأّنهما الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية .

فلما سُئل (عليه السلام): فما القضاء والقدر الذي ذكّرته يا أمير المؤمنين؟

قال(عليه السلام): "الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية ، والمعونة على القوية

إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد والتّهييب . كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقوه لأعمالنا ... " (2) .

3 . قال الإمام علي(عليه السلام) للشخص الذي فهم معنى الجبر من القضاء والقدر:

" ... لعلك ظننت قضاءً لراماً وقرواً حاتماً ! ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد . إن الله

سبحانه أمر عباده تخيراً ونهاهم تحذراً ، وكلفّ يسيراً ولم يكلفّ عسراً، ولم يعصُ مغلوباً، ولم يطع مكوهاً، ولم يرسل

الأنبياء لعباً ، ولم يقول الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا: { ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

(3)

كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } [ ص: 27 ] " .

## أقوال العلماء المؤيدين لهذا الرأي :

1 . قال الشيخ الصدوق حول القضاء والقدر: "اعتقادنا في ذلك قول الصادق(عليه السلام)لزراعة حين سأله حول ما تقول ياسيدي في القضاء والقدر؟ قال(عليه السلام): "أقول: إنّ الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم<sup>(4)</sup> ولم يسألهم عما قضى عليهم"<sup>(5)</sup> .

توضيح ذلك :

إذا جمع الله تعالى العباد يوم القيامة ، فإنه لا يسألهم إلا عن أعمالهم التي عهد

- 
- 1- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل ، ب1، ح18، ص12 .
  - 2- المصدر السابق: باب 3: القضاء والقدر ... ، ح20 ، ص96 .
  - 3 - نهج البلاغة ، الشريف الوضي، باب المختار من حكم أمير المؤمنين، حكمة 78، ص666 .
  - 4- أي: عمّا كلفهم به .
- انظر: نور الواهين ، نعمة الله الخراوي: ج2 ، باب 60: باب القضاء، ص312 هامش حديث 2 .
- 5- الاعتقادات ، الشيخ الصدوق، باب6 : الاعتقاد في الإرادة والمشينة، ص10 .

الصفحة 154

إليهم ، فأمرهم بالحسن منها، ونهاهم عن القبيح منها<sup>(1)</sup> .

2 . قال الشيخ الصدوق: "يجوز أن يقال: إنّ الأشياء كلّها بقضاء الله وقدره تترك وتعالى بمعنى ... : له عزّ وجلّ في جميعها حكم من خير أو شر . فما كان من خير، فقد قضاه بمعنى أنه أمر به وحتمه وجعله حقاً، وعلم مبلغه ومقدره .

وما كان من شر فلم يأمر به ولم يرضه، ولكنه عزّ وجلّ قد قضاه وقدره بمعنى أنه علمه بمقدره ومبلغه وحكم فيه

بحكمه"<sup>(2)</sup> .

## الرأي الثالث حول معنى القضاء والقدر اصطلاحاً :

تفسير القضاء والقدر وفق نظام الأسباب ، وسنبيّن هذا التفسير بصورة مفصلة في المبحث القادم .

- 
- 1 - انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية ، الشيخ المفيد: تفسير أخبار القضاء والقدر ص59 .
  - 2 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب60: باب القضاء والقدر و... ، ذيل ح32 ، ص375 .

الصفحة 155

## تفسير القضاء والقدر وفق نظام الأسباب

إنَّ تحقُّقَ كلِّ شيءٍ في هذا العالم بحاجة إلى وجود مجموعة أسباب وعلل تسبقه ، ومن مجموع هذه "العلل الناقصة" تتكوّن "العلّة التامة" التي تؤدّي إلى تحقُّق ذلك الشيء <sup>(1)</sup> .

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام):

"أبى الله أن يحيي الأشياء إلاّ بأسبابها ، فجعل لكلِّ شيء سبباً ..."<sup>(2)</sup> .

### معنى القضاء :

"القضاء" عبارة عن حتمية وقوع الشيء ووصوله إلى مرتبة ضرورة التحقُّق عند اجتماع علله الناقصة وتكوين علته التامة التي تؤدّي إلى تحقُّقه .

مثال :

إنّ عملية احتراق الخشب بالنار لا تتحقَّق إلاّ بعد :

1 . توفّر الشروط المطلوبة، من قبيل: تماس النار بالخشب ووجود الأوكسجين و ..

2 . ارتفاع الموانع من قبيل: وجود بلل أو رطوبة في الخشب و ...

فإذا وجدت النار، وتوفّرت الشروط المطلوبة، ولتفقت الموانع ، فحينئذ تتكوّن "العلّة التامة"، فيصل الأمر إلى مرتبة "القضاء" ، فيتحقَّق الاحراق .

1 - انظر: الميزان ، العلامة الطباطبائي: ج12 ، تفسير سورة الحجر ، آية 16 . 25 ، ص140 ، وج13 ، تفسير سورة الإسراء، آية 9 . 22 ، ص72 . 73 .

2- الكافي، الشيخ الكليني: ج1 ، كتاب الحجّة ، باب معرفة الإمام والودّ عليه ، ح7، ص183 .

الصفحة 156

وأما إذا انتفى جزء من هذه الأجزاء المكوّنة للعلّة التامة ، فإنّ المعلول ينتفي في الخرج ، فلا يصل الأمر إلى مرتبة "القضاء" ، ولا يتحقَّق الاحراق .

### معنى القدر :

"القدر" عبارة عن الحدود والخصائص التي يتّصف بها الشيء حين تحقُّقه من جهة الزمان والمكان والكمية والكيفية والأمر الأخرى التي بها يتعيّن الشيء ويتميّز عن غيره .

بعبارة أخرى :

"القضاء" يعني بلوغ أسباب وقوع كلّ فعل إلى حدّ "العلّة التامة" المؤدية إلى تحقُّق الفعل . أي: وصول الفعل بعد اجتماع

جميع "علله الناقصة" وتكوين "علته التامة" إلى مرتبة "التحقق" .

و"القدر" يعني: أن الأسباب المكوتة للعلّة التامة لا تعمل إلا في إطار المقادير التي حددها الله تعالى لها .

### معنى القضاء والقدر الإلهي في أفعال العباد :

إن كل شيء في هذا العالم ومنها أفعال العباد لا تتحقق إلا في إطار الأسباب التي جعلها الله تعالى في هذا العالم .

### معنى القضاء الإلهي في أفعال العباد :

إن معنى قولنا: لا تتحقق أفعالنا إلا بقضاء الله تعالى ، أي: لا تتحقق أفعالنا إلا من خلال العلل والأسباب .

وكل فعل من أفعالنا إذا اجتمعت "العلل الناقصة" لتحقيقه، وبلغت مرحلة "العلّة التامة"، فإن تحقق هذا الفعل يصل إلى مرحلة

"القضاء".

فيقال: تحقق هذا الفعل بقضاء الله .

أي: تحقق هذا الفعل نتيجة النظام السببي الذي جعله الله تعالى وسيلة لتحقيق هذا الفعل .

الصفحة 157

### تنبيه :

لا يصل فعل الإنسان إلى مرحلة التحقق (أي: مرحلة القضاء) إلا بعد اجتماع جميع العلل الناقصة المؤدية إلى تكوين العلة التامة التي تكون السبب الأساسي لتحقيق الفعل .

ولا يخفى بأن إحدى العلل المؤثرة في تحقق كل فعل من أفعال الإنسان الاختيلية هي اختيله لذلك الفعل . وهذا "الاختيار" يشكل إحدى العلل والأسباب المؤدية إلى تشكيل العلة التامة للفعل الذي سيصدر منه .

إذن :

إن "اختيار الإنسان" سبب كباقي الأسباب، وجزء من العلل المؤثرة في تحقق أفعاله .

### معنى القدر الإلهي في أفعال العباد :

إن معنى قولنا: لا تتحقق أفعالنا إلا بقدر الله ، أي: لا تتحقق أفعالنا إلا في دائرة الحدود التي منحها الله للأسباب .

فمن تمسك بسبب ، فإن هذا السبب لا يتوكأه إلا بمقدار ما جعل الله فيه من قوة وقوة وغوها من الخصوصيات .

### الأدلة الروائية المؤيدة لهذا الرأي :

1 . ورد أن الإمام علي(عليه السلام) عدل من عند حائط مائل ومشرف على السقوط إلى مكان آخر ، فقيل له: يا أمير

المؤمنين أتفر من قضاء الله ؟ !

فقال(عليه السلام): "أفر من قضاء الله إلى قدر الله"<sup>(1)</sup> .

معنى الحديث :

إنَّ الحائظ يسقط عند توفّر علتّه التامة، فإذا سقط فإنه يسقط "بقضاء الله تعالى"

1- الاعتقادات ، الشيخ الصدوق: باب 7: باب الاعتقاد في القضاء والقدر ، ص 16 .

الصفحة 158

أي: وفق نظام الأسباب الذي جعله الله تعالى في هذا العالم .

وبما أنّ الله تعالى جعل "اختيار الإنسان" من جملة الأسباب، و"قدر" أن يكون الإنسان مختلراً ومحدداً لمصوه ، فإنّ العدول عن الحائظ المشرف على السقوط إلى مكان آخر أيضاً يكون من "قدر الله تعالى"، لأنّه يتم عن طوق التمسك بالأسباب التي خلقها الله تعالى ، ومن هذه الأسباب هي كون الإنسان مختلراً .

ولهذا قال الإمام علي(عليه السلام): "أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله" .

2 . سئل الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) عن الرقي <sup>(1)</sup> هل تدفع من القدر شيئاً؟ فقال (عليه السلام): "هي من القدر" <sup>(2)</sup> .

معنى الحديث :

إنّ الأذى الذي يصيب الإنسان إنّما يصيبه عن طريق الأسباب ، ولهذا يكون هذا الأذى من القدر، أي: من الأمور التي تصيب الإنسان في إطار النظام السببي .

وبما أنّ الأسباب يسلب بعضها أثر الآخر، من قبيل: زالة النار عن طريق صبّ الماء عليها ، فإنّ الإمام(عليه السلام) يعتبر الرقية (التي يتعوّذ بها الإنسان من الآفات) سبباً من الأسباب التي تودع الآفات وتصون الإنسان من أذاها .  
ولهذا اعتبر الإمام(عليه السلام) الرقية من القدر، أي: من الأسباب التي يدفع الإنسان بها أثر الأسباب الأخرى من قبيل الآفات .

**بعض السنن الإلهية المذكورة في القرآن الكريم :**

1 . { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقَوَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذِبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }<sup>١</sup>

[ الأعراف: 96 ]

2 . { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }<sup>٢</sup>

1 - الرقي جمع رقية، وهي ما يتعوّذ بها الإنسان من الآفات .

2- الاعتقادات ، الشيخ الصدوق، باب 7: باب الاعتقاد في القضاء والقدر، ص 16 .

الصفحة 159

وَيَعْفِرْ لَكُمْ { [ الأنفال: 29 ]

3. { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } [الطلاق: 2، 3]
4. { ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ لَمْ يَكْ مَعْرُوءًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسَهُمْ } [الأنفال: 53]
5. { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بُقِومَ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسَهُمْ } [الرعد: 11]
6. { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ } [البقرة: 22]
7. { لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد } [إبراهيم: 7]
8. { وَمَا كُنَّا مَهْلِكِي الْقَوَى إِلَّا وَأَهْلَهَا ظَالِمُونَ } [القصص: 59]
9. { فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } [فاطر: 43]
- أي: من سنن الله تعالى ثبات سننه وعدم تبدلها وعدم تحولها .
10. { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } [التوبة: 14]
- أي: إن الله تعالى جعل أيدي المؤمنين سبباً لتعذيب الكفار .

### ضرورة التمسك بنظام الأسباب :

1. إن أسباب التقدم والعمران والتطور مبنولة للجميع ، ومن يتمسك بها يصل إليها . بإذن الله تعالى . سواء كان وا أو فاحراً ، مؤمناً أو كافراً .
2. إن الذي يكتشف السنن الكونية ، ويتعرف عليها بدقة يكون قانوا على تسببها والتحكم بها ، ولكن الغافل عنها يكون أسوأ بيدها تتحكم به كيفما تشاء وهو مغمض العينين !
3. ينبغي للإنسان الأخذ بكافة الأسباب التي أوجدها الله تعالى ، والتعامل معها في صعيد الحياة وتطورها والسعي للاستفادة منها بأقصى حد ممكن من أجل الوصول إلى النتائج المطلوبة .
4. يكون الإنسان بمقدار إمامه بالسنن الكونية قانوا على تفجير طاقاته

الصفحة 160

- الكامنة وتنمية مواهبه واستعداداته واقتحام الموانع التي تمنعه من بلوغ أهدافه السامية .
5. إن من الأمور التي ينبغي الالتفات إليها هي أن كل سبب له من التأثير ما يختلف عن السبب الآخر ، وبما أن الأشياء تتعرض في كل آن لأسباب مختلفة ، فلهذا يكون لكل منها اتجاه خاص يختلف عن غيرها .
6. إن سعي الإنسان لاكتشاف السنن عمل عبادي، لأن به يوفر الإنسان لنفسه ولغوره الأرضية المناسبة لنيل الأهداف العبادية ، من قبيل استخدام التقنية لتسهيل أعمال الخير وأدائها في نطاق واسع .
7. إن الأسباب المؤثرة في هذا العالم لا تقتصر على "الأسباب المادية" فحسب ، لأن العالم لا يقتصر على البعد الحسي والمادي فقط ، بل فيه بُعد غيبي ومعنوي ، ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يغفل عن "الأسباب الغيبية والمعنوية" الموجودة في الكون ، من قبيل "الدعاء" كسبب إيجابي و"الحسد" كسبب سلبي .

- 8 . إنَّ الواقع الفودي أو الاجتماعي لا يتغيَّر بصورة عفوية ، وإنما يتوقَّف ذلك على شروط ، وتعتبر رادة الإنسان الناتجة من اختياره هي الشروط الأساس لحدوث هذا التغيير .
- 9 . كلُّ شيء في هذا العالم يخضع لأسبابه الواقعية ويجري ضمن قانون محكم ومخطَّط دقيق، و"الصدفة" إنما هي حدث خفيت علينا أسبابه .
- 10 . إنَّ فشل الإنسان وعدم تمكُّنه من الوصول إلى أهدافه في دائرة الأسباب لا يدل على أنَّ الله تعالى لا يريد حتماً تحقُّق هذه الأهداف ، بل قد يكون ذلك نتيجة وجود عوامل مجهولة تقف دون وصول الإنسان إلى ما يريد ، وعلى الإنسان أن يسعى لاكتشاف هذه الأسباب المجهولة .
- 11 . إنَّ ترك الأسباب وعدم مجرأة السنن الكونية بزريعة الانتكال على الله تعالى ينشأ من قلة العلم بالنظام الإلهي في هذا العالم ، وتكون نتيجته المعيشة في دائرة الفقر والحمان نتيجة مخالفة سنن الله تعالى .
- 12 . ينبغي للإنسان أن يتجنَّب في مسورة حياته من الإفاط والتفريط المتمثِّل

الصفحة 161

- من جهة في الإعراض عن الله تعالى والانتكال على الأسباب فحسب ، ومن جهة أخرى التوكُّل على الله من دون التمسك بالأسباب ، لأنَّ هذا الأمر ليس من التوكُّل، بل هو من التواكل المذموم .
- 13 . إنَّ اللجوء إلى الأسباب والمسببات لا يعني خروجها عن حيطة ملكوت الله سبحانه وتعالى وسلطان مشيئته ، بل إنَّ جميع الأسباب تعمل في ظلِّ مشيئة الله تعالى وفي إطار هيمنته المطلقة .

### ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر المفسَّر وفق نظام الأسباب :

يندفع الإنسان الذي يؤمن بهذا المعنى من مفهوم القضاء والقدر إلى اتِّباع الطويق الصحيح في جميع المراحل التالية التي يمرُّ بها خلال سلوكه العملي في الحياة:

وَأولاً . قبل العمل :

- 1 . يندفع الإنسان إلى بذل المزيد من الجدِّ والاجتهاد والسعي من أجل التعرف على نظام الأسباب، والسير على ضوئه من أجل الوصول إلى أفضل النتائج وأجود الثروات والانجرات .
  - 2 . يزداد اهتمام الإنسان بمسألة التخطيط واتِّباع الخطوات المدروسة ، لأنَّه يعي بعد إيمانه بالقضاء والقدر بأنَّ العالم يحكمه نظام سببي دقيق بحيث لا يمكن الوصول إلى الأهداف إلاَّ عن طويق مراعاة هذا النظام .
- ثانياً . أثناء العمل :

- 1 . يعي الإنسان بوجود نظم وعدم وجود فوضى في هذا الكون ، ويترك أنَّ السنن والأسباب تمثِّل التدبير الإلهي ومشيئته في كيفية وصول الإنسان إلى أهدافه في هذه الحياة .
- 2 . يندفع الإنسان إلى التمسك بالأسباب التي أوجدها الله تعالى والاستفادة منها بأقصى حدٍّ ممكن من أجل حصد أكبر قدر



ثالثاً . بعد العمل :

1 . إذا كانت النتيجة مطلوبة: يحمد الإنسان ربّه ويشكوه على ما هياً له من أسباب النجاح .

2 . إذا كانت النتيجة غير مطلوبة:

وَأَلا: لا يلوم الإنسان نفسه ، ولا تضعف عزيمته ، ولا يشعر بالحسرة والندامة، لأنّه يبرك بأنّه أدّى ما كان عليه ، فيسلم أمره إلى الله تعالى ويحمده على كلّ حال .

ثانياً: يقوم الإنسان بواحدة الأسباب من جديد ، لأنّ فشله في العمل قد يكون نتيجة خطئه في التمسك بالأسباب ، وقد تعينه واحدة الأسباب من جديد إلى معرفة الطريق الصحيح الذي يوصله إلى هدفه المطلوب .

### تنبيه :

إنّ النتيجة الحاصلة من التمسك بالأسباب تختلف من شخص إلى آخر ، لعدة عوامل منها اختلاف الناس فيما وهبهم الله تعالى من استعداد وقوة وقابلية .

وينبغي للإنسان أن يرضى بما قدرّ الله تعالى له من استعداد وقوة ، وليس عليه سوى السعي في إطار ما لديه من قابلية . كما ينبغي للإنسان أن يعلم بأنّ المواهب التي أعطاه الله له ليست مزايًا، بل هي وسيلة لاختبره في هذه الحياة، وسيحاسب الله تعالى كلّ إنسان حسب ما يمتلك من هذه المواهب .

### آداب التمسك بنظام الأسباب :

ينبغي للإنسان حين تمسكه بالأسباب أن :

1 . يتكل ويعتمد على الله تعالى لا على الأسباب .

2 . يعي بأنّ الله تعالى هو الذي هياً له الأسباب ويسرّ له السعي والعمل .

3 . يعلم حين العمل بأنّه لم يستطع ذلك إلاّ بحول الله تعالى وقوته .

4 . يستعين بخالق الأسباب وهو الله تعالى ، ولا يغفل عنه عند تمسكه بالأسباب .

### القول باستقلال نظام الأسباب :

ذهب البعض إلى القول باستقلال الأسباب واستغنائها عن الله تعالى، وقالوا بأنّ الله تعالى كفّ يده عن العالم، وفوض

الكون بيد نظام الأسباب والمسببات .

يرد عليه :

- 1 . إنَّ وصول الإنسان إلى الأهداف عن طريق التمسك بالأسباب لا يعني انغوال هذه الأسباب عن الله تعالى ، بل هذه الأسباب . في الواقع . هي النظام الذي رُاد الله تعالى أن يتمّ من خلاله تحقّق الأشياء في هذا العالم .
- 2 . إنَّ تحقّق الأمور عن طريق الأسباب في هذا العالم لا يعني خروج الأمر عن رادة الله تعالى ، لأنّ هذه الأسباب . في الواقع . لا تمتلك التأثير المستقل ، ولا تعمل بنفسها ، بل تعمل بقوة الله تعالى ، وفي ظل مشيئته .
- 3 . إنَّ الأسباب الموجودة في هذا العالم لا تحدّد قوّة الله تعالى أبداً، ولا يكون البري مغول اليديّن أمام الأسباب التي وضعها بنفسه ، بل الله تعالى كما كانت له القوّة على إيجادها ، فله القوّة على تغييرها ومحوها أو إثباتها كيفما يشاء .

### تنبيه :

إنَّ التصوّف الإلهي في الكون لا يعني بالضرورة تبديل وخرق السنن الطبيعية الموجودة في هذا العالم ، بل شاء الله تعالى أن يكون تصوّفه في الكون وفق المعرى الطبيعي وحسب الأسباب الموجودة فيه .

### النتيجة :

إنَّ القول باستقلال الأسباب يؤدّي إلى :

وَألا: تحويل نظام الأسباب إلى أوثان تُعبّد من دون الله .

الصفحة 164

- ثانياً: عزّل الله تعالى عن سلطانه وتنفيذ رادته في هذا العالم .
- ثالثاً: سلب روح عبودية الله تعالى من الإنسان خلال تعامله في الحياة .

الصفحة 165

## المبحث السادس

### الرضا بقضاء الله تعالى وقوره

#### وجوب الرضا بقضاء الله وقوره :

- 1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "قال الله جلّ جلاله: من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقوري فليلتمس إليها غوي"<sup>(1)</sup> .
- 2 . قال الإمام علي (عليه السلام) لأحد الأشخاص: " ... وإن كنت غير قانع بقضائه وقوره فاطلب رباً سواه"<sup>(2)</sup> .

#### توضيحات :

- 1 . يجب الرضا بقضاء الله وقوره ، لأنّه تعالى لا يقضي إلاّ بالحق، ولا يقدر إلاّ ما كان صواباً، ولا يفعل إلاّ ما كان

عدلاً .

- 2 . إنَّ معنى الرضا بالقضاء والقدر الإلهي وفق تفسيره بكتابة الله تعالى لأفعال العباد في اللوح المحفوظ وإخبره الملائكة بها هو الرضا بهذه الكتابة والإخبار<sup>(3)</sup> .
- 3 . إنَّ معنى الرضا بالقضاء والقدر الإلهي وفق تفسيره بالأمر والنهي الإلهي هو القبول والاستسلام والإيمان والإذعان بما كلف الله به العباد من أوامر ونواه وأحكام .
- 4 . إنَّ معنى الرضا بالقضاء والقدر الإلهي وفق تفسيره بنظام الأسباب يعني

- 1 - التوحيد ، الشيخ الصدوق: باب 60: باب القضاء والقدر و... ، ح 11، ص 360 .
- 2- المصدر السابق: ح 13 ، ص 361 .
- 3 - انظر: كشف العواد ، العلامة الحلبي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الثامنة، ص 433 .

الصفحة 166

الرضا بالنظام الذي اقتضته الحكمة الإلهية ورأدت جريانه في هذا العالم .

- 5 . إنَّ الله سبحانه وتعالى قضى وقدر أن يكون الإنسان حراً مختلراً في سلوكه، والرضا بقضاء الله وقدره لا يعني الرضا بكل ما يفعله الإنسان ، وإنما هو الرضا بأن الله تعالى خلق الإنسان حراً ومختلراً في سلوكه وتصرفاته .
- 6 . لا يعني الرضا بالقضاء والقدر الإلهي أن يتجه الإنسان نحو التكاسل ويترك الأسباب ويروضى بكل ما يجري عليه ، لأنَّ الإنسان مكلف بتغيير الواقع السيء الذي هو فيه، ولا يجوز له الاستسلام والعود عن العمل في الحالات التي يكون قابلاً على التغيير .

الصفحة 167

## المبحث السابع

### أقسام القضاء والقدر<sup>(1)</sup>

#### التقسيم الأول :

- 1 . القضاء والقدر العلمي .
  - 2 . القضاء والقدر العيني .
- القضاء العلمي: وهو عبارة عن علم الله عز وجل بوجود الأشياء وأوامها ، ومعرفته بتحققها أو عدم تحققها .
- القدر العلمي: وهو عبارة عن علم الله عز وجل بخصوصيات ومقدار جميع الأشياء التي ستوجد .
- القضاء العيني: وهو عبارة عن ضرورة وجود الشيء في الخرج عند وجود علته التامة .
- القدر العيني: وهو عبارة عن الخصوصيات التي يكتسبها الشيء من علته عند تحققه<sup>(2)</sup> .

## التقسيم الثاني :

1 . القضاء والقدر التكويني: وهو أنّ الله تعالى جعل حداً محدوداً لما أراد

1 - هذه التقسيمات مقتبسة من آراء العلماء حول معنى القضاء والقدر، وهي الآراء التي ذكرناها في المبحث الرابع والخامس من هذا الفصل .

2 - تنبيه: ينسجم هذا التقسيم مع الرأي الثالث للقضاء والقدر ، أي: تفسير القضاء والقدر بنظام الأسباب ، وأمّا على ضوء الرأي الأول، أي: تفسير القضاء والقدر بما يكتبه الله في اللوح المحفوظ فمعنى القضاء والقدر مغاير لما ورد في هذا المقام ، وقد ذكرناه في محله عند بيان الرأي الأول .

الصفحة 168

خلقه ، ثمّ لوجده وفق ذلك القدر .

2 . القضاء والقدر التشريعي: وهو أنّ الله تعالى بين الأحكام التي يريد من العباد، وبين حدودها ومقاديرها وأمرهم بالالتزام بها .

الصفحة 169

## المبحث الثامن

### خصائص القضاء والقدر

1 . إنّ القضاء والقدر أمران متلازمان ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأنّ أحدهما بمقتلة الأساس وهو "القدر" ، والآخر بمقتلة البناء وهو "القضاء" <sup>(1)</sup> .

2 . إنّ القضاء والتقدير الفعليين من صفات الله الفعلية، لأنهما يتعلقان بالموجودات الممكنة ، ولا يكون لهما وجود خلجي إلا بوجود الخلقة .

3 . إنّ القضاء والقدر الفعليين (العينيّين) مخلوقان لله تعالى .

قال الإمام الصادق(عليه السلام): "إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق ما يشاء" <sup>(2)</sup> .

### معنى خلق الله للقضاء والقدر :

لا تتحقّق أي ظاهرة في الكون ، ولا تصل إلى مرتبة الوجود إلا بعد توفّر أسبابها وتعيين قوتها من قبل الأسباب ، والله سبحانه وتعالى هو الخالق للأسباب ، فلهذا ينسب خلق القضاء والقدر إليه تعالى <sup>(3)</sup> .

4 . إنّ المألوف والمتداول على الألسنة هو أن يقال: "القضاء والقدر"، فيقدّم "القضاء" على "القدر" ، ولكن "القدر" . في الواقع . مقدّم على "القضاء" في مراتب الفعل الإلهي، لأنّ الله تعالى يقدر ثم يقضي، ولا يقضي شيئاً إلا بعد تحديد قوته .

1 - انظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (قضى) .

2 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 60 : باب القضاء والقدر، ح1، ص354 .

3 - للمزيد راجع المبحث الخامس من هذا الفصل .

الصفحة 170

### أدلة تقدّم القدر على القضاء :

1 . قوله تعالى: **{ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }** [ القمر: 49 ] أي: لا يكون قضاء من دون سبق قدر ، وبعبارة أخرى: إنّ

القضاء الإلهي لا يتحقّق ما لم تتكامل المقتضيات وتتمّ المقادير المعينة بشروطها .

2 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنّ الله عزّ وجلّ قدرّ المقادير ودبر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام" (1)

3 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "قدرّ الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" (2)

4 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إنّ الله إذا أراد شيئاً فوّه ، فإذا فوّه قوّه قضاؤه، فإذا قضاه أمضاه" (3)

5 . إنّ "القدر" هو تحديد الشيء وتبيين مقلده ومعالمه ، ولهذا فهو يدخل في المقدمات ، ولكن "القضاء" يكون بمثابة النتيجة التي تأتي بعد المقدمات ، ولهذا يكون "القدر" قبل "القضاء" .

1 - التوحيد ، الشيخ الصدوق: باب 60 : باب القضاء والقدر و... ، ح22، ص366 .

2- المصدر السابق: ح7، ص358 .

3 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب 3 : القضاء والقدر و... ، ح64، ص121 .

الصفحة 171

### المبحث التاسع

#### الفهم الخاطي للقضاء والقدر

#### تشويه مفهوم القضاء والقدر :

1 . حاولت بعض السلطات الجاؤة تشويه العديد من المفاهيم الدينية وتويعها من محتواها الحقيقي . منها القضاء والقدر .

لأسباب ترتبط بخدمة مصالحها السياسية .

2 . إنّ بعض وعاظ السلاطين والسدجّ من الدعاة روجوا المعنى الخاطي للقضاء والقدر عن طريق مدح الكسل والخمول

والتفوق باسم فضل الزهد والصبر والتوكّل .

3 . لا ينبغي القول بأن الاختلاف في مختلف العصور الإسلامية حول معنى القضاء والقدر هو اختلاف علمي فحسب ، لأن المشكلة لا تقتصر على البعد العلمي فقط ، بل المشكلة . في الواقع . تكمن في مباوأة السلطات الجاؤة . عن طريق الاستعانة بامكاناتها الضخمة وقواتها الواسعة . إلى تزويج المعنى الخاطئ للقضاء والقدر .

### الفهم الخاطئ للقضاء والقدر :

إنّ الإنسان مجبور في جميع أفعاله وتصرفاته بما قضى الله تعالى له وقدر<sup>(1)</sup> .

### تبعات الفهم الخاطئ للقضاء والقدر :

1 . التلبس بالعقلية المستسلمة التي تركز إلى الوهن والتكاسل والعجز والخمول

1 - سيناقتش هذا الوأي بصورة مفصلة في الفصل القادم المرتبط بالجبر والتفويض .

الصفحة 172

نتيجة اعتقادها بالمعنى الخاطئ للقضاء والقدر .

2 . وهن الغرائم وتنشيط الهمم وشّل الإرادة وتعطيل السعي وبث روح الكسل بالنقاعس عن العمل .

3 . تفشّي الانحطاط والتخلّف والفسل في أوساط الواقع الاجتماعي نتيجة إمعاء نواعي السعي من الخواطر وغلّ الأيدي عن

العمل .

4 . الشعور بالعجز عن الإبداع والأتكال على الظروف والفرص المحتملة والاستسلام للوضع الواهن من دون المباوأة إلى

تغيره .

5 . الوقوف مكتوفي الأيدي في وجه الكولث نتيجة إيثار البطالة والكسل ، ومن ثمّ الوقوع في المصائب والنكبات والآلام

والضعف والذل .

6 . الميل في معظم الأحيان إلى الخوافة والشعوذة بدلا من التمسكّ بالأسباب الطبيعية الكامنة وراء الوقائع، وبدلا من

البحث عن العلاقات السببية الموجودة بين الظواهر .

7 . تفسير التخلّف تفسواً دينياً على أساس القضاء والقدر ، ومن ثمّ تضعيف صلة بعض أبناء المجتمع . ولا سيما الشباب .

بالدين واندفاعهم إلى التخلّي عن الأسس والمبادئ الدينية من أجل نيل التقدّم والاندماج في مسرات التحديث .

8 . انتشار الفساد وظهور الكفر وعلو الباطل في الأرض، وغير ذلك من التبعات الناتجة من القوأة المعرفية المغلوطة

لعقيدة القضاء والقدر والانسياق وراء الفهم الخاطئ لها .

### تنبيهات :

1 . إنّ عقيدة القضاء والقدر قد امتوجت بالجبر في نفوس بعض المسلمين وينبغي للطبقة الواعية في المجتمع أن تبادر إلى

تصحيح هذه العقيدة مما طرأ عليها من مفاهيم مغلوطة .

2 . من الخطأ أن يقتصر حديثنا عن القضاء والقدر عند مواقع فشلنا وعجزنا أو

الصفحة 173

عند الحديث عن نجاح الآخرين ، في حين لا نرى أية إثرة لهذه المسألة عند الحديث عن نجاحنا في العمل .

3 . إنَّ الفقر والحرمان الناتج من التكاثر عن العمل، وعدم السعي في طلب الرزق هو فقر ناتج من اختيار الإنسان ، ولا يحق لصاحبه أن يحتمل هذا الأمر على التقدير الإلهي ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ إنما قدر الفقر لهذا الشخص المتكاسل لتمسكه بأسباب الفقر واختياله الحرمان بنفسه .

4 . لا يحقَّ للإنسان المتكاسل الذي لا يصل إلى أهدافه وآماله نتيجة كسله وخموله أن يلقي اللوم على غوه وأن يسلي نفسه بكلمات من قبيل: الحظ والصدفة وعدم التوفيق والقضاء والقدر و ... .

### معالجة الفهم الخاطئ للقضاء والقدر :

1 . إنَّ القضاء والقدر عقيدة قَآنية ، ولا يعني وقوع البعض في الفهم الخاطئ لهذه العقيدة المباشرة إلى إلغائها كما تفعل الاتجاهات العلمانية ، بل ينبغي تصحيح هذا المفهوم في الواقع الفودي والاجتماعي وفق ما تقتضيه الحقيقة .

2 . إنَّ الشريعة الإسلامية واجهت الرؤية الاستسلامية التي تصوّر الإنسان مخلوقاً لا قوة له على تغيير وإصلاح الواقع الذي هو فيه ، وأشرت مراراً إلى قوة الإنسان على تغيير ما هو عليه عن طريق التمسك بالأسباب التي جعلها الله تعالى وسيلة للتغيير والإصلاح .

3 . لو كان قصد الإسلام من تبيين مسألة القضاء والقدر الدعوة إلى الكسل والخمول لما أتعب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه في الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيله، ولما تحمّل من المشوكين ما تحمّل .

الصفحة 174



## الفصل السابع

### الجبر والتفويض

معنى الجبر والاختيار

مذهب الجبرية

أقسام الجبر

الأدلة المبطله للجبر والمثبتة للاختيار

رد أدلة القول بالجبر

رأي الأشاعرة حول خلق الله لأفعال الإنسان

الاستطاعة وأثر قوة الإنسان في أفعاله

الكسب عند الأشاعرة

التفويض عند المعتزلة

مناقشة نظرية التفويض

القدرية

أفعال العباد عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

الأمر بين الأمرين

### المبحث الأول

#### معنى الجبر والاختيار (لغة واصطلاحاً)

معنى الجبر (في اللغة) :

الجبر هو الإكراه والإرغام والقهر .

والجبر في الفعل هو الحمل على الفعل بالقسر والغلبة<sup>(1)</sup> .

معنى الجبر (في الاصطلاح العقائدي) :



هو إجبار الله العباد على ما يفعلون ، خوفاً كان أو شواً، حسناً كان أو قبيحاً، نون أن يكون للعباد أية رادة أو قنوة أو اختيار على الرفض والامتناع<sup>(2)</sup> .  
بعبارة أخرى :

إنّ أفعال الإنسان كلّها لله تعالى ، والإنسان كالألة الجامدة يسوء الله بآرائه واختياره ، من دون أن يمتلك الإنسان أية رادة أو اختيار في أفعاله ، وإنّما يصدر الفعل منه وهو مجبر عليه .

### معنى الاختيار (في اللغة والاصطلاح العقائدي) :

الاختيار هو التمكن من فعل الشيء وتركه<sup>(3)</sup> .

---

1 - راجع: لسان العرب ، ابن منظور: مادّة (جبر) .

2 - انظر: المصطلحات الإسلامية ، موتضى العسكري: 148 .

3 - راجع: لسان العرب ، ابن منظور: مادّة (خير) .

وللمزيد راجع: المصطلحات الإسلامية ، موتضى العسكري: 149 .

---

الصفحة 178

## المبحث الثاني

### مذهب الجبرية

ذهب المذهب الجبري إلى أنّ الإنسان مجبور في جميع أفعاله ، وهو كالريشة في مهب الريح، أو كالخشب بين يدي الأمواج ، وأنّ نسبة الأفعال إلى الإنسان مجزية كما تنسب إلى النباتات والجمادات ، فيقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وما شابه ذلك<sup>(1)</sup> .

### أول طائفة إسلامية قالت بالجبر :

الجهمية

أصحاب جهم بن صفوان<sup>(2)</sup> وكانت عقيدتهم بأنّ الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنّما هو مجبور في أفعاله ؛ لا قنوة له ولا رادة ولا اختيار، وإنّما يخلق الله تعالى فيه الأفعال كما يخلقها في سائر الجمادات، وتنسب الأفعال إلى الإنسان مجزاً كما تنسب إلى الجمادات، فيقال: أثمرت الشجرة، وتحرك الحجر و...<sup>(3)</sup> .

---

1 - انظر: مقالات الإسلاميين ، أبو الحسن الأشعري: ذكر قول الجهمية، ص 279 .

الملل والنحل ، الشهورستاني: ج 1 ، الباب الأوّل ، الفصل الثاني: الجبرية ، 1 . الجهمية، ص 87 .

2 - جهم بن صفوان: هو أبو محرز جهم بن صفوان الواسبي.

قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ (رقم 1584):

"الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً".

وذكر عنه الطوي في تزيخه (حوادث سنة 128):

كان كاتباً للحلث بن سويج الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية .

3 - انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري: ذكر قول الجهمية، ص 279 .

الفرق بين الفرق، عبد القادر الاسفوايني: الباب الثالث، الفصل السادس، ص 211 .

الملل والنحل، الشهرستاني: ج 1، الباب الأول، الفصل الثاني: ص 86 .

الصفحة 179

### تنبيهان :

1 . انقوض هذا المذهب في أواخر القرون الواسطية، ولم يبق له أثر<sup>(1)</sup> .

2 . إن نظرية الجبر . بصورة عامة . لها جذور تاريخية قبل الإسلام ، ثم بقيت هذه النظرية بعد مجيء الإسلام معشعشة في عقول بعض المسلمين الذين لم يؤسسوا معتقداتهم على أساس المباني الإسلامية الصحيحة .

### نوافع القول بالجبر :

وَأَلَّا . اللجوء إلى أصل يرفع عن كاهل الإنسان مسؤولية الآلآم ، ومن ثم الحصول على الحرية المطلقة ، والانحلال عن كل قيد، وانتبأع الأهواء وتلبية الرغبات والشهوات النفسانية من دون الآلآم بأي مبدأ .  
ثانياً . مباورة بعض السلطات الجائرة إلى ترويج هذا المفهوم من أجل:

- 1 . توير أعمالهم المنحرفة والإجرامية .
- 2 . الاستوار بسياسة التكيل والبطش ضد مخالفهم .
- 3 . إخماد الثورات التي تقوم ضدّهم من قبل الجهات المعرضة لهم .
- 4 . توفير الأجواء المناسبة لاستقرار عروشهم وانغماسهم في ملذآتهم الدنيوية .

### مفاسد القول بالجبر :

- 1 . تحطيم أركان أساسية من المنظومة الدينية، سنذكرها في المبحث الرابع من هذا الفصل عند بيان الأدلة المبطلّة للجبر والمثبتة للاختيار .
- 2 . اندفاع الإنسان إلى الكسل والخمول والانقياد للوضع المتودّي، وعدم بذل الجهد والسعي لتغيير هذا الوضع نتيجة عدم الاعتقاد بامتلاك القوة على التأثير والتغيير .

3 . توثئة النفس عن ارتكاب الأعمال المخالفة للدين والأخلاق ، وجعل هذه

1 - انظر: العروة الوثقى ، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، إعداد: هادي خسرو شاهي: ص 115 .

الصفحة 180

العقيدة نريعة للاتجاه نحو الفساد والانحلال .

4 . إطلاق أيدي الظالمين لإهلاك الحرث والنسل ، ولتكاثر كل ما يؤدي إلى الدمار والفساد ، وتقييد أيدي المظلومين والمستضعفين عن القيام بأي رد فعل أمام الظالمين .

الصفحة 181

### المبحث الثالث

#### أقسام الجبر

##### 1 . الجبر الديني :

يتم تصوره عن طريق جعل الفعل البشري محكوماً بإرادة إلهية تتحكم به كيفما تشاء .

##### 2 . الجبر الفلسفي :

يتم تصوره عن طريق طرح مجموعة شبهات فلسفية تؤدي إلى القول بالجبر .

##### 3 . الجبر المادي :

يتم تصوره عن طريق جعل الفعل البشري محكوماً بالعلل المادية من قبيل الوراثة والتعليم والعوامل المحيطة و ... .

##### توضيح الجبر المادي :

إنّ ملاحظة العوامل المكوّنة لشخصية الإنسان تفوض الحكم بأنّ الإنسان ليس له سوى الانقياد لما تملي عليه هذه العوامل .

##### العوامل المكوّنة لشخصية الإنسان :

1 . الوراثة :

إنّ الإنسان يتلقّى عن طريق الوراثة السجايا والصفات الحسنة أو الدنيئة لتكون العامل الأساس في بلورة سلوكه في

المستقبل .

2 . الثقافة والتعليم :

إنّ التعليم يحدّد للإنسان زاوية رؤيته إلى الحياة، فيكون سلوكه بعد ذلك وفق هذه الرؤية المفروضة عليه .

الصفحة 182

إنّ الأجراء التي يتزوع فيها الإنسان هي التي تحدّد نفسيته، وتحدّد له الطريق الذي ينبغي السير فيه .

**يلاحظ عليه :**

لا يوجد شكّ في تأثير هذه العوامل على تكوين شخصية الإنسان ، ولكن لا يبلغ تأثير هذه العوامل درجة سلب الاختيار من الإنسان ، بل تبقى لإرادة الإنسان واختياله القوة على مواجهة هذه العوامل وعدم الانقياد لها عن طريق:

1 . التفكير والتدبّر في صالح أعماله وطالح أفعاله وما يترتّب عليهما من آثار .

2 . ترك الأجراء السلبية التي يعيش فيها، والهجرة إلى أجراء إيجابية<sup>(1)</sup> .

بعبارة أخرى :

إنّ هذه العوامل ليس لها أي أثر في سلب اختيار الإنسان ، لأنّها لا تشكّل العلة التامة في صدور الفعل البشوي ، بل هي عوامل تحفّز الإنسان على القيام ببعض الأفعال، ويبقى الإنسان قادراً على مخالفة هذه العوامل والصمود أمام ضغوطاتها .

---

1 - انظر: الإلهيات ، محاضرات: جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمّد مكي العاملي: 2 / 317 . 318 .

## المبحث الرابع

### الأدلة المبطلّة للجبر والمثبتة للاختيار

**الأدلة المبطلّة للجبر :**

**1 . بطلان الشرايع والتكليف :**

إنّ من وظائف الأنبياء لرشاد الناس إلى التكليف الإلهية ، ولا يمكن أداء هذه التكليف إلاّ إذا كان الإنسان قادراً على فعل الشيء وتركه ، ولهذا يكون مجيئ الأنبياء وإتيانهم بالشرايع والتكليف دليلاً على نفي الجبر عن ساحة أفعال وسلوك الإنسان ، لأنّ القول بالجبر يؤدّي إلى القول ببطلان الشرايع والتكليف .

**2 . سقوط الثواب والعقاب :**

لا يصح إثابة شخص أو معاقبته على فعل ليس من صنعه ، فإذا كان الإنسان مجبوراً في أفعاله وليس له دور في الفعل الذي يصدر عنه ، فكيف يمكن إثابته على طاعة لم يفعلها ، أو معاقبته على معصية لم يرتكبها .

**3 . التسلوي بين المحسن والمسيئ :**

لو كان الإنسان مجوراً في أفعاله لم يكن للمحسن مزية على المسيئ، ولم يكن فرق بين المؤمن والكافر، بل سيكونان

متساويين لأتّهما ليسا إلا أداة تعكس ما أجّوا عليه ، فلهذا لا يصح بعد ذلك مدح أو ذم أحد على أفعاله .

#### 4 . عبثية التّوغيّب والتّخويّف :

إنّ تّوغيّب العباد على الأعمال الصّالحة وتّخويّفهم من تركها لا داعي له فيما لو كان الإنسان مجبوراً في أفعاله ، لأنّ التّوغيّب والتّرهيب لا ينفعان إلا إذا كان

الصفحة 184

الإنسان مختلاً وقارواً على فعل أو عدم فعل ما يؤمر به أو ينهى عنه .

#### 5 . عبثية مساعي المرّبين :

إنّ القول بالجبر يؤدّي إلى أن تكون مساعي المرّبين لإصلاح المجتمعات وحثّهم الناس على الفضيلة والأخلاق أمراً عبثياً لا فائدة منه، فنذهب جهود هؤلاء أواج الرياح نتيجة عدم امتلاك الناس القوّة والاختيار على تغيير سلوكهم وأفعالهم .

#### 6 . نسبة الظلم إلى الله تعالى :

يؤم القول بالجبر أن يكون الله تعالى ظالماً . والعياذ بالله . نتيجة جوه للعباد على المعصية ثمّ معاقبته إياهم راء المعاصي التي أجّوهم عليها، كما سينسب ظلم العباد بعضهم لبعض إلى الله فيما لو قلنا بأنّ الله تعالى هو الفاعل وليس للإنسان أي دور وأثر في صدور أفعاله ، لأنّ فاعل الظلم يسمّى ظالماً .

#### 7 . احتجاج العاصي على الله تعالى :

لو كان الإنسان مجبوراً في أفعاله، فإنّ العاصي سيكون من حقّة الاحتجاج على الله تعالى حينما يريد الله تعالى معاقبته على معاصيه ، لأنّه سيقول: كنت مجبوراً على فعل المعاصي، فكيف تعذبني على أمر لم يكن لي الاختيار في فعله ؟ في حين لا يصح احتجاج الإنسان على الله تعالى .

#### الأدلة المثبتة للاختيار :

1 . يجد كلّ إنسان من صميم ذاته أنه قادر على فعل بعض الأعمال أو تركها حسب ما راه من مصلحة أو مفسدة أو نفع أو ضرر .

2 . يفوّق كلّ إنسان عاقل بين الفعل الاختياري الذي يصدر عنه كتّحرك يده ، وبين أفعاله الاضطرورية كحركة يد

المرتعش وحركة الدم في العروق وعملية الهضم وإفراوات الغدد وغيرها من الأفعال التي لا اختيار له في صدورها <sup>(1)</sup> .

1 - انظر: نهج الحقّ، العلامة الحلّيّ: المسألة الثانية، مبحث: مكاوة الجبرية بضرورة العقل ، ص 102 .

الصفحة 185

## ردّ القرآن الكريم على القائلين بالجبر :

1 . { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } [ الأَنْعَامُ: 148 ]  
توضيح :

قال الذين أشركوا: إنَّ الله تعالى أجونا على الشرك ، ولو شاء الله ما أشركنا، فودَّ الله تعالى على مقلتهم هذه ، وبين بأنَّ هذه المقولة غير مبتنية على الأسس العلمية ، وإنما هي ناشئة من الظنون غير المعنونة والادعاءات الكاذبة .

2 . { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } [ الأَوْحَافُ: 20 ]  
توضيح :

هذه الآية تشبه الآية السابقة، وقد بيّنت بأنَّ الذين أشركوا بالله تعالى ، ثم قالوا بأنَّ الله أجوهم على ما فعلوا ولو شاء الله ما أشركوا ، فإنَّهم ذهبوا إلى هذا القول نتيجة جهلهم بالواقع ونتيجة قولهم الكذب على الله تعالى .

3 . إنَّ إبليس أول من قال بالجبر، فقال كما جاء في القرآن الكريم حكاية عنه:  
{ رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي لِأرِين لِهَمَّ قِيَّ الأَرْضِ ولَأُغْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ } [ الْحَجْر: 39 ]  
وكان هذا الأمر من جملة أسباب طرده عن رحمة الله تعالى .

## بعض الآيات القرآنية النافية للجبر والمثبتة للاختيار :

إنَّ القرآن الكريم مليء بالآيات البيِّنات الدالة على نفي الجبر عن أفعال الإنسان واثبات الاختيار له في سلوكه وتصرفاته،  
منها (1) :

## الصفحة الأولى :

الآيات الدالة على إضافة الفعل إلى العبد ونسبته إليه ، وأَنَّه يمتلك الاختيار فيما

1- انظر: نهج الحق، العلامة الحلي: المسألة الثالثة، ص 105 . 112 .

يفعله من خير أو شر ، منها:

1 . { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } [ البقرة: 79 ]

2 . { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْتَقْسِمُ } [ الأَوْعَد: 11 ]

3 . { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمَسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تُصِفُونَ } [ يوسف: 18 ]

4 . { فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [ المائدة: 30 ]

5. { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ } [ المَدَنَر: 38 ]
6. { كُلُّ اَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ } [ الطور: 21 ]
7. { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ اَسَاءَ فَعَلِيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ } [ فَصَلَّت: 46 ]
8. { لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اَكْتَسَبَتْ } [ البقرة: 286 ]

### الصنف الثاني :

الآيات الدالة على نسبة أفعال العباد إليهم، ونفي الظلم عن الله تعالى ، منها :

1. { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ اَيْدِيَكُمْ وَأَنْ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ } [ آل عِرْوَان: 182 ]
2. { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُمْ وَأَنْ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ } [ الْحَجَّ: 10 ]
3. { اَلْيَوْمَ تَجْرِيْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلْمَ اَلْيَوْمَ اِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ } [ غَاْفِرُ: 17 ]
4. { اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ نُورٍ وَّ اَنْ تَكَّ حَسْبَةٌ يَضَاعَفَهَا وَيُوْتُّ مِنْ لَدُنْهٖ اَجْرًا عَظِيْمًا } [ اَلنِّسَاء: 40 ]

الصفحة 187

5. { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَّلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ } [ النحل: 118 ]
6. { وَاَلَّذِيْنَ يَظْلِمُوْنَ فَتِيْلًا } [ اَلنِّسَاء: 49 ]
7. { فَالْيَوْمَ لَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَّلَا تَجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ } [ يٰس: 54 ]

### الصنف الثالث :

الآيات الدالة على وجود الإرادة والاختيار في العباد على إحداث أفعالهم ، وأثم مخيرون في ما يعملونه من خير أو شر ،

منها :

1. { اَعْمَلُوْا مَا شِئْتُمْ اِنَّهٗ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ } [ فَصَلَّت: 40 ]
2. { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ اَنْ يَتَّقُمْ اَوْ يَتَّخِرْ } [ المَدَنَر: 37 ]
3. { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِيْنَ نَارًا } [ الكَهْف: 29 ]
4. { كَلَّا اِنَّهٗ تَذَكُّوَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } [ المَدَنَر: 54 . 55 ]
5. { اِنَّ هَذِهِ تَذَكُّوَةٌ فَمَنْ شَاءَ اَتَّخِذْ اِلَى رَبِّهٖ سَبِيْلًا } [ المَزْمَل: 19 ]

### الصنف الرابع :

الآيات الدالة على ذم المخالفين لأوامر الله تعالى، ومعابنتهم عن طريق الاستفهام الإنكاري، وهذا ما يدل على أن الإنسان

يملك الاختيار في أفعاله ، لأنّه لو كان مجبوراً لما صح ذمه أو معابنته لراء مخالفته لأوامر الله تعالى ، ومن هذه الآيات:

1. { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ اَنْ يُؤْمِنُوْا اِذْ جَاءَهُمُ الْهُدٰى اِلَّا اَنْ قَالُوْا اُبْعَثَ اللّٰهُ بُشْرًا رَّسُوْلًا } [ اَلْاِنشَاء: 94 ]

2 . { وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [ النساء : 39 ]

3 . { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَهْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [ البقرة : 28 ]

4 . { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْوِيرِ مُعْرِضِينَ } [ المدثر : 49 ]

الصفحة 188

5 . { لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتُكْتَمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [ آل عمران : 71 ]

### الصف الخامس :

الآيات الدالة على أن الله تعالى يجزي العباد على أعمالهم وما كسبته أيديهم ، وهذا ما يدل على أنهم أصحاب اختيار في أفعالهم ، لأنهم لو كانوا مجبورين لما صحّت مجراتهم ، ومن هذه الآيات :

1 . { الْيَوْمَ تَجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعَ الْحِسَابِ } [ غافر : 17 ]

2 . { الْيَوْمَ تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [ الجاثية : 28 ]

3 . { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } [ الأنعام : 160 ]

4 . { لَتَجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى } [ طه : 15 ]

5 . { الْيَوْمَ تَجْزُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ } [ الأنعام : 93 ]

6 . { لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعَ الْحِسَابِ } [ إبراهيم : 51 ]

7 . { وَمَنْ أَعْوَضَ عَن ذُنُوبِهِ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } [ طه : 124 ]

### الصف السادس :

الآيات الدالة على المسرعة إلى الأعمال الخيرية لطلب المغفرة من الله تعالى ، وتلبية أوامره وتعاليمه ، وهذا ما يدل على إثبات الاختيار للإنسان ، لأنه لو كان مجبوراً لما صح تشجيعه على عمل الخير وطلب المغفرة ، لأن هذا التشجيع سيكون عبثاً فيما لو لم يستطع الإنسان القيام بتلبيته ، ومن هذه الآيات :

1 . { وَسُلِّعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } [ آل عمران : 133 ]

2 . { وَمَنْ لَا يَجِبِ دَاعِي اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ } [ الأحقاف : 32 ]

3 . { وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ } [ الزمر : 54 ]

الصفحة 189

4 . { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ } [ الزمر : 55 ]

### الصف السابع :

الآيات الدالة على اعتراف المجرمين بذنوبهم في يوم القيامة ، وهذا ما يدل على أنهم كانوا أصحاب اختيار حين ارتكابهم



للذنوب، لأنهم لو كانوا مجبورين لأنكروا فعلهم للذنب، ونسوا ذلك إلى الله تعالى ، ومن هذه الآيات :

- 1 . { كَلَّمَا أَلْفِي فِيهَا فُوجَ سَأَلْتَهُمْ خَرْنَتَهَا أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ \* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } [ الملك: 8 . 9 ]
- 2 . { فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَبَسِطْنَا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ } [ المَلِكِ: 11 ]
- 3 . { مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نَطْعَمِ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ \* وَكُنَّا نُكذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ \* حَتَّى آتَانَا الْيَقِينَ \* فَمَا تَنْفَعُهُمْ شِقَاقَةُ الشَّافِعِينَ } [ المدثر: 42 . 48 ]

### الصنف الثامن :

الآيات الدالة على ندم المجرمين وطلبهم العودة إلى الدنيا ليعملوا الصالحات عندما يحدق بهم العذاب ، واعترفهم بذنوبهم وما عملوا من سيئات ، وهذا ما يدل على أنهم كانوا يعلمون بأنهم أصحاب اختيار في أفعالهم ، لأنهم لو كانوا مجبورين لما ندموا، بل كان موقفهم تبرئة أنفسهم مما أجبروا عليه ، ومن هذه الآيات :

- 1 . { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ } [ غافر: 11 ]
- 2 . { رَبِّ لِرَجْعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا } [ المؤمنون: 99 . 100 ]
- 3 . { وَلَوْ تَوَيْ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكسُوا رُؤُسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَلْجَعْنَا تَعْمَلُ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [ السجدة: 12 ]
- 4 . { أَوْ تَقُولُ حِينَ تَوَى الْعَذَابُ لَوْ أَنَّ لِي كُوَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمَحْسُنِينَ } [ الزمر: 58 ]

الصفحة 190

- 5 . { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا تَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } [ فاطر: 37 ]

### الصنف التاسع :

الآيات الدالة على الاستعانة بالله وطلب الرحمة والهداية منه على الأعمال الخوة ، فلو كان الإنسان مجبوراً في أفعاله لم يصح تشجيعه على الاستعانة بالله ، لأن التشجيع يكون لمن يمتلك الاختيار في الفعل والتوك ، فيتم تشجيعه ليكون ذلك محمواً له للقيام بفعل معين أو ترك فعل معين، ومن هذه الآيات :

- 1 . { اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا } [ الأعراف: 128 ]
- 2 . { وَإِمَّا يَوْغُظْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَوَعَّجْ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [ الأعراف: 200 ]
- 3 . { فَإِذَا قَاتَى الْقَوَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [ النحل: 98 ]
- 4 . { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [ الحمد: 5 ]

### الصنف العاشر :

الآيات الدالة على طلب العباد المغفرة من الله تعالى راء مخالفتهم لأوامره تعالى، فلو كان هؤلاء مجبورين في أفعالهم ،

فلا داعي لهم لطلب المغفرة ، لأن ذلك يكون لمن يشعر بالتقصير ، والمجبور لا يشعر بذلك . ومن هذه الآيات :

1 . { قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [ الأعراف: 23 ]

2 . { وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرَ } [ البقرة: 285 ]

3 . { فَاسْتَغْفِرْ رَبِّهِ وَحَرِّرْ أَعْمَاءَ وَأَنَابَ } [ ص: 24 ]

4 . { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الْإِلَهَ } [ آل عمران: 135 ]

[ 135 ]

الصفحة 191

### بعض الأحاديث الشريفة المبطلّة للجبر والمثبتة للاختيار :

1 . قال الإمام علي(عليه السلام)رداً على نظرية الجبر في الأفعال: " ... لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر

والنهي والوَجْر من الله ، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمّدة للمحسن ..."<sup>(1)</sup> .

2 . الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): " ... الله أعدل من أن يجوهم [ أي: يجبر العباد ] على المعاصي ثمّ

يعذبهم عليها ..."<sup>(2)</sup> .

3 . الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): " ... إن الله عزّ وجلّ رحّم بخلقهم من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ

يعذبهم عليها ..."<sup>(3)</sup> .

4 . الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): " ... رجل زعم أنّ الله عزّ وجلّ أجبر الناس على المعاصي، فهذا قد

ظلم الله في حكمه ..."<sup>(4)</sup> .

5 . الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): "إنّ الله خلق الخلق ، فعلم ما هم صائرون إليه ، وأمرهم ونهاهم ، فما

أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى توكه، ولا يكونون آخذين ولا تركين إلاّ بإذن الله"<sup>(5)</sup> .

### أثر الاختيار في أفعال الإنسان :

1 . تكمن قيمة الإنسان وأفضليته على سائر الخلق في كونه كائناً يمتلك العقل والاختيار ، فلو قلنا بأنّ الإنسان مجبور في

أفعاله ، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى سلب قيمته وجعله بمثابة الجمادات في هذا العالم .

2 . إنّ الاختيار هو الذي يجعل الإنسان مسؤولاً عن أفعاله وتصرفاته .

3 . إنّ الاختيار هو الذي يجعل الإنسان مستحقاً للمدح والذم والثواب والعقاب .

1- الأصول من الكافي، الكليني: ج 1 ، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر و ... ، ح 1 ، ص 155 .

2- الأصول من الكافي، الكليني: ج 1 ، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر و...، ح 11، ص 159 .

3 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب نفي الجبر والتفويض، ح3، ص350 .

4- المصدر السابق: ح5، ص351 .

5- الأصول من الكافي، الكليني: ج1 ، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر و ... ، ح5، ص158 .

الصفحة 192

الصفحة 193

## المبحث الخامس

### أدلة القول بالجبر والردّ عليها

#### الدليل الأول :

إنّ رادة الإنسان لا تمتلك القوام الذاتي ،ولا يمتلك الإنسان القدرة على إيجاد رادته بنفسه ، بل هو محتاج في إيجاد رادته إلى رادة الله تعالى ،ولا تحدث رادة الإنسان إلاّ برادة الله تعالى<sup>(1)</sup> .

#### يرد عليه :

1 . اختار الله تعالى أن يكون العباد أصحاب رادة في أفعالهم ، فأعطاهم الإرادة ، ثمّ أعطاهم قدرة الاختيار لتوجيه رادتهم كيفما يشاؤون .

بعبارة أخرى :

إنّ الله تعالى هو الذي منح العباد هذه الميزة بأن تكون لهم الإرادة في أفعالهم ، فالإرادة . في الواقع . آلة لصدور الفعل من العبد ، وإذا كانت آلة الاختيار من الله تعالى ، فإنّ ذلك لا يستلزم الجبر .

2 . إنّ رادة الله عزّ وجلّ لم تتعلّق بصدور أفعال العباد منه تعالى بصورة مباشرة ومن دون واسطة ، بل تعلقت رادة الله تعالى في مجال أفعال الإنسان الاختيارية أن لا تصدر من الإنسان إلاّ بعد رادة الإنسان واختيلره لها<sup>(2)</sup> .

#### الدليل الثاني :

إنّ الله تعالى يعلم بأفعال العباد التي ستقع في المستقبل .

وما علم الله تعالى وقوعه فهو واجب الوقوع .

1 - انظر: المواقف، عضد الدين الإيجي : ج3، الموقف 5 ، الموصلد 6 ، المقصد 1 ، ص223 . 224 .

2 - انظر: الموزان ، العلامة الطباطبائي: ج1 ، تفسير سورة البقرة، آية 26 . 27 ، ص99 . 100 .

الصفحة 194

وما علم الله تعالى عدم وقوعه فهو ممتنع الوقوع .  
ودون ذلك ينقلب العلم الإلهي إلى الجهل ، وهو محال .  
ومن هنا يثبت بأنّ الإنسان مجبور على فعل ما هو في علم الله تعالى <sup>(1)</sup> .

### يرد عليه :

- 1 . لو صحّ القول بأنّ الإنسان مجبور في أفعاله نتيجة علم الله تعالى بها، فسيكون الله تعالى أيضا مجبورا في أفعاله نتيجة علمه تعالى بما سيقع من أفعاله ، فيؤزم ذلك أن نقول بأنّ الله تعالى مجبور بأن يفعل ما يعلم! وهذا باطل <sup>(2)</sup> .
- 2 . إنّ الله تعالى لا يختار أن يعلم بأن الشخص الفلاني سيفعل كذا ، ليكون هذا العلم علة لذلك الفعل ، وانما علمه تعالى عبلة عن انكشاف المعلوم عنده كما سيكون في الواقع <sup>(3)</sup> .
- 3 . يتعلّق علمه تعالى بكل شيء حسب الخصوصيات المتوفّاة في ذلك الشيء .  
ومن هنا يكون تعلّق العلم الإلهي بأفعال الإنسان باعتبارها أفعال تصدر من فاعل يمتلك الاختيار ، وهذا ما يؤكد وقوع أفعال الإنسان باختيروه .

بعبارة أخرى :

- قال المجوّدة بأنّ ما علم الله وقوعه فهو واجب الوقوع .  
فنقول لهم: علم الله تعالى بأنّ أفعال العباد لا تقع إلا باختيلهم ، لأنه شاء أن يكون العباد أصحاب اختيار .  
إنّ يجب أن تقع أفعال العباد باختيلهم ، لأنّ عدم وقوعها بهذه الصفة يوجب .

- 
- 1- انظر: المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6، المقصد 1 ، ص223 .
  - 2 - انظر: تلخيص المحصل ، نصير الدين الطوسي: الركن الثالث ، القسم الثالث: ص340 .  
إشراق اللاهوت ، عبد المطلب العبيدي: المقصد العاشر، المسألة الرابعة ، ص390 .
  - 3- انظر: المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1 ، الكلام في التكليف وحسنه و ... ، ص247 .  
إشراق اللاهوت ، عبد المطلب العبيدي: المقصد العاشر، المسألة الثالثة ، المبحث الثالث ، ص389 .

الصفحة 195

حسب ادعاء المجورة . انقلب علم الله إلى الجهل .  
وبهذا يثبت أنّ الإنسان مختار وغير مجبور في أفعاله .

### النتيجة :

إنّ "العلم" مجرد انكشاف يحكي المعلوم ويبينه كما هو عليه، وليس للعلم أي تأثير على المعلوم في الواقع الخرجي .  
مثال توضيحي :

إنَّ نسبة المعلوم إلى العلم كنسبة الشيء إلى العرّاة .

فالعرّاة لا تُؤثّر في الشيء، وإنّما تبيّنّه كما هو عليه في الواقع الخرجي .

فإذا رُتتا العرّاة شيئاً بصورة قبيحة ، فليس هذا القبح مفروضاً من العرّاة على ذلك الشيء ، بل لأنّ ذلك الشيء قبيح في نفسه ، عكست العرّاة ما هو عليه ، فُرتتا ذلك الشيء بصورة قبيحة<sup>(1)</sup> .

### أمثلة عدم تأثير العلم في المعلوم :

- 1 . إخبار المتخصص عن الأنواء الجوية وتقلّبات الهواء ، فلو كان العلم عاملاً من عوامل إيجاد الشيء، لكان هذا المخبر من جملة أسباب وقوع هذه التقلّبات الجويّة .
- 2 . إخبار الفلكي عن وقوع الكسوف أو الخسوف ، إذ لو كان العلم مؤثراً في إيجاد المعلوم، لكان هذا الفلكي من جملة أسباب وقوع هذا الكسوف والخسوف .
- 3 . إخبار المدرّس عن مستوى الطالب في الامتحان القادم نتيجة معرفته به خلال فوّة التدريس ، فإذا صدق إخبار المدرّس ، فلا يعني أنّ علم المدرّس هو السبب في وصول الطالب إلى النتيجة التي أحوها المدرّس .
- 4 . إخبار الطبيب الحاذق عن الحالة التي سيواجهها المريض ، فإذا وقع الأمر كما قال الطبيب، فلا يعني أنّ الطبيب كان سبباً فيما أصاب المريض .

1- انظر: المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1 ، الكلام في التكليف وحسنه و ... ص246 .

الصفحة 196

الصفحة 197

### المبحث السادس

#### رأي الأشاعرة حول خلق الله لأفعال العباد

إنّ الله عزّ وجلّ هو المتوّد بالخلق والإيجاد ، وهو خالق كل شيء بلا استثناء، ولا خالق في الكون سوى الله تعالى ، والله هو الخالق لأفعال الإنسان .

#### من أقوال أبي الحسن الأشعري حول خلق الله لأفعال العباد :

- 1 . " ... لا خالق إلاّ الله ، وإنّ أعمال العباد مخلوقة لله بقدرته ... وإنّ العباد لا يقدرّون أن يخلّوا شيئاً ..."<sup>(1)</sup> .
- 2 . " ... لا خالق إلاّ الله ، وإنّ سيئات العباد يخلّوها الله ، وإنّ أعمال العباد يخلّوها الله عزّ وجلّ ، وأنّ العباد لا يقدرّون أن يخلّوا شيئاً"<sup>(2)</sup> .
- 3 . " ... من قضاء الله تعالى هو خلق ما هو جور كالكفر والمعاصي ..."<sup>(3)</sup> .

4 . " ... أمّا أنا فأقول: إنّ الشرّ من الله تعالى بأن خلقه شوا لُغوه لاله" (4) .

### أدلة الأشاعرة على خلقه تعالى لأفعال العباد :

#### الدليل الأوّل :

الآيات الوأنية الدالة على خلقه تعالى لكلّ شيء، فإنّ هذه الآيات تفيد العموم، فيشمل ذلك أفعال العباد، فتكون أفعال العباد مخلوقة لله .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

1 . { اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [ الزمر : 62 ]

1 - الإبانة، أبو الحسن الأشعوي: الفصل الثاني ، ص 37 .

2 - مقالات الإسلاميين ، أبو الحسن الأشعوي: حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة ، ص 291 .

3 - اللمع ، أبو الحسن الأشعوي: الباب الخامس، ص 81 .

4- المصدر السابق: ص 84 .

الصفحة 198

2 . { نَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } [ غافر : 62 ]

3 . { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللهِ } [ فاطر: 3 ]

4 . { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [ الأعراف: 54 ]

5 . { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [ القمر: 49 ]

#### يرد عليه :

1 . إنّ المنهج السليم يقتضي شمولية النظر إلى آيات القوان الكريم ، وعدم الاقتصار على الآيات الدالة على خلقه تعالى

لكلّ شيء وإهمال الآيات التي تنسب الخالقية إلى غير الله تعالى ، من قبيل :

وألاً: قوله تعالى حكاية عن عيسى(عليه السلام): { أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } [ آل عوان: 49 ]

ثانياً: قوله تعالى لعيسى(عليه السلام): { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } [ المائدة: 110 ]

ثالثاً: قوله تعالى للساموي وجماعته: { وَتَخْلُقُونَ إفكاً } [ العنكبوت: 17 ]

رابعاً: قوله تعالى: { فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [ المؤمنون: 14 ]

خامساً: قوله تعالى: { وَتَدْرُونَ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [ الصافات: 125 ]

النتيجة :

إنَّ الأشاعرة اتَّبَعُوا منهجية التَّجْزِئَة والتَّبْعِيض في التَّعاطي مع الآيات الوَاقِئَة ، فتمسَّكُوا بالآيات التي تتلائم مع نظريتهم في خلق أفعال العباد ، وأَعْرَضُوا عما يَتَغَايَر مع ما ذَهَبُوا إليه .

2 . يَدْرِك الباحث عند نظرتِه الشمولية إلى الآيات الوَاقِئَة بأنَّ الآيات التي تنسب لخلق كلِّ شيء إلى الله عزَّ وَّجَل لَيْسَتْ إلَّا في مقام بيان إحاطتِه تعالى الكاملة وقدرتِه التامة ونفوذ أمره الشامل لجميع الكون بلا استثناء ، ولا يوجد أي

الصفحة 199

تتاف بين هذه الشمولية وبين قوة العباد على الخلق ، لأنَّ قوة العباد تستمد وجودها من الله تعالى ، والله تعالى قادر على سلبها في كلِّ آن .

3 . سئِل الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن أفعال العباد: أهي مخلوقة لله تعالى، فقال (عليه السلام) :  
"لو كان خالقاً لها لما تَوَأَّ منها، وقد قال سبحانه: **{ أَنْ اللَّهَ وَيَّءٍ مِنْ الْمَشْرُكِينَ }** [ التَّوْبَة: 3 ] ، ولم يرد الواءة من خلق نواتهم ، وإِنَّمَا تَوَأَّ مِنْ شُرُكِهِمْ وَقِبَائِحِهِمْ"<sup>(1)</sup> .

4 . سئِل الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): هل غير الخالق الجليل خالق ؟  
قال (عليه السلام): "إنَّ اللَّهَ تَبْرَكَ وتعالى يقول: **{ تَبْرَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ }** فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ في عبادِه خالقيين وغير خالقيين ، منهم عيسى صلى الله عليه، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، فنفخ فيه ، فصار طائراً بإذن الله ، والساموي خلق لهم عجلاً جسداً له خوار"<sup>(2)</sup> .

5 . إنَّ القول بأنَّ الله تعالى خالق كلِّ شيء لا يعني أنَّه تعالى هو السبب المباشر لخلق كلِّ شيء، بل قد يكون الخلق صائراً من الإنسان ، ولكنه يُنسب إلى الله عزَّ وَّجَل ، لأنَّه تعالى هو الذي أعطى الإنسان القوة على الخلق .  
مثال ذلك :

يبيِّن القرآن الكريم هذه الحقيقة بأنَّ مجرد نسبة الفعل إلى الله عزَّ وَّجَل لا يعني كونه تعالى هو السبب المباشر لهذا الفعل ، بل قد يصدر الفعل من غير الله ، ولكنه ينسب إلى الله تعالى للعلة التي ذكرناها .

ومن هذه المورِد :

وَأَلَّا . فعل التوفى :

1 . نسبته إلى ملك الموت: **{ قُلْ يَتُوفَاكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ }** [ السَّجْدَة: 11 ]

2 . نسبته إلى الله تعالى: **{ اللَّهُ يُتُوفَى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا }** [ الزمر: 42 ]

1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد ، باب 1 ، ذيل ح29 ، ص20 .

2 - المصدر السابق: ج4 ، كتاب التوحيد، باب5 ، ح1 ، ص147 . 148 .

ثانياً . فعل الرزق :

1 . نسبته إلى العباد:

**مَعْرُوفًا** { النساء: 5 }

2 . نسبته إلى الله تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }** [ الذريات: 58 ]

ثالثاً . فعل الزرع :

1 . نسبته إلى العباد: **{ كَرَّرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْوَى عَلَى سَوْفِهِ يَعِجِبُ الزَّرَاعَ <sup>(1)</sup> }** [ الفتح: 29 ]

2 . نسبته إلى الله تعالى: **{ أَوْأَيْتِمُّ مَا تَحْرِثُونَ \* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَّلْنَا بِهِ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ الَّذِي تَحْرِثُونَ }** [ الواقعة: 63 . 64 ]

رابعاً . فعل الغلبة :

1 . نسبته إلى العباد: **{ كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبِنَا أَنَا وَرَسُولِي }** [ المجادلة: 21 ]

2 . نسبته إلى الله تعالى: **{ كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبِنَا أَنَا ... }** [ المجادلة: 21 ]

فنسب الله عز وجل فعل الغلبة لنفسه ولرسوله في وقت واحد .

خامساً . فعل الخلق ( وهو المرتبط بهذا المبحث )

1 . نسبته إلى العباد: **{ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ }** [ آل عمران: 49 ]

**{ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }** [ المؤمنون: 14 ]

2 . نسبته إلى الله تعالى: **{ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ }** [ الزمر: 62 ]

ملاحظة مهمة :

ذكرنا بأن الفعل الذي يصدر من الإنسان ينسب أيضاً إلى الله تعالى ، وذلك لأنه

1 - قوله: ( الزُّرَّاع ) تتضمن نسبة فعل الزراعة إلى الإنسان .

الصفحة 201

تعالى هو الذي أعطى الإنسان القوة على القيام بالفعل .

ولكن لا يخفى بأن هذه النسبة لا تصح إلا في الأفعال الحسنة التي يوتئها الله تعالى، وأما الأفعال القبيحة الصاوية من

الإنسان، فلا تصح نسبته إلى الله تعالى أبداً .

دليل ذلك :

إن الله تعالى أعطى الإنسان القوة ليصونها في الأمور الحسنة ، فإذا صرفها الإنسان في الأمور القبيحة ، فإن هذه الأفعال

لا تصح نسبتها إلى الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان ، ويكون الإنسان هو المتحمل لمسؤوليتها .

**آيات قرآنية أخرى استدلت بها الأشاعرة على خلقه تعالى لأفعال العباد :**



الآية الأولى :

قوله تعالى: **{ وَاللَّهُ خُلِقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }** [ الصّافات: 96 ]

استدلال الأشاعرة: إنّ هذه الآية صريحة بأنّ الله هو الخالق للإنسان ، وهو الخالق لأفعاله وأعماله وما يصدر عنه <sup>(1)</sup> .

**يرد عليه :**

- 1 . إنّ هذه الآية وردت في سياق آيات احتجاج النبي إراهيم(عليه السلام) على قومه الذين كانوا ينجسوا الأصنام ، ثمّ يعبدونها من دون الله ، فقال لهم إراهيم(عليه السلام): **{ أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }** .
- 2 . ليس لهذه الآية أية صلة بمسألة أفعال العباد ، لأنّ وحدة السياق في هذه الآية والتي قبلها تقضي كون "ما" موصولة فيكون معنى الآية: أتعبدون الأصنام التي تنحتونها والله خلقكم وخلق المادة التي منها تنحتون أصنامكم <sup>(2)</sup> .
- 3 . إنّ الآية في مقام محاجة إراهيم(عليه السلام) لقومه واستنكره على عبادتهم

---

1 - انظر: المواقف، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، الموصد 6 ، المقصد 1 ، ص226 .

شرح المقاصد، سعد الدين النفتراني: ج4، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 1 ، ص240 . 241 .

2 - وهذه المادة هي الحجر أو الخشب أو غير ذلك مما كان يصنع المشركون منه أصنامهم .

للأصنام ، وليس من المعقول أن يقول إراهيم(عليه السلام) لقومه في هذا المقام: لماذا تعببون الأصنام وقد خلق الله

عبادتكم للأصنام!؟

الآية الثانية :

قوله تعالى: **{ وَإِنْ تَصْبِهِمْ حُسْنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ }** [

النساء: 78 ]

استدلال الأشاعرة: إنّ هذه الآية تدل على أنّ جميع أفعال الإنسان . حسنة كانت أو سيئة . هي من عند الله، وأنّ الله هو

الذي يخلقها <sup>(1)</sup> .

**يرد عليه :**

إنّ "الحسنة" في اللغة لا تنحصر في معنى "الطاعة والإيمان" .

كما أنّ "السيئة" في اللغة لا تنحصر في معنى "المعصية والكفر" .

فمن معاني "الحسنة" في اللغة: النعم، الرحمة، الخير والشيء الحسن .

ومن معاني "السيئة" في اللغة: القحط، الكورث ، والمحن والعذاب .

## معنى الحسنة والسيئة في هذا المقام :

إنّ معنى الحسنة في هذا المقام هو النعم والخير ، ومعنى السيئة هو القحط والكولث<sup>(2)</sup> ، لأنّ النعم والخير والقحط والكولث تصيب الإنسان من الغير .

ولكن الطاعة والمعصية والكفر والإيمان تصدر من الإنسان نفسه .

وهناك فرق بين ما "يصيب الإنسان" وما "يصدر منه" .

وقد جاء في هذه الآية التعبير بكلمة "تصيبهم" ولم يقل البري عزّ وجلّ "تصدر منهم" .

## تتمة :

1 - انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج4، تفسير آية 78 من سورة النساء، ص145 .

2 - انظر: مجمع البيان ، الطوسي: ج3، تفسير آية 78 من سورة النساء ، ص120 . 121 .

الصفحة 203

وردت "الحسنة" بمعنى النعم والخير والرخاء ، ووردت "السيئة" بمعنى القحط والبلاء والعذاب في آيات قرآنية أخرى منها:

1 . { إِنَّ تَمَسَّكُمْ حُسْنَةٌ تَسَوَّهْمُ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا } [ آل عمران : 120 ]

2 . { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ } [ الرعد: 6 ]

3 . { فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحُسْنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْفِرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ } [ الأعراف: 131 ]

## تكملة أدلة الأشاعرة على خلقه تعالى لأفعال العباد :

### الدليل الثاني :

إنّ القول بوجود خالق غير الله يستلزم إثبات خالق آخر مع الله تعالى ، ومن ادعى ذلك فقد أشرك في خالقية الله تعالى ، لأنّ الله عزّ وجلّ موه عن الشريك في الخلق والإيجاد<sup>(1)</sup> .

### يرد عليه :

1 . إنّ هذا الاشراك في إطلاق بعض الصفات على الله تعالى والعبد لا يوجب الشوك ، ولهذا لا يوجد أي مانع من

اشتراك العبد مع البري عزّ وجلّ في بعض الأوصاف، من قبيل: الوجود، العلم ، الإادة، القوة والتمكّن<sup>(2)</sup> .

2 . المذموم هو إثبات تعدّد خالقين مستقلين بقدرتهم وتماثل شؤون أفعالهم ، أما إثبات خالق غير الله، وهو محتاج إلى الله

عزّ وجلّ في أصل وجوده وقدرته وتمكّنه وفعله ، فلا محذور ولا إشكال فيه أبداً<sup>(3)</sup> .

3 . إنّ عبيد السلطان إذا فعلوا شيئاً بمعونة السلطان ، لا يقال إنهم سلاطين مثله ،

- 1- انظر: بحر الكلام، ميمون النسفي: الباب الثالث ، الفصل الثاني، المبحث الثالث ، ص 167 .
- 2- انظر: دلائل الصدق، محمّد حسن المظفر: ج1، مبحث: إنّنا فاعلون، مناقشة المظفر، ص 437 .
- 3- انظر: المصدر السابق، ص 436 .

الصفحة 204

ولا يكون ذلك عيباً في السلطان ، فهذا لا يوجد أي مانع أن يكون الإنسان خالقاً لشيء عن طريق القوة التي منحها الله تعالى له <sup>(1)</sup> .

- 4 . لو كان مجرد إطلاق وصف الخالقية لغير الله تعالى شركاً، لكان عيسى . والعياذ بالله . مشركاً في قوله: **{ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ }** [ آل عمران: 49 ] وكان عيباً في قوله تعالى **{ فَتَبَرَّكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ }** [ المؤمنون: 14 ] ، لأنّ هذه الآية تثبت بوضوح وجود من يوصف بالخالقية غير الله تعالى .

### الدليل الثالث للأشاعة :

- لو كان الإنسان خالقاً لأفعال نفسه ، لكان عالماً بتفاصيل أفعاله ، وهذا معنى قوله سبحانه: **{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }** [ الملك: 14 ] ، وبما أنّ الإنسان غير عالم بتفاصيل أفعاله وجب القطع بأنّ الإنسان غير خالق لها <sup>(2)</sup> .

### يرد عليه :

إنّ العلم بتفاصيل الخلق يشمل الخلق من اللاشيء ، ولكن الإنسان لا يقوم بخلق أفعاله من اللاشيء ، بل يقوم بتكوين مجموعة أشياء للوصول إلى شيء جديد له من الخصائص ما تفرق عن خصائص أجزائه .

وكلّما يكون الإنسان أعرف بخصائص الأجزاء التي يتعامل معها لتكوين الأشياء الجديدة يكون أكثر علماً بتفاصيل ما يقوم بخلقه <sup>(3)</sup> .

1- انظر: المصدر السابق .

2 - انظر: الأربعين في أصول الدين، فخر الدين الوري: ج1 ، المسألة الثانية والعشرون، ص 323 . 324 .

كتاب المواقف، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6، المقصد 1 ، ص 209 .

3 - قال المحقق نصير الدين الطوسي في رده على إشكال الأشاعة في هذا المقام: "الإيجاد لا يستلزم العلم إلا مع اقتوان القصد، فيكفي الإجمال" .

تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث، مبحث: نفي الجبر ، ص 199 .

الصفحة 205

### الدليل الرابع للأشاعة :

لو جاز أن يكون المؤمن خالقاً للإيمان لخلقه ممتعاً مريحاً .

ولو جاز أن يكون الكافر خالقاً للكفر لخلقه حسناً .

ولكن المؤمن والكافر لا يستطيعان ذلك .

ومن هنا يثبت بأنّ للإيمان والكفر خالقاً آخر، وهو الله تعالى (1) .

### يرد عليه :

إنّ الصفات تنقسم إلى قسمين :

1 . الصفات الواقعية: وهي الصفات التي تحتاج إلى خالق ، من قبيل الحرارة والبرودة .

2 . الصفات الانواعية: وهي الصفات التي لا تحتاج إلى خالق، بل هي صفات تتّوع من مقايضة شيء مع شيء آخر من قبيل صفتي الصغر والكبر .

فإنّ وصف "الصغر" أو "الكبر" للشيء لا يحتاج إلى خلق .

وإنّ ما يحتاج إلى خلق فهو "الشيء" .

وأما "الصغر" أو "الكبر" فهو صفة تتّوع من مقايضة شيء مع شيء آخر .

وبالنسبة إلى دليل الأشاعرة:

فإنّ وصف "التعب" للإيمان لا يحتاج إلى خلق .

وإنّ وصف "القبح" للكفر لا يحتاج إلى خلق .

وإنّ ما يحتاج إلى خلق فهو "الفعل" الذي يجعل الإنسان مؤمناً أو كافراً .

وأما "التعب" فهو صفة تتّوع من فعل "الإيمان" لأنّ "الإيمان" يجعل الإنسان مسؤولاً أمام الله تعالى ، فيستتبع الإيتاب .

وأما "القبح" فهو صفة تتّوع من فعل "الكفر" لأنّ "الكفر" على خلاف الفطرة

---

1 - انظر: اللمع ، أبو الحسن الأشعوي: الباب الخامس، ص71 . 72 .

الصفحة 206

(1) .  
والحقيقة

توضيح ذلك :

إنّ "التعب" الذي يتّصف به الإيمان ، أو "القبح" الذي يتّصف به الكفر يكون خراج الإيمان والكفر ، وهو شيء خرج اختيار

الإنسان ، وما هو في دائرة اختيار الإنسان هو خلق العمل الذي يجعله في عداد المؤمنين أو الكافرين ، وأما الأثر الذي

سيتركه هذا العمل في الواقع الخرجي وردود الأفعال التي سيواجهها الإنسان نتيجة خلقه لهذا العمل فهي أمور خرجة عن

اختيله .

## الدليل الخامس للأشاعة :

لا شكّ في أنّ "الحركة الاضطورية" التي تصدر من الإنسان مخلوقة لله تعالى ، فما دلّ على أنّ "الحركة الاضطورية" مخلوقة لله تعالى، هو الدليل على أنّ "الحركة الاختيلية" أيضاً مخلوقة لله تعالى ، وذلك لوحدة ملاكهما، وهو "الحدوث" <sup>(2)</sup> .

**يرد عليه :**

إنّ اشواك "الحركة الاضطورية" و"الحركة الاختيلية" في الملاك إنّما يدلّ على وجود خالق لكلتا هاتين الحركتين ، وأمّا أن يكون خالق "الحركة الاضطورية" هو نفس خالق "الحركة الاختيلية" فلا يوجد عليه دليل <sup>(3)</sup> .

توضيح ذلك :

إنّ سبب نسبة "الحركة الاضطورية" إلى الله تعالى هو خروجها عن اختيار

---

1 - انظر: الإلهيات، محاضرات: جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 2 / 271 .

2 - انظر: اللمع ، أبو الحسن الأشعوي: الباب الخامس ، ص74 . 75 .

3 - انظر: الإلهيات ، محاضرات: جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 2 / 272 .

الصفحة 207

الإنسان وإرادته ، وأمّا "الحركة الاختيلية" فهي واقعة باختيار الإنسان وإرادته ، فلا وجه لمقايضة إحداهما بالأخرى <sup>(1)</sup> .

---

1- انظر: المصدر السابق .

الصفحة 208

## المبحث السابع

### الاستطاعة وأثر قوة الإنسان في أفعاله عند الأشاعة

إنّ استطاعة الإنسان عبوة عن قوته على الفعل على أساس "إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل" .

### رأي الأشاعة حول قوة العبد في أفعاله :

1 . "إنّ أفعال العباد الاختيلية واقعة بقوة الله سبحانه وتعالى ، وليس لقوتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن

يوجد في العبد قوة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع لوجد [ تعالى ] فيه [ أي: في العبد ] فعله المقنور مقرناً لهما [ أي:

يخلق الله بقوته فعل العبد مقرناً للقوة غير المؤثرة التي يخلقها في العبد ] ... وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعوي" <sup>(1)</sup> .

2 . إنّ الاستطاعة من الله تعالى يخلقها في العبد مقرنة مع خلقه تعالى للفعل الذي يصدر من العبد ، ولهذا تكون هذه

الاستطاعة ليست متقدّمة على الفعل ولا متأخّرة عنه<sup>(2)</sup> .

3 . إنّ المؤثّر في حصول هذا الفعل [ فعل العبد ] هو قوّة الله تعالى ، وليس لقوّة العبد في وجوده أثر، وهذا قول أبي الحسن الأشعري<sup>(3)</sup> .

### خلاصة رأي الأشاعرة :

إنّ الله تعالى هو الذي يخلق أفعال الإنسان، وهو الذي يخلق في نفس الوقت القوّة في الإنسان .

- 1 - المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 1 ، ص214 .
- 2- انظر: بحر الكلام ، ميمون النسفي: الباب الثالث ، الفصل الثاني، المبحث الثالث، ص166 . 167 .
- 3 - القضاء والقدر، فخر الدين الوري: خلق الأفعال ، ص31 .

الصفحة 209

ولكن هذه القوّة التي يخلقها الله تعالى في الإنسان هي قوّة معطلّة ومشلولة لا يستند إليها فعل أو ترك ، وليس للإنسان أي قوّة أو استطاعة في حدوث أفعاله، وإنّما هو مجرد وعاء للفعل الذي يخلقه الله تعالى فيه .

### يرد عليه :

- 1 . إنّ إنكار تأثير قوّة العبد على فعله الاختيلري مكاوّة وإنكار لأوضح الواضحات .
- 2 . إنّ الضرورة كما تحكم بوجود القوّة في أفعال الإنسان الاختيلرية ، فهي تحكم بتأثيرها في هذه الأفعال .
- 3 . إذا لم يكن لقوّة الإنسان أي تأثير في أفعاله الاختيلرية ، فسوف يكون خلق الله تعالى لهذه القوّة في العبد أمراً عبثاً لا فائدة فيه .

4 . إنّ إثبات القوّة بلا تأثير يشبه إثبات الباصوّة للأعمى بلا إبصار ، وإثبات السامعة للأصم بلا سمع !

5 . إذا لم يكن لقوّة الإنسان أي تأثير في أفعاله الاختيلرية ، فمن أين يعلم وجود هذه القوّة، إذ لا دليل عليها غيره ؟

6 . قال أبو المعالي الجويني (ت 478 هـ) :

"أمّا نفي هذه القوّة والاستطاعة فمما يباه العقل والحس ، وأمّا إثبات قوّة لا أثر لها بوجه فهو كنفى القوّة أصلاً ... فلا بدّ

إذن من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة ... فالفعل يستند وجوده إلى القوّة، والقوّة يستند وجودها إلى سبب آخر ... حتّى

ينتهي إلى سبب الأسباب [وهو الله تعالى]"<sup>(1)</sup> .

7 . قال سعد الدين التفتلاني (ت 791 هـ) :

"بالضرورة إنّ لقوّة العبد وإرادته مدخلا في بعض الأفعال ، كحركة البطش دون

البعض كحركة الارتعاش" (1) .

### أدلة الأشاعرة على نفي تأثير قوة العبد :

#### الدليل الأول :

إنَّ فعل العبد لا يقع بقدرته، بل يقع بقوة الله عزَّ وجلَّ ، وذلك لشمول قدرته تعالى ، فهذا لا تؤثر قوة العبد في أفعاله ، لامتناع اجتماع قوتين مؤثرتين على مقنور واحد (2) .

#### يرد عليه :

- 1 . إنَّ عموم قدرته عزَّ وجلَّ لا تعني قيامه تعالى بكل شيء بصورة مباشرة وبلا واسطة ، بل الله سبحانه شاء أن يمنح بعض مخلوقاته القوة على التأثير بإذنه .
- 2 . إنَّ قوة الإنسان تستمد وجودها من قوة الله تعالى ، فإذا أراد الله شيئاً ورَّاد الإنسان نقيضه ، وقع مراد الله تعالى دون مراد الإنسان ، لأنَّ قوة الله تعالى فوق قوة الإنسان ، فلا يقع أي تعرض بين القوتين .

#### الدليل الثاني للأشاعرة :

- إذا كان الإنسان موجداً لفعله بقدرته، فلا بدَّ أن يتمكنَّ من فعله وتركه، ويتوقف هذا التمكنَّ على وجود سبب ورجح أحد طرفي الفعل أو الترك ، وهذا السبب :
- 1 . إذا كان من الإنسان: ثم التسلسل ، لأنَّ إيجاد هذا السبب أيضاً يحتاج إلى سبب آخر ، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهو باطل .
  - 2 . إذا كان من الله عزَّ وجلَّ ، فيلزم: حصول الفعل عند خلق الله تعالى للسبب .

1 - شوح العقائد النسفية، سعد الدين التفتزاني: القول في أنَّ للعباد أفعالا اختيلية، ص 58 .

2- انظر: المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 1 ، ص 209 .

شوح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4 ، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 1، ص 227 .

وعدم حصول الفعل عند عدم خلقه تعالى لهذا السبب .

فلا يكون لقوة الإنسان أي أثر في إيجاد الفعل (1) .

#### يرد عليه :

- 1 . لو كانت رادة الإنسان متوقفة على وجود رادة ثانية، فإنّ هذا الكلام أيضاً ينطبق على رادة الله عزّ وجلّ ، فيلزم فيها التسلسل والاحتياج إلى رادات لا نهاية لها، وهو باطل .
- 2 . إنّ وجود الفعل يتوقّف على وجود العلة التامة لإيجاده ، وصور فعل الإنسان يتوقّف على مجموعة مقدمات وعلى رادة غير مسبوقة برادة أخرى ، بل هي رادة مستندة إلى الاختيار الذاتي الثابت للنفس الإنسانية .

### الدليل الثالث للأشاعرة :

استدلّت الأشاعرة على نفي استطاعة الإنسان بقوله تعالى: **{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ }** [ الأعراف: 188 ]<sup>(2)</sup> .

### يرد عليه :

- 1 . إنّ الاستثناء الموجود في هذه الآية يدلّ على بطلان مذهب الأشاعرة ، لأنّ هذا الاستثناء يدلّ على أنّ الإنسان يمتلك الاستطاعة ، ولكن هذه الاستطاعة مستثناة بشروط وهو المشيئة الإلهية ، في حين روى الأشاعرة بأنّ الإنسان لا يمتلك الاستطاعة أبداً .
- 2 . إنّ الآية تدلّ على أنّ الإنسان يمتلك نفسه الاستطاعة ، ولكن هذه الاستطاعة إنّما تكون في إطار مشيئة الله تعالى، وهو معنى "لا حول ولا قوة إلا بالله" وعبرة "إلا بالله" تفيد ثبوت حول وقوة للإنسان ، ولكن هذا "الحول" لا يكون إلا بعد أن يمكن الله تعالى الإنسان منه .

1 - انظر: المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، الموصد 6 ، المقصد 1 ، ص 217 .

2 - انظر: التفسير الكبير ، الفخر الوري: ج5، تفسير آية 188 من سورة الأعراف ، ص 425 . 426 .





## المبحث الثامن

## الكسب عند الأشاعرة

الكسب في اللغة: هو السعي والعمل<sup>(1)</sup> .

## الكسب عند الأشاعرة :

المراد من "كسب العبد للفعل" هو مقارنة خلق الله تعالى لفعل العبد مع القوة التي يمنحها الله للعبد، من غير أن يكون لقوة العبد أي تأثير أو مدخل في وجود الفعل، لأنَّ العبد ليس إلاَّ محلاً للفعل الذي يخلقه الله تعالى فيه، وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري<sup>(2)</sup> .

توضيح ذلك :

1 . إذا قصد الإنسان فعلاً من الأفعال، فسيخلق الله تعالى في تلك اللحظة شيئاً:

الأول: ذلك الفعل المقصود.

الثاني: قوة للإنسان تقوّن بذلك الفعل.

فالموجد لفعل الإنسان في الواقع هو الله تعالى، وليس لقوة الإنسان أي أثر في إيجاد فعله سوى اقترانها بذلك الفعل، وهذا

الاقتران هو الكسب.

2 . الكسب هو "الاقتران العادي بين القوة المحدثه [ أي: قوة الإنسان ] والفعل، فالله تعالى أجرى العادة بخلق الفعل عند

قوة العبد وإرادته، لا بقوة العبد وإرادته، فهذا الاقتران هو الكسب"<sup>(3)</sup> .

1 - انظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (كسب).

2 - انظر: المواقف، عضد الدين الايجي: ج3، الموقف 5 ، الموصل 6 ، المقصد 1 ، ص214 .

3- ضحى الإسلام، أحمد أمين: ج3 ، الفصل الأول: المعتولة، العدل ص57 .

## خلاصة رأي الأشعري حول أفعال العباد :

1 . أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

2 . يخلق الله في العبد قوة عند خلقه تعالى لفعل العبد.

3 . هذه القوة التي يخلقها الله تعالى غير مؤثرة.

4 . ليس للعبد أي تأثير في إيجاد فعله.

- 5 . فعل العبد يخلقه الله تعالى ويكسبه العبد .  
6 . الكسب هو اقتران قوة العبد بخلق الله تعالى لذلك الفعل .

### رد نظرية الكسب عند الأشاعرة :

- 1 . إنّ هذا الكسب لا يستطيع أن يكون ملاكاً للطاعة والعصيان أو مناطاً للثواب والعقاب، لأنه عبارة عن المقارنة الواقعة بين خلقه تعالى لفعل العبد وبين خلقه تعالى للقوة في العبد، وهذه المقارنة خلجة عن اختيار الإنسان، فلا تصحُّ إنابة الثواب والعقاب عليها .
- 2 . إنّ القول بالكسب لا ينقذ الموقف الأشعوي من الجبر، لأنّ الأصل عند الأشعوي هو أن الله تعالى خالق لكل شيء، والكسب شيء، فيكون الله تعالى هو الخالق للكسب، فلا يبقى للعبد أي دور في الأفعال التي تصدر عنه <sup>(1)</sup> .
- 3 . إنّ الكسب لا يدل على كون الإنسان فاعلاً لفعله، لأنّ فعل الشيء عبارة عن إيجاده والتأثير في وجوده، والأشاعرة لا يقولون به، وإنما يقولون:
- إتّنا محل فعل الله سبحانه، والمحل ليس بفاعل، فإنّ من بنى في محل بناء، لا يقال إنّ المحل بان <sup>(2)</sup> .
- 4 . من أقوال أحد علماء أهل السنة حول الكسب <sup>(3)</sup> :

- 1 - وقد صوح عبد القادر الاسفواييني بذلك قائلاً: "إنّ الله سبحانه خالق الأجسام والأعراض خوفاً وشوهاً، وأنه خالق أكساب العباد، ولا خالق غير الله".
- الفرق بين الفرق، الاسفواييني: الباب الخامس، الفصل الثالث، الركن السادس ص338.
- 2- انظر: دلائل الصدق، محمّد حسن المظفر: ج1، إنّ فاعلون ص435.
- 3 - من العقيدة إلى النور، د.حسن حنفي: ج3 ، الباب الثالث: الإنسان المتعین، الفصل السابع: خلق الأفعال، ص117، 118، 126، 128، 129.

الصفحة 215

"لفظة الكسب قد لا تعني شيئاً على الإطلاق، إنّما يُريد بها التمويه على الجمهور أنّها تفيد شيئاً غير الجبر، وهي في الحقيقة لا تفيد إلاّ الجبر".

"الكسب اسم بلا مسمى، لفظ بلا معنى... وتكشف عن محرّد الرغبة في إثبات الجبر بطريقة ملتوية".

"الحقيقة أنّ الكسب نظرية في الجبر، لأنّ كليهما ينفي استقلال قوة العبد وتأثيرها في العالم".

"الكسب الأشعوي في ذاته غير معقول وليس له أساس نظري".

"يعتمد الكسب على عدّة حجج كلّها خاطئة، وكلّها تثبت أن الإنسان ليس صاحب أفعاله، وأنّ هناك قوة أخرى مسيطرة

عليها".

## دور قوة الإنسان في الكسب عند الأشاعرة :

### نفي تأثير قوة الإنسان :

"والمراد بكسبه [ العبد ] إياه [ الفعل ] مقلنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه [ العبد ] تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له، وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري" (1).

### يرد عليه :

لا يمتلك الإنسان وفق هذه النظرية أي دور في حدوث أفعاله، وإذا كان الله خالقاً لفعل العبد من دون أن يكون لقوة العبد أي أثر في ذلك، فكيف يصح نسبة الفعل إلى العبد، وكيف يتحمل الإنسان مسؤولية عمله إذا لم يكن لقدرته أي تأثير في وقوع فعله.

ولهذا ناقش جماعة من أعلام الأشاعرة هذا الرأي منهم :

### 1 . فخرالدين الوري :

قال: رُغم أبو الحسن الأشعري أنه لا تأثير لقوة العبد في مقنوره أصلاً، بل

1 - كتاب المواقف، عضد الدين الايجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 1 ، ص214.

الصفحة 216

القوة والمقدور واقعان بقرة الله تعالى " .

ثم قال :

"إنَّ العبد إما أن يكون مستقلاً بإدخال الشيء في الوجود، وإما لا يكون، فهذا نفي وإثبات ولا واسطة بينهما.

فإن كان الأول فقد سلّمتم قول المعتزلة.

وإن كان الثاني كان العبد مضطراً، لأنَّ الله تعالى:

إذا خلقه في العبد حصل لا محالة.

وإذا لم يخلق فيه فقد استحال حصوله، وكان العبد مضطراً، فتعود الإشكالات وعند هذا التحقيق يظهر أنَّ الكسب اسم بلا

مسمى" (1) .

### 2 . الشيخ شلتوت :

قال: "إنَّ هذه المقارنة الحاصلة بخلق الله للفعل عند قوة العبد، ليست من مقنور العبد ولا من فعله حتى ينسب الفعل بها

إليه ويجزى عليه،...فأيّ مزية للقوة بهذه المقارنة في نسبة الأفعال إلى العبد؟ وبذلك يكون العبد في واقع أمره مجبوراً لا

اختيار له" (2) .

### 3 . أحمد أمين :

قال: "هو [ الكسب الأشعوي ] شكل جديد في التعبير عن الجبر، فهو [ أبو الحسن الأشعوي ] وى أنّ القفرة الحادثة لا تؤثر في المقنور، ولم ينكر أنّ هذا الذي سماه كسباً من خلق الله، فلم هذا الدوران، والنتيجة القول بالجبر؟"<sup>(3)</sup> .

4 . الشيخ الشواني:

مضمون كلامه: كان أبو الحسن الأشعوي ، يقول: ليس للقفرة الحادثة أثر، وإنما

- 1 - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، فخر الدين الرلي: القسم الثالث: في الأفعال، ص199 .
- 2 - تفسير القآن الكريم، الشيخ شلتوت: ص240 ، نقلاً عن: بحوث في الملل والنحل، جعفر سبحاني: 2 / 153 .
- 3- ضحى الإسلام، أحمد أمين: ج3 ، الفصل الأول: المعتولة، العدل ص57.

الصفحة 217

تعلّقها بالمقنور مثل تعلّق العلم بالمعلوم في عدم التأثير. وقد اعتزّض عليه بأن القفرة الحادثة إذا لم يكن لها أثر، فوجودها وعدمها سواء، فإنّ القفرة التي لا يقع بها المقنور تكون بمثابة العجز ، ولقوة هذا الاعتراض فإنّ قول بعض أصحاب الأشعوي يؤرّمه الجبر<sup>(1)</sup> .

### رآء بعض أهل علماء السنة القائلين بتأثير قرة العبد :

- 1 . رأى القاضي أبي بكر الباقلاني (ت403هـ) :  
إنّ قرة العبد الحادثة وإرادته الحادثة لها تأثير في فعله، ولكن هذا التأثير لا يكون في أصل إيجاد الفعل وحدثه، بل يكون في صفات الفعل.  
بعبارة أخرى :
- إنّ إيجاد الفعل من الله سبحانه، وليس للقفرة الحادثة دور في إيجاد الفعل، ولكنها مؤثرة في صفة الفعل من كونه حركة اختيلية<sup>(2)</sup> .

### يلاحظ عليه :

- 1 . إنّ التفكيك بين صفة الفعل ووجوده وإن كان صحيحاً في وعاء الذهن وعالم الاعتبار، ولكنه غير صحيح في الواقع الخرجي.
- 2 . إنّ صفات الفعل لا تخلو من صورتين:  
الأولى : أن تكون من الأمور الوجودية، فتكون . عندئذ . مخلوقة لله سبحانه ولا يكون للعبد نصيب فيها.  
الثانية : أن تكون من الأمور العدمية، فلا يكون . عندئذ . للكسب واقعية خرجية، بل يكون أمراً ذهنياً غنياً عن الإيجاد والقوة. فحينئذ لا يكون العبد مصوراً لشيء حتّى يثاب أو يعاقب عليه.

- 1 - انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشواني: الفصل الرابع، المبحث الرابع والعشرون: في بيان أنّ الله تعالى خالق لأفعال العباد كما هو خالق لنواتهم ، ص251 . 252 .
- 2 - انظر: الملل والنحل، الشهبستاني: ج1، الباب الأوّل: المسلمون، الفصل الثالث، ص97 .
- 
- الصفحة 218

2 . رأي الجويني (ت 478هـ) :

ذهب الجويني إلى <sup>(1)</sup> :

- 1 . أنّ نفي أثر قوة الإنسان واستطاعته مما يباه العقل والحس .
- 2 . إنّ إثبات قوة لا أثر لها بوجه يكون كنفي القوة أصلاً .
- 3 . لا بدّ من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة .
- 4 . إنّ نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة، لا تكون على وجه الإحداث والخلق، لأنّ الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العدم والإنسان غير مستقل .
- 5 . الفعل يستند وجوده إلى القوة، والقوة يستند وجودها إلى سبب آخر حتّى ينتهي الأمر إلى مسبب الأسباب الذي هو الخالق للأسباب ومسبباتها .
- 6 . إنّ كلّ سبب مهما استغنى من وجهه، فهو محتاج من وجهه، والبري تعالى هو الغني المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر .

### تبيينان :

- 1 . لا يصح إطلاق لفظ "الكسب" الورد في القوّان الكريم على المعنى الذي اصطاحه الأشاعوة، لأنّ اصطلاح الأشاعوة متأخّر عن عصر النزول، فاللّزم حمل هذا اللفظ الورد في القوّان الكريم على معناه اللغوي وهو "السعي والعمل" .
- مثال :

قال تعالى: **{ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ تَوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ }** [ الأُمَرَا: 24 ]

فإنّ المقصود من "الكسب" في هذه الآية هو "السعي والعمل" .

- ولا تعني هذه الآية: توقوا العذاب بما كنتم محلاً للفعل الذي خلقه الله فيكم بقدرته، لأنّه ليس من العدل أن يذيق الله عباده العذاب لأنّه جعلهم محلاً لأفعاله تعالى <sup>(2)</sup> .

2 . ذهب بعض الأشاعوة إلى أنّ معنى "الكسب" هو أنّ الله تعالى يخلق

---

1- انظر: المصدر السابق: ص98 . 99 .

2- انظر: دلائل الصدق ، محمّد حسن المظفر: ج1 ، مخالفة الجبرية لنصوص القوّان ، ص474 .

بقدرته فعل العبد بعد قصد واختيار العبد لذلك الفعل، والكسب هو إجراء العادة بخلقه تعالى لفعل الإنسان عند اختيار الإنسان لذلك الفعل، وبهذا يكون الإنسان هو المسؤول في دائرة قصده واختيله<sup>(1)</sup>.

**يلاحظ عليه:**

إنَّ القصد والاختيار من جملة الأفعال، فإذا جاز صدورهما من العبد فليجز صدور أصل الفعل منه، وأي فوق بينهما؟ وأي حاجة وضرورة إلى هذا التفريق الذي يؤدي إلى نسبة خلق جميع الأفعال القبيحة إليه تعالى<sup>(2)</sup>.

- 1- انظر: نهج الحق، العلامة الحلي: المسألة الثالثة: في صفاته تعالى، في إبطال الكسب، ص 126 .
- 2- انظر: نهج الحق، العلامة الحلي: المسألة الثالثة: في صفاته تعالى، في إبطال الكسب، ص 126 .

الصفحة 220

## المبحث التاسع

### رأي المعتزلة حول أفعال العباد

1 . إنَّ الله تعالى حكيم وعادل، ولا يجوز أن يضاف إليه شرٌّ ولا ظلم، والذي يخلق الظلم يقال له ظالم، والله تعالى مزمه<sup>(1)</sup> عن نسبة الظلم إليه .

2 . قال تعالى: **{ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ }** [ الملك: 3 ]

إنَّ المقصود من التفاوت في هذه الآية ليس التفاوت في أصل المخلوقات، لأنَّ هذا التفاوت موجود زاه بوضوح، بل المقصود التفاوت من جهة الحكمة، ومن هنا لا يصح نسبة أفعال العباد إلى الله تعالى لأنَّها متفاوتة وفيها العدل والظلم<sup>(2)</sup>.

3 . إنَّ نسبة الفعل البشوي إلى الله تعالى تستلزم نسبة القبائح إليه تعالى، وهذا لا يتناسب مع جلالة شأنه تعالى.

4 . المستفاد من الآيات القوانية الكثيرة هو إسناد أفعال العباد إليهم دون الله عز وجل، منها قوله تعالى:

**{ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ }** [ البقرة: 79 ]

**{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَاتَّقُسُّهُمْ }** [ الأعداء: 11 ]

**قال القاضي عبد الجبار المعتزلي :**

1 . "إنَّ أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنَّهم المحدثون لها"<sup>(3)</sup>.

1 - انظر: شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الثاني، فصل: في خلق الأفعال ، ص 345 .

الملل والنحل، الشهرستاني: ج 1 ، الباب الأوّل: المسلمون، الفصل الأوّل: المعتزلة، ص 45 و 47 .

2 - انظر: شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الثاني، فصل: في خلق الأفعال ص 355.

- 2 . "اتَّفَقَ كلُّ أهلِ العدلِ على أنْ أفعالَ العبادِ من تصوّفهم وقيامهم وعودهم حادثَةٌ من جهتهم، وأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أقروهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم"<sup>(1)</sup> .
- 3 . "إنَّ تصوّفاتنا محتاجةٌ إلينا ومتعلّقةٌ بنا لحوثها"<sup>(2)</sup> .

- 1 - المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار: ج8، الكلام في المخلوق، ص3.
- 2 - شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، الأصل الثاني، فصل: في خلق الأفعال، ص363.

## المبحث العاشر

### التفويض عند المعتزلة

#### معنى التفويض (في اللغة) :

التفويض هو إكمال فعل الشيء إلى الآخرين على وجه الاستقلال في التصوّف دون أن يكون للمفوّض (بكسر الواو) سلطان في فعل المفوّض إليه (بفتح الواو)، وورد: فوّض إليه الأمر: "صوّه إليه وجعله الحاكم فيه"<sup>(1)</sup> .

#### معنى التفويض (في الاصطلاح العقائدي) :

إنَّ اللهَ تعالى فوّضَ أفعالَ العبادِ إليهم وتركهم لحالهم يفعلون على وجه الاستقلال التام دون أن يكون له تعالى سلطان على أفعالهم<sup>(2)</sup> .

#### نظرية التفويض<sup>(3)</sup> :

- 1 . خلق الله تعالى العالم على أساس نظام الأسباب، وأتمَّ عمله بذلك، وكلَّ ما يحدث بعد ذلك في العالم لا علاقة له بالله تعالى أبداً.

1 - لسان العرب: مادة (فوض).

2 - انظر: المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري: 148.

3 - المشهور نسبة هذه النظرية إلى المعتزلة .

تنبية: لم أجد في كلام القاضي عبد الجبار المعتزلي ما يدل على نفي إضافة أفعال العباد إلى الله تعالى بصورة مطلقة، بل

"لا يجوز إضافتها [ أي: إضافة أفعال العباد ] إلى الله تعالى إلا على ضروب من التوسع والمجاز، وذلك بأن تقيد بالطاعات، فيقال أنها من جهة الله تعالى ومن قبله، على معنى أنه أعاننا على ذلك، ولطف لنا ووفقنا، وعصمنا عن خلافه".  
شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الخامس، فصل: في القضاء والقدر، ص 778 . 779.  
وهذا مايدل على اعتقاد القاضي عبد الجبار بتدخل الله في أفعال العباد الحسنة عن طريق إعانتهم وتوفيقهم واللفظ بهم وعصمتهم عن خلافه.

- 2 . نقل الله تعالى القوة من سلطانه القاهر إلى سلطان الإنسان، وقطع كل علاقة بينه وبينها، كما تنقل ملكية المتاع من البائع إلى المشتوي، إلا أنه تعالى طلب من الإنسان أن يستعمل قوته في الخير لا في الشر.
- 3 . خلق الله تعالى الإنسان وأفوره على خلق أفعاله وفوض إليه الاختيار والإرادة، فالعبد مستقل في إيجاد أفعاله وفق مشيئته وإرادته، وتستند أفعاله إليه بشكل تام ومستقل<sup>(1)</sup>، ولا توجد أية صلة بين فعل الإنسان وبينه تعالى سوى القوة التي أودعها في العبد للمرة الأولى.

من أقوال القاضي عبد الجبار :

- 1 . قال في تفسيره لقوله تعالى: { **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ** } [ **الْكَهْفُ** : 29 ] : "فقد فوض الأمر في ذلك إلى اختيارنا"<sup>(2)</sup> .
- 2 . "إن هذه التصرفات محتاجة إلينا ومتعلقة بنا في الاحتياج إلى محدث وفاعل، وإنما احتاجت إلينا لحدوثها"<sup>(3)</sup> .

### من نوافع القول بالتفويض :

- 1 . الحرص على حريم العدل الإلهي، وتتويبه الله تبرك وتعالى عما يصدر من العباد من ظلم وقبائح.
- 2 . رد فعل راء انتشار التيار الفكري القائل بالجبر، بحيث أدى هذا الأمر إلى الإفراط في الدفاع عن اختيار الإنسان، والمباورة إلى قطع العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى.
- 3 . التأكيد على القوة البشرية وتحمل مسؤولية الاختيار من أجل استنهاض

1 - ورد هذا المعنى في: المواقف، عضد الدين الايجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6 ، المقصد 1، ص214.

2 - شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الثاني: العدل، ص362.

3- المصدر السابق: ص340.



## المبحث الحادي عشر

## مناقشة نظرية التفويض

## أدلة التفويض :

لولا استقلال العبد بالفعل على سبيل الاختيار<sup>(1)</sup> :

- 1 . بطل التكليف بالأوامر والنواهي، لأنَّ العبد إذا لم يكن موجداً لفعله، مستقلاً في إيجاده، لم يصح عقلاً أن يقال له: افعل كذا ولا تفعل كذا .
- 2 . بطل التأديب الذي ورد به الشوع، إذ لا معنى لتأديب من لا يستقل بإيجاد فعله .
- 3 . لتفع المدح والذم والثواب والعقاب عن العبد، إذ ليس الفعل مستنداً إليه مطلقاً حتى يمدح به أو يذم، أو يثاب عليه أو يعاقب .

## يرد عليه :

لا يشترط في صحة التكليف والتأديب والمدح والذم والثواب والعقاب أن يكون الإنسان مستقلاً في فعله، بل الملاك في صحة جميع هذه الأمور هو صدور الفعل من الإنسان بقدرته واختياره فحسب.

## أساس نظرية التفويض :

إنَّ الإنسان يحتاج إلى الله تعالى في أصل وجوده وقدرته، ثم يكون مستقلاً في استخدام هذه القوة في الفعل والتوك.

1 - انظر: المواقف، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5، المرصد 6، المقصد 1، ص 222 .

## معنى ذلك :

إنَّ الممكن يحتاج إلى الواجب عند حدوثه فقط، ثم يستغني عنه في البقاء، لأنَّ "الحدوث" شيء و"البقاء" شيء آخر، وإنَّ الأشياء لا تحتاج في بقاء ذاتها إلى العلة الموجدة لها.  
مثال حاجة الممكن إلى العلة حدوثاً واستغنائه عنها بقاءً:  
البيت المشيد، فإنه بحاجة إلى البناء ليبنيه ويقم جوانه في بداية أمره، فإذا وجد البيت، استغنى البيت عن البناء، وسيستمر وجوده وإن مات البناء، لأنَّ ذلك لا يؤثر على وجود البيت المشيد.

## يرد عليه :

تنقسم العلة إلى قسمين:

أ . العلة الحقيقية: وهي العلة التي تخلق الوجود من العدم.

ب - العلة المعدة: وهي العلة التي ليس من شأنها سوى تحقق عدد من المقدمات.

وإنّ البناء هو "علة معدة" وليس "علة حقيقية"، ومهمته تجميع الأجزاء من موضع إلى آخر، فيكون اجتماع الأجزاء

واستقرارها في مواضعها علة لحدوث شكل البناء، ثم تكون الخصائص المادية الكامنة في مادة البناء من قابلية التماسك

ونحوها هي العلة المبقية للبناء إلى مدة معينة.

بعبارة أخرى :

إنّ عمل البناء في الفعل هو ضم بعض الأجزاء إلى بعض، والحركة تنتهي بانتهاء عمله، وأما بقاء المبنى فهو موهون

بالقوة الكامنة التي أودعها الله تعالى في أجزائه، وليس للبناء أي صنع فيها <sup>(1)</sup>.

1 - للزويدراجع: الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين الشوري: ج1، فصل 14، احتياج الممكن إلى

العلة حدوثاً وبقاءً، ص215 . 221.

الصفحة 227

### الآثار السلبية لنظرية التفويض :

1 . تستلزم هذه النظرية الشك في الخالقية، لأنها توجب الاعتقاد بوجود خالقين مستقلين أحدهما الله تعالى والثاني الإنسان

الذي يكون خالقاً مستقلاً من دون احتياجه إلى الله تعالى في بقاءه وتأثيراته.

ولهذا قال الإمام علي(عليه السلام):

"... وإن زعمت أنك مع الله تستطيع، فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه ... " <sup>(1)</sup>.

2 . تنافي هذه النظرية أصل احتياج الإنسان إلى الله عز وجل، فتؤدي بالإنسان إلى الشعور بالغنى عن ذات الخالق،

والحرمان من نوام الاتصال بالله تعالى والتوكّل عليه والاستعانة به.

3 . تؤدي هذه النظرية إلى تحديد القوة الإلهية وسلب سلطانه تعالى على عبادته في مجال أفعالهم، فيؤدي هذا الأمر إلى

إنكار أن يكون لله تعالى صنع في أفعال العباد بالتوفيق والخذلان.

### رد التفويض في القرآن الكريم :

1 . { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [ فاطر: 15 ]

2 . { وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } [ البقرة: 102 ]

3 . { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } [ البقرة: 249 ]

4 . { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } [ يونس: 100 ]

5 . { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } [ آل عمران: 145 ]

الآيات الدالة على تصوفه تعالى في أمور عبادته :

1 . { وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [ النساء: 83 ]

2 . { أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السَّوْءَ } [ النمل: 62 ]

1 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 56: باب الاستطاعة، ح23، ص343 .

الصفحة 228

3 . { إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [ الحمد: 5 ]

4 . { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [ غافر: 60 ]

5 . { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [ البقرة: 186 ]

6 . { وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَئِينَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } [ الأنبياء: 76 ]

7 . { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضَّرَّ وَأَنْتَ لِرَحْمِ الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ } [ الأنبياء: 83 . 84 ]

8 . { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مَغْضَبًا ... \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَئِينَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نَنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [ الأنبياء: 87 . 88 ]

9 . { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تَوْتِي الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءَ وَتَوَرَّعَ الْمَلِكِ مَمَّنْ تَشَاءَ وَتَعَزَّزَ مِنْ تَشَاءَ وَتَنَزَّلُ مِنْ تَشَاءَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [ آل عمران: 26 ]

10 . { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [ آل

عمران: 160 ]

ردّ التفويض في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) :

1 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): " ... ورجل زعم أنّ الأمر مفوض إليهم ، فهذا وهنّ الله في سلطانه

"... (1)

2 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " ... من زعم أنّ الخير

والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه ... " (2)

3 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إنّ القبرية مجوس هذه الأمة ، وهم الذين رأوا أنّ يصفوا الله بعدله

فأخروه من سلطانه ... " (3)

1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد ، أبواب العدل ، ب1 ، ح14، ص9 . 10 .

2- التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 59: باب نفي الجبر والتفويض، ح2، ص350 .

3- المصدر السابق: باب60: باب القضاء والقدر ، ح29 ، ص372 .

الصفحة 229

4 . الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) سأله محمد بن عجلان: فوض الله الأمر إلى العباد ؟ فقال(عليه السلام):  
"الله أكبر من أن يفوض إليهم"<sup>(1)</sup> .

5 . الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) قال للحسن البصري: " ... إياك أن تقول بالتفويض! فإن الله جل وعز لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنا منه وضعفاً..."<sup>(2)</sup> .

6 . الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): "عن الله المعقولة رأدت أن توحّد فألحدت ، ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت"<sup>(3)</sup> .

7 . وقال(عليه السلام): "مساكين القدرية، رأوا أن يصفوا الله عزّ وجلّ بَعْدَله فأخجوه من قدرته وسلطانه"<sup>(4)</sup> .

8 . الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): " ... من زعم أنه يقوى على عمل لم يردّه الله عزّ وجلّ ، فقد زعم أن رادته تغلب رادة الله ..."<sup>(5)</sup> .

9 . الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، سأله الوشاء: الله فوض الأمر إلى العباد؟ فقال(عليه السلام): "الله أعزّ من ذلك"<sup>(6)</sup> .

1- المصدر السابق: باب59: باب نفي الجبر والتفويض ، ح6، ص351 .

2- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج24، كتاب الإمامة، باب59، ح1 ، ص233 .

3- المصدر السابق: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب1، ح8 ، ص8 .

4- المصدر السابق: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب1، ح93 ، ص54 .

5- بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج4 ، كتاب التوحيد، أبواب أسمائه تعالى، باب1، ح6 ، ص161 .

6- المصدر السابق: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب1، ح20 ، ص16 .

الصفحة 230

## المبحث الثاني عشر

### القدرية

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): "القدرية مجوس هذه الأمة"<sup>(1)</sup> .

من هم القدرية ؟

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: "علم أنّ القدرية عندنا إنّما هم المجورة والمشبهة، وعندهم المعتزلة ، فنحن نؤمّهم بهذا اللقب وهم يؤمّوننا به"<sup>(2)</sup> .

### أدلة نسبة القدرية إلى القائلين بالقدر (الجبرية) :

- 1 . إنّ اسم القدرية هو اسم إثبات ، ولا يستحقّه إلاّ المثبت للقدر ، والمجورة هم الذين يثبتون القدر ، ويقولون كلّ شيء بقدر الله<sup>(3)</sup> .
- 2 . إنّ الجبرية هم الذين يولعون بالإكثار من قولهم : لا يكون شيء إلاّ بقضاء الله تعالى وقدره ، وهم أشدّ الناس حرصاً على استخدام مصطلح القدر ، فهذا يجب أن يكونوا هم القدرية<sup>(4)</sup> .
- 3 . إنّ المتبادر من القدرية هم القائلون بالقدر ، كما أنّ المتبادر من العدلية أنّهم مثبتو العدل لا منكروه ، لأنّ تفسير القدرية بمنكوي القدر بعيد جداً وهو غير مأنوس في اللغة العربية .

- 1 - عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الاحسائي، ج1، الفصل الثامن ، ح175، ص166 .  
بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب 1، ذيل ح4 ، والنص المروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): "القدرية مجوس أمّتي" .  
المعجم الأوسط ، الطواني: 3/65 .  
كنز العمال ، المتقي الهندي: الفصل الأول ، ح553، ص118 .
- 2 - شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الرابع ، ص772 .
- 3- انظر: المصدر السابق: ص775 . 776 .
- 4 - شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الرابع ، ص775 . 776 .

الصفحة 231

- 4 . ذكر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ القدرية خصماء الرحمن ، والمجورة هم الذين يخاصمون الله تعالى إذا عاقبهم على المعاصي، فيقولون: إنّك أنت الذي خلقت فينا المعصية ورُدتها منّا ، فمالك تعذبنا وتعاقبنا على ذلك<sup>(1)</sup> .

### أدلة نسبة القدرية إلى النافين للقدر (المفوضة) :

- 1 . إنّ القوي هو الذي يثبت القدر لنفسه دون ربه عزّ وجلّ ، ويقول بأنّه هو الخالق والمقدر لأفعاله دون الله تعالى .
- 2 . إنّ المفوضة هم القدرية لأنّهم أفرطوا وبالغوا في نفيه<sup>(2)</sup> .
- 3 . إنّ من يضيف القدر إلى نفسه ، ويدعي كونه الفاعل والمقدر أولى باسم القوي ممن يضيفه إلى ربه<sup>(3)</sup> .
- 4 . ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ القدرية خصماء الرحمن ، والمفوضة يسلبون حقّ الله تعالى في خلقه لأفعال العباد، وينسبون هذا الخلق إلى أنفسهم ، ومن يكون كذلك فهم المخاصمون لله تعالى .

## وجه تشبيه المجرة بالمجوس :

- 1 . قال المجوس بأنّ الله تعالى يخلق ثم يتوّأ ممّا خلق ، وقال المجرة بأنّ الله تعالى يخلق القبائح ثم يتوّأ منها<sup>(4)</sup> .
- 2 . قال المجوس بأنّ القادر على فعل الخير لا يقدر على فعل الشر وبالعكس ، فوافقهم المجرة وقالوا بأنّ الإنسان الذي يخلق الله فيه الإيمان لا يقدر على الكفر وبالعكس<sup>(5)</sup> .
- 3 . قال المجوس بأنّ مزاج العالم شيء واحد، وهو حسنٌ من النور ، وقبيح من

1- انظر: المصدر السابق: ص 774 .

2 - شوح المقاصد، سعد الدين التفتلاني: ج4، المقصد 5 ، الفصل 5 ، المبحث 1 ، ص 267 . 268 .

3- المصدر السابق .

4 - انظر: كشف الرواد ، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الثامنة، ص 435 .

5- انظر: المصدر السابق .

الصفحة 232

- الظلمة ، وشركهم المجرة وقالوا: إنّ الكفر شيء واحد، وهو يحسُّ من الله تعالى من حيث خلقه تعالى له ويقبح من العبد من حيث كسبه له<sup>(1)</sup> .
- 4 . جوّز المجوس تكليف ما لا يطاق ، وقال المجرة أيضا بأنّ الله تعالى كلف الكافر بالإيمان مع أنه لا يمكنه فعله ، ونهاه عن الكفر مع أنه لا يتصور الانفكاك عنه<sup>(2)</sup> .
  - 5 . إنّ الأمر الظاهر في المجوس عملهم الفواحش ثم إسنادها إلى الله تعالى ، وهو ما يذهب إليه المجرة .

## وجه تشبيه المفوضة بالمجوس :

- 1 . قال المفوضة بأنّ الإنسان هو المستقل في خلق أفعاله ، فأنثبوا خالقين ، والمجوس أيضا ذهبوا إلى وجود خالقين ، أحدهما خالق الخير والآخر خالق الشر .
- 2 . قال المفوضة كالمجوس بأنّ الله تعالى خير محض وهو غير قادر على خلق الشر والفساد<sup>(3)</sup> .
- 3 . إنّ المفوضة كالمجوس لم يجعلوا لله رادة ولا سلطانا في بعض الأمور<sup>(4)</sup> .

## القدرية في الأحاديث الشريفة :

- وردت "القدرية" في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) تلة في القائلين بالقدر وهم "المجرة"، وأخرى في النافين للقدر وهم "المفوضة" .
- ويبدو أنّ الرواد من القدرية عند الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) هم الذين يقولون في القدر بخلاف الحقّ ، وهو يشمل "المجرة" و"المفوضة" .

- 1 - انظر: شوح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار: الأصل الرابع ، فصل: في القضاء والقدر ، ص773 .
- 2- انظر: المصدر السابق .
- 3 - كتاب التوحيد، أبو منصور الماتويدي: مسألة في ذم القدرية، ص314 .
- 4- المصدر السابق: ص315 .

الصفحة 233

### الأحاديث الدالة على أن القدرية هم المجبّون :

- 1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لُعنت القدرية والعرجة على لسان سبعين نبياً" ، قيل: ومن هم القدرية يا رسول الله؟  
فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "قوم زعمون أنّ الله سبحانه وتعالى قدرّ عليهم المعاصي وعذبهم عليها"<sup>(1)</sup> .
- 2 . ورد أنّ رجلاً قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أخبرني بأعجب شيء رأيت" . قال: رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم ، فإذا قيل لهم: لم تفعلون ذلك ؟ قالوا: قضاء الله تعالى علينا وقدره .
- 3 . قال الإمام علي (عليه السلام) عند انصرافه من صفين: " ... فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء الله وقدره " ، فقال له شيخ شامي: عند الله أحتسب عنائي .
- فقال (عليه السلام): "مهلاً يا شيخ ، لعلك تظن قضاءً حتماً وقواً لئلا ... تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها"<sup>(3)</sup> .

### الأحاديث الدالة على أن القدرية هم المفوضون :

- 1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إن لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر ، وزعمون أنّ المشية والقوة إليهم ولهم"<sup>(4)</sup> .
- 2 . قال الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): " ... القدرية الذين يقولون: لا قدر ، وزعمون أنّهم قادرون على الهدى والضلالة"<sup>(5)</sup> .
- 3 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إنّ القدرية مجوس هذه الأمة، وهم الذين رأوا أن يصفوا الله بعدله، فأخروه من سلطانه ..."<sup>(6)</sup> .

- 2- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل ، ب1، ح74، ص47 .
- 3- التوحيد ، الشيخ الصدوق : باب60 : باب القضاء والقدر و ... ، ح28، ص369 . 370 .
- 4- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل ، ب7، ح14، ص197 .
- 5- المصدر السابق: ب1، ح13، ص9 .
- 6- المصدر السابق: ج5 ، ب3 ، هامش ص98 .

الصفحة 234

- 4 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) لقنوي: "قرأ سورة الحمد ..." فجعل القنوي يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: **{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }** .
- فقال له الإمام الصادق: "قف، من تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة إن [ كان ] الأمر إليك؟" ، فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين <sup>(1)</sup> .
- 5 . عن علي بن موسى الرضا(عليه السلام) حول قوله تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بُقِومَ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَاتَّقُسُهُمْ }** [ الرعد: 11 ] .
- قال(عليه السلام): "إنّ القدرية يحتجون بأولها وليس كما يقولون، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى يقول: **{ وَإِذَا رَأَدَ اللَّهُ بَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ }** ... " <sup>(2)</sup> .

- 1- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج92 ، كتاب الوان، باب29، ح44، ص239 . 240 .
- 2- المصدر السابق: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل ، ب1، ح4، ص5 .

الصفحة 235

## المبحث الثالث عشر

### أفعال العباد عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

#### رأي مذهب أهل البيت(عليهم السلام) حول خلق أفعال العباد :

- 1 . سئل الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) عن أفعال العباد: أهي مخلوقة لله تعالى؟ فقال(عليه السلام): "لو كان خالفاً لها لما توء منها، وقد قال سبحانه: **{ أَنَّ اللَّهَ وَبِيِّءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** ولم يرد الراءة من خلق نواتهم ، وإنما توء من شركهم وقبائحهم" <sup>(1)</sup> .
- 2 . إن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله بالقوة التي منحها الله تعالى له ، والضرورة قاضية بإسناد الأفعال إلينا" <sup>(2)</sup> .
- 3 . قال الشيخ الحرّ العاملي: "مذهب الإمامية والمعتولة أنّ أفعال العباد صاورة عنهم وهم خالقون لها" <sup>(3)</sup> .



## تنبيه مهم :

إنّ "الخلق" ينقسم إلى قسمين :

الأوّل: إيجاد "شيء" من "لا شيء" .

وهذا القسم من الخلق مختص بالله تعالى فقط ، ولا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ .

- 1- تصحيح اعتقادات الإمامية ، الشيخ المفيد: ج5، فصل في أفعال العباد ، ص44 .  
الفصول المهمة، الشيخ الحرّ العاملي: ج1 ، أبواب أصول الدين، باب 47، ح7 [ 266 ] ، ص258 . 259 .  
بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، باب 1، ذيل ح29، ص20 .
- 2 - تجريد الاعتقاد، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، نفي الجبر، ص199 .
- 3- الفصول المهمة، الحرّ العاملي: ج1 ، أبواب أصول الدين ، باب 47، ذيل ح4 [ 263 ] ، ص257 .

الصفحة 236

## من الآيات القرآنية المشوذة إلى هذا الخلق :

قال تعالى: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرَ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [ الأعراف: 54 ]

والخلق هنا بمعنى إيجاد "شيء" من "لا شيء" <sup>(1)</sup> .

الثاني: الخلق بمعنى التقدير والتصوير والصنع ، من قبيل القيام بتكوين مجموعة أشياء للوصول إلى شيء جديد له من الخصائص ما تفرق عن خصائص أجزائه ، أو من قبيل وقوع الأحداث التي تتم عن طريق تحريك جزء من مكان إلى مكان آخر .

وهذا القسم من "الخلق" يدخل في مقدر الإنسان .

## من الآيات القرآنية المشوذة إلى هذا الخلق :

قوله تعالى حكاية عن عيسى(عليه السلام): { أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } [ آل عَفران: 49 ] .

أي: أنّي أقدر لكم وأصور لكم من الطين مثل صورة الطير <sup>(2)</sup> ، وليس المراد من "الخلق" هنا "إيجاد شيء من لا شيء" .

## النتيجة :

إنّ خلق الإنسان لأفعاله يكون من قبيل القسم الثاني للخلق، وهو عبلة عن القيام بتكوين مجموعة أشياء أو تحريكها للوصول إلى شيء جديد ، ولا يكون خلق الإنسان من قبيل القسم الأوّل للخلق وهو خلق "شيء" من "لا شيء" ، لأنّ هذا الخلق من مختصات الله تعالى فحسب .

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام):

"في الربوبية العظمى والإلهية الكبرى:

لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله .

- 1 - انظر: التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي: ج4، تفسير آية 54 من سورة الأعراف ، وقد عبّر الشيخ الطوسي عن معنى إيجاد شيء من لا شيء بكلمة "الاختراع" .
  - 2- انظر: المصدر السابق: ج2، تفسير آية 49 من سورة آل عمران .
- 
- الصفحة 237

ولا ينقل الشيء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله .  
ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله<sup>(1)</sup> .

### أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول أفعال العباد :

- 1 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين"<sup>(2)</sup> .
- 2 . الإمام علي بن موسى الوضا (عليه السلام): "إنّ الله عزّ وجلّ لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقوهم عليه..."<sup>(3)</sup> .
- 3 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله"<sup>(4)</sup> .
- 4 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، قال لأبي حنيفة عندما سأله عن مصدر المعصية:  
" ... لا تخلو من ثلاث :

[وَأَمَّا] إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله.

[ثانياً] وإما أن تكون من العبد ومن الله، والله أقوى الشوكين ، فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه .

[ثالثاً] وإما أن تكون من العبد ، وليس من الله شيء، فإن شاء عفى ، وإن شاء عاقب"<sup>(5)</sup> .

5 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

"العمل الصالح: العبد يفعله والله به أمره .

والعمل الشرّ: العبد يفعله والله عنه نهاه".

فقال السائل: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه ؟

- 
- 1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج4، كتاب التوحيد، باب5، ح2، ص148 .
  - 2- المصدر السابق: ب3 ، شوح ح2 ، ص197 .

3- المصدر السابق: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب 1، ح 22، ص 16 .

4- المصدر السابق: ح 109، ص 59 .

5- المصدر السابق: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب 1، ح 33 ص 27 .

الصفحة 238

قال(عليه السلام): "نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه"<sup>(1)</sup> .

### رأي مذهب أهل البيت(عليهم السلام) حول قوة العبد :

1 . إنّ الله تعالى هو الذي منح الإنسان القوة والاستطاعة بحيث تكون مالكية الإنسان لهذه القوة والاستطاعة في طول

مالكيته تعالى ، أي: لا يكون البري عزّ وجلّ منغولاً عن هذه القوة والاستطاعة ، بل يكون هو المالك لما ملك الإنسان، وهو

القادر على ما أفوره .

2 . إنّ قوة الإنسان قوة مؤثّرة ، ولكنها ليست مستقلة ، بل هي قوة تفتقر في ذاتها إلى الله تعالى .

### أقوال أنمة أهل البيت(عليهم السلام) حول قوة العبد :

1 . قال الإمام علي(عليه السلام) لأحد الأشخاص حول الاستطاعة التي يملكها الإنسان: " [ إنّك ] تملكها بالله الذي يملكها

من بونك ، فإن ملكها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملك والمالك لما عليه أقترك"<sup>(2)</sup>

2 . قال الإمام علي(عليه السلام) عن معنى "لا حول ولا قوة إلا بالله":

"إنّا لا نملك مع الله شيئاً ، ولا نملك إلا ما ملكنا ، فمتى ملكنا ما هو أملك به منا كلّفنا ، ومتى أخذنا منا ، ووضّع تكليفه  
عنا"<sup>(3)</sup> .

3 . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): "ما كلّف الله العباد كلفة فعل، ولا نهاهم عن شيء حتىّ جعل لهم

الاستطاعة ، ثمّ أوهم ونهاهم ، فلا يكون العبد آخذاً ولا تركاً إلاّ باستطاعة متقدّمة قبل الأمر والنهي، وقبل الأخذ والترك ،  
وقبل القبض والبسط"<sup>(4)</sup> .

4 . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): "لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرّكاً إلاّ والاستطاعة معه من الله عزّ

وجلّ، وإنّما وقع التكليف من الله عزّ وجلّ بعد الاستطاعة، فلا يكون

1- المصدر السابق: ح 29، ص 19 .

2 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب 1، ح 30، ص 24 .

3 - نهج البلاغة ، الشريف الرضي: باب المختار من حكم أمير المؤمنين(عليه السلام)، الحكمة رقم 404، ص 742 .

4 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، باب 1، ح 57، ص 38 .

مكفأً للفعل إلا مستطيعاً<sup>(1)</sup> .

5 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ الخلقَ فعلمَ ما هم صائرون إليه ، وأمرهم

ونهاهم ، فما أمرهم به من شيءٍ فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون فيه آخذين ولا تركين إلا بإذن الله عزَّ وجلَّ"<sup>(2)</sup> .

6 . قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام): "إنَّ الله . عزَّ وجلَّ . يَجْزِي العبادَ على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملَّكهم إياها، فأمرهم ونهاهم ..."<sup>(3)</sup> .

### خصائص قوة الإنسان:

1 . إنَّ الله تعالى منح الإنسان قوة محدودة، لكي يستخدم هذه القوة في ما طلب الله تعالى منه .

2 . إنَّ لكلَّ إنسان دائرة محدودة من القوة، وهذه المحدودية هي السبب في نيته الحدَّ المحدود من أهدافه ومبتغياته ، وهي

العامل في عدم وصوله إلى تحقُّق جميع آماله .

3 . إنَّ الإنسان مكفَّ بالجدِّ والاجتهاد واستخدام قدرته في سبيل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقد حثَّ البري عزَّ

وجلَّ على استعمال قدرته المحدودة في أوسع نطاقها وفي أبعد مداها، فقال تعالى: **{وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}** [النجم:

[ 39

4 . إذا تمكَّن الإنسان بقدرته أن يصل إلى أهدافه السامية فبهو نعمت ، وإن لم يتمكَّن من ذلك بعد استعمال كلِّ الوسائل وبذل

كلِّ ما في وسعه، فعليه أن يعلم بأنَّ

1- المصدر السابق: ح46، ص35 .

2- المصدر السابق: ح55، ص37 .

3 - تحف العقول، أبو محمد الحسن بن علي الحواتي: ما روي عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، رسالته وفي الود على أهل الجبر والتفويض ، ص341 .

الله تعالى لا يكفَّ نفساً إلاَّ وسعها .

5 . شاعت الإرادة الإلهية أن يكون التقاعس والتواكل والكسل والخمول وعدم استعمال القوة سبباً للعجز والتسافل ، وأن

يكون الإقدام والسعي والمحاولة واستعمال القوة في نطاقها الصحيح سبباً إلى الإنتاج المثمر .

### رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) حول نسبة أفعال العبد إلى الله تعالى :

إنَّ فعل الخير الذي يفعله الإنسان يُنسب إلى الله تعالى ، لأنَّه منح الإنسان القوة وأمره به ، وأما فعل الشر فإنه لا ينسب

إلى الله تعالى ، لأنّه عزّ وجلّ نهى عنه وأمر بتركه .

قال الإمام علي بن موسى الوضا(عليه السلام): " [ جاء في الحديث القدسي ] ... قال الله: يا ابن آدم أُولى بحسناتك منك ، وأنت أُولى بسيئاتك منّي ، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك" (1) .

توضيح ذلك :

السبب في أولوية نسبة سيئات الإنسان إلى نفسه :

إنّ الله تعالى وهب للإنسان القوة، ونهاه عن ارتكاب السيئات ، فإذا صرف الإنسان هذه القوة في السيئات ، صار أُولى بها، لأنّه صرف الشيء في ما نهاه الله تعالى عنه .

1- الكافي، الشيخ الكليني: ج 1 ، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر والأمر بين الأمرين ، ح3، ص157 .

الصفحة 241

## المبحث الرابع عشر

### الأمر بين الأمرين

1 . قال الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في جواب مَنْ سألَهُ عن القدر: " ... أنّه أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض" (1) .

2 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): "لا جبر ولا تفويض ، بل أمر بين أمرين" (2) .

3 . سئل الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): هل بين الجبر والقدر مقولة ثالثة؟ فقال(عليه السلام): "نعم ، أوسع مما بين السماء والأرض" (3) .

### خصائص مقولة "الأمر بين الأمرين" :

1 . بلغت الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) في ذم الاتّجاهين الجبري والتفويضي وإثبات الأمر بين الأمرين حدّ القواثر (4) .

2 . إنّ مقولة الأمر بين الأمرين مقولة مستقلة وليست تنقيحاً بين نظريتي الجبر والتفويض، ولا يعني الأمر بين الأمرين أنّ الإنسان مجبور في جانب من جوانب أفعاله ، ومفوّض إليه الأمر في جانب آخر، لأنّ الجبر في الأفعال التكليفية باطل بجميع مراتبه ، والتفويض أيضاً باطل بأيّ نحو كان .

3 . تُقدّم مقولة "الأمر بين الأمرين" صياغة تجمع بين "العدل الإلهي" و"السلطة

1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل ، ب1، ح103، ص57 .

2- الكافي، الشيخ الكليني: ج 1 ، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر والأمر بين الأمرين ، ح13، ص160 .

3 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 59 ، باب نفي الجبر والتفويض، ح3، ص350 .

4 - انظر: محاضرات في أصول الفقه، السيّد الخوئي: 2 / 77 ، نقلا عن: التوحيد، دروس السيّد كمال الحبيوي، بقلم جواد علي كسار: 2 / 87 .

الصفحة 242

الربانية" ، لأنّ هذه المقولة:

تمنع . من جهة . نسبة الظلم والقبح إلى الله تعالى .

وتحفظ . من جهة أخرى . سلطنة الله في داوة ملكه .

4 . إنّ هذه المقولة تجمع بين نسبة الفعل إلى الله تعالى ونسبته إلى الإنسان ، وتحافظ في نفس الوقت على الاختيار

الإنساني في إطار يوجد التوازن بين أصل "العدل الإلهي" وبين أصل "السلطنة الإلهية" من دون أي تفويت لإحدى الجهات على حساب الأخرى .

**أهم معاني الأمر بين الأمرين :**

**المعنى الأول :**

إنّ أفعال الإنسان تنسب إليه حقيقة ، لأنّه السبب لها، وهي تحت قدرته واختياره، ولكنها من جهة أخرى داخله في سلطان الله تعالى، لأنّ الله تعالى له الهيمنة على قوة الإنسان، وهو المالك لما ملكه، والقادر على ما أقوه .  
مثال :

1 . إذا أصيبت يد إنسان بالشلل ، فلم يقدر على تحريكها بنفسه ، فبعث الطبيب عن طريق جهاز كهربائي الحركة في يد هذا الشخص ، بحيث أصبح هذا الشخص عند اتّصال يده بذلك الجهاز قاواً على تحريكها بنفسه :  
فإنّ حركة يد هذا الشخص ستكون . في هذه الحالة . أمراً بين أمرين .

فهي لا تستند إلى صاحبها بنفسه كلّ الاستناد، لأنّ قدرته بحاجة إلى الاتّصال بالجهاز .

وهي لا تستند إلى الجهاز وحده ، لأنّ الحركة إنّما تكون باختيار هذا الشخص ورايته<sup>(1)</sup> .

1 - انظر: محاضرات في أصول الفقه ، السيّد الخوئي، بقلم: محمد إسحاق الفياض: 2/87 . 89 . نقلا عن: التوحيد ، دروس السيّد كمال الحبيوي، بقلم: جواد علي كسار: 2/111 . 112 .

الصفحة 243

2 . إذا ملّك المولى عبده مالا ليتصرّف به :

فإذا قلنا: إنّ هذا التمليك لا يوجب أي مالكية للعبد، والمولى باق على مالكيته كما كان ، فإنّ ذلك هو القول بالجبر .

وإذا قلنا: إنّ هذا التملك يبطل ملك المولى، كان قولاً بالتفويض .

وإذا قلنا: إنّ العبد يكون مالكا، ولكن المولى . في نفس الوقت . مالك لجميع ما يملكه العبد، كان ذلك قولاً بالأمر بين الأمرين <sup>(1)</sup> .

### المعنى الثاني :

إنّ المقصود من نفي الجبر والتفويض هو نفيهما في التكليف .

ونفي الجبر في التكليف يعني أنّ الله تعالى لم يجبر أحداً على الاتّام بالتكاليف .

ونفي التفويض في التكليف يعني أنّه تعالى لم يفوض أمر التكليف للعباد ، ليستثزم ذلك نفي التكليف، بل جعله أمراً بين أمرين ، وهو أنّ الإنسان يمتلك الاختيار في أداء التكاليف الإلهية <sup>(2)</sup> .

قال الشيخ المفيد:

"إنّ الله تعالى أقدّر الخلق على أفعالهم، ومكّنهم من أعمالهم ، وحدّ لهم الحدود في ذلك ... فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجوراً لهم عليها، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها ، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض" <sup>(3)</sup> .

### المعنى الثالث :

إنّ لهداية الله تعالى وتوفيقاته مدخلاً في أفعال العباد وطاعاتهم من غير أن تصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار وسلب القوة.

1 - انظر: الموزان ، العلامة الطباطبائي: ج 1 ، تفسير سورة البقرة آية 26 . 27 ، ص 100 .

2 - انظر: هداية الأمة إلى معرف الأئمة، محمّد جواد الخواساني: المقصد الرابع: في أفعاله تعالى شأنه ، فصل: تفسير الأمر بين الأمرين بما ورد عنهم(عليهم السلام) ، ص 654 . 658 .

3 - تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: فصل: في الفرق بين الجبر والاختيار ، ص 47 .

الصفحة 244

كما أنّ لخدلانه تعالى لهم وإيكالهم إلى أنفسهم مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات من غير أن تصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار، ومن دون صحة نسبة تلك الأفعال إلى الله تعالى <sup>(1)</sup> .

### المعنى الرابع :

إنّ المقصود من الأمر بين الأمرين هو تدخل الله تعالى في أفعال العباد بإيجاد بعض مقدماتها، كما هو واقع في أكثر

المقدمات الخرجية التي منها تهيئة الأسباب ورفع الموانع، فحينئذ لا يكون العبد مجبوراً على الفعل ولا مفضواً إليه بمقدماته <sup>(2)</sup> .

## أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول معنى الأمر بين الأمرين :

- 1 . قال الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حول معنى "أمر بين أمرين": "وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به ، وتترك ما نهوا عنه"<sup>(3)</sup> .
- 2 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حول الأمر بين الأمرين: "مثل ذلك: رجل رأته على معصية، فنهيته، فلم ينته، فتوكلته ، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتوكلته، كنت أنت الذي أمرته بالمعصية"<sup>(4)</sup> .
- 3 . سئل الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال (عليه السلام): " لا " .  
فقال السائل: فقوض إليهم الأمر؟ فقال (عليه السلام): " لا " .  
فقال السائل: فماذا؟ فقال الإمام الصادق (عليه السلام): "لطف من ربك بين ذلك"<sup>(5)</sup> .

- 1- انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب2، ذيل ح1، ص83 .
- 2- انظر: دلائل الصدق، محمد حسن المظفر: ج1، إنفا فاعلون ، مناقشة المظفر ، ص440 . 441 .
- 3- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل ، ب1، ح18، ص12 .
- 4- الكافي، الشيخ الكليني: ج1 ، كتاب التوحيد، باب: الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح13، ص160 .
- 5- المصدر السابق: ح8 ، ص159 .

الصفحة 245

- 4 . قال الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حول معنى الأمر بين الأمرين:  
"إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقروهم عليه .

فإن انتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادراً ولا منها مانعاً .

- وإن انتمروا بمعصيته، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل ، وفعلوه ، فليس هو الذي أدخلهم فيه"<sup>(1)</sup> .

5 . قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

"لا تقولوا: وكلهم الله إلى أنفسهم، فتوهنوه .

ولا تقولوا: أجورهم على المعاصي فتظلموه .

ولكن قولوا: الخير بتوفيق الله .



والشر بخذلان الله .

وكلّ سابق في علم الله" <sup>(2)</sup> .

6 . قال الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) حول معنى الأمر بين الأمرين:

"هو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله وتعبّدنا بها ... " <sup>(3)</sup> .

---

1 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 59 : باب نفي الجبر والتفويض، ح7، ص351 .

2 - الاحتجاج ، الطوسي: ج1 ، احتجابه (عليه السلام) في القضاء والقدر ، ص493 .

3 - تحف العقول ، الحسن بن علي الحواري: ما روى عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، رسالته في الود

على أهل الجبر والتفويض، ص345 .



## الفصل الثامن

### التكليف

معنى التكليف

متعلق التكليف

حسن التكليف

وجوب التكليف

غرض التكليف

شروط حسن التكليف

تكليف من لم تتم عليه الحجة

التكليف بما لا يطاق

### المبحث الأول

#### معنى التكليف

معنى التكليف (في اللغة) :

التكليف مأخوذ من الكُفَّة ، وهو عبلة عن الأمر بما فيه المشقة<sup>(1)</sup> .

معنى التكليف (في الاصطلاح العقائدي) :

التكليف هو بَعَثٌ من تجب طاعته . ابتداءً . على ما فيه مشقة بشروط الإعلام<sup>(2)</sup> .

توضيح قيود معنى التكليف :

القيود الأول: " بعث "

البعث على الفعل هو الحمل عليه والحثُّ عليه بالأمر والنهي<sup>(3)</sup> .

أقسام البعث<sup>(4)</sup> :

وَأَوْلًا: البعث على الفعل ، وهو:

- 1 - انظر: لسان العرب ، ابن منظور: مادة (كلف) .  
كشف العرّاد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الحادية عشر ، ص 437 .  
النافع يوم الحشر، مقدار السيوري: الفصل الرابع، ص 71 .
  - 2 - انظر: المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: البحث الرابع، المطلب الأول ، المقام الثاني، ص 95 .  
قواعد العوام ، ميثم البهرواني: القاعدة الخامسة ، الركن الثاني ، البحث الأول ، ص 114 .  
النافع يوم الحشر: مقدار السيوري: الفصل الرابع، ص 71 .  
مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الرابع، ص 247 .
  - 3 - انظر: النافع يوم الحشر، مقدار السيوري: الفصل الرابع، ص 71 .
  - 4- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1 ، ص 253 . 254 .
- 
- الصفحة 250

- 1 . الواجب: الفعل الذي يجب فعله .
  - 2 . الندب: الفعل الذي من الأفضل فعله .
- ثانياً: البعث على ترك الفعل ، وهو:
- 1 . المحرّم: الفعل الذي لا يجوز فعله .
  - 2 . المكروه: الفعل الذي من الأفضل عدم فعله .

### تنبيهان :

- 1 . إنّ التكليف . بصورة عامة . ينبغي أن يكون بعثاً على ما يستحق فعله المدح، من قبيل فعل الواجب والمستحب وترك القبيح، وعلى هذا يخرج المباح ، لأنّ فعله أو تركه لا يستحق المدح .
- 2 . إنّما ورد في تعريف التكليف كلمة "بعث" لينبج في هذا التعريف: "الإرادة" و"الأمر" و"الإلزام" و"النهي" و"الإعلام"، فإنّها بأجمعها تشترك في كونها باعثة<sup>(1)</sup> .

### القيد الثاني: " من تجب طاعته "

يدخل بهذا القيد من تجب طاعته من قبيل الله تعالى والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام(عليه السلام) والوالدين والسيّد والمنعم ، ويخرج من لا تجب طاعته، لأنّ بعث غير واجب الطاعة لا يسمّى تكليفاً<sup>(2)</sup> .

### القيد الثالث: " الابتداء "

يكون التكليف بهذا القيد محصوراً بطاعة الله تعالى فقط، لأنّ البعث الإلهي هو البعث الوحيد الذي يكون من جهة الابتداء ، وغوره تابع له .

ولهذا لا تسمى أوامر ونواهي النبي والإمام ومن تجب طاعتهم من العباد تكليفاً، لأنّ طاعتهم متوَعَّعة عن طاعة الله تعالى ، فلا يعتبر بعثهم على ما أمر به الله تعالى

1 - انظر: إثراق اللاهوت، عميد الدين العبيدي، المقصد العاشر، المسألة الأولى ، ص 379 .

2 - انظر: رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل ، تعريف التكليف ، ص 271 .

إثراق اللاهوت، عميد الدين العبيدي: المقصد العاشر، المسألة الأولى ، ص 379 .

الصفحة 251

تكليفاً<sup>(1)</sup> .

مثال :

لا يسمى بعث وأمر الوالد ولده على الصلاة تكليفاً لسبق بعثه تعالى وأمره بها، وإنما يقال للوالد: "أمر ولده بها"، ولا يقال: "هذا تكليف من الأب لولده"<sup>(2)</sup> .

### القيد الرابع : " المشقة "

يتمّ بهذا القيد الاحتراز عما لا مشقة فيه ، لأنّ ما لا مشقة فيه لا يسمى تكليفاً<sup>(3)</sup> .

### تنبيهات :

- 1 . ورد قيد "المشقة" في تعريف التكليف ، لأنّ التكليف مأخوذ من الكلفة . وهي المشقة . فلا بدّ من اعتبارها<sup>(4)</sup> .
- 2 . ليس المراد من المشقة العسر الذي يؤدي إلى نفي الحكم، بل المراد ما يوجب الرحمة ، ويحتاج فعله إلى مؤونة<sup>(5)</sup> .
- 3 . قد استشكل البعض بأنّ جملة مما تشتهي النفس من قبيل النكاح وتناول الطعام يقع في دائرة التكليف ، وهو ليس فيه مشقة، فكيف أصبحت المشقة من لزم التكليف ؟

الجواب: إنّ المشقة الموجودة في هذا المقام عبلة عن اقتصار النفس على النكاح والطعام الحلال وترك الحوام ، وردع النفس عن تلبية الهوى واتّباع

1 - انظر: قواعد العوام، ميثم الجواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني، البحث الأوّل ، ص 114 .

النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع، ص 71 . 72 .

رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، تعريف التكليف ، ص 271 .

الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، النوع الأوّل ، المبحث الأوّل ، ص 222 .

- 2 - انظر: مناهج اليقين ، العلامة الحلبي: المنهج السادس ، البحث الرابع، ص247 .
- 3 - انظر: قواعد العوام ، ميثم البجواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني، ص114 .
- 4 - انظر: إثراق اللاهوت، عميد الدين العبيدي: المقصد العاشر ، المسألة الأولى ، ص379 .
- 5 - انظر: بداية المعرف، محسن الخوري: ج1 ، عقيدتنا في التكليف ، ص144 .

الصفحة 252

الشهوات .

### الفيد الخامس: " الإعلام "

- يشترط في التكليف إعلام المكلف ما كلف به ، لأن البعث الفاقد للإعلام لا يسمى تكليفاً<sup>(1)</sup> .  
بعبارة أخرى :
- إنّ التكليف لا يكون تكليفاً لأحد إلا بعد إعلامه بما كلف به<sup>(2)</sup> .  
وإنّ المكلف لا يكون مكلفاً إلا بعد إعلامه بما يطلب منه<sup>(3)</sup> .

### تنبيهان :

- 1 . إنّ "اشتراط الإعلام" لا يرتبط بحقيقة التكليف ، بل يعتبر شرطاً من شروط القيام بالتكليف<sup>(4)</sup> .
- 2 . إنّ الله تعالى يعلم العباد بتكاليفهم عن طريق :  
وَأَلَّا: تكميل عقولهم، ليتمكنهم الاستدلال بها .  
ثانياً: رسال الوسل وإزال الكتب السماوية إليهم<sup>(5)</sup> .

- 1 - انظر: تكملة شولق الإلهام ، محمد المحمدي الجيلاني: المقصد 3 ، الفصل 3 ، المسألة 11، ص55 .
- 2 - انظر: قواعد العوام، ميثم البجواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني، البحث الأول ، ص114 .
- 3 - انظر: رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، تعريف التكليف ، ص271 .
- 4 - انظر : اللوامع الإلهية ، مقداد السيوري : اللامع 9 ، المقصد 4 ، النوع 1 ، المبحث 1 ، ص222 .
- 5 - انظر: رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، تعريف التكليف ، ص271 .

الصفحة 253

### المبحث الثاني

#### متعلّق التكليف<sup>(1)</sup>

ينقسم متعلّق التكليف إلى علم وظن وعمل :

وَأولاً: علم ، وهو ينقسم نتيجة لحاظ مصدر العلم إلى :

1 . عقلي .

2 . شوعي .

3 . عقلي شوعي .

توضيح ذلك :

1 . عقلي: وهو أن يكون متعلّق التكليف علماً يتمّ الحصول عليه عن طريق النظر والاستدلال ونحوها مما يستقل العقل بحكمه .

مثال : التكليف بمعرفة الله تعالى وصفاته.

2 . شوعي: وهو أن يكون متعلّق التكليف علماً يتمّ الحصول عليه عن طريق الشوع ، لأنه يكون مما لا يستقل العقل ببركه .

مثال : التكليف بمعرفة الأمور الشوعية، أي: العلم بالواجبات والمحرمات

---

1 - انظر: قواعد العوام ، ميثم الجواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني، البحث الخامس، ص117 .

تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث، ص204 .

المسلك في أصول الدين، المحقّق الحلّي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الأول، المقام الثاني، ص96.  
المنفذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، ص254 .

مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الرابع، ص250 . 251 .

النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع، ص73 .

لرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، ص275 . 276 .

الواعم الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع ، المقصد الرابع، النوع الأول ، المبحث الأول ، ص222 .

---

الصفحة 254

والمستحبات، والمكروهات والمباحات التي يعلم الإنسان بها عن طريق الشوع .

ومنه أيضاً العلم بوجود الملائكة وتفصيل البرزخ والمعاد وكلّ الأمور الغيبية .

3 . عقلي شوعي: وهو أن يكون متعلّق التكليف علماً يتمّ الحصول عليه عن طريق العقل والشوع .

مثال: التكليف بمعرفة وحدانية الله تعالى .

ثانياً: ظن ، وهو أن يكون متعلّق التكليف ظناً أقيم الدليل على اعتباره .

مثال :

التكليف . في بعض المولد . بظواهر الكتاب والأخبار الأحاد والبيّنة ونحوها .

ثالثاً: عمل ، وهو ينقسم إلى :

1 . عقلي: وهو أن يكون متعلّق التكليف عملاً يأمر العقل به أو ينهى عنه .

مثال :

وجوب شكر المنعم والإنصاف والإحسان ويزّ الوالدين وردّ الوديعة .

2 . شوعي: وهو أن يكون متعلّق التكليف عملاً يأمر الشوع به أو ينهى عنه .

مثال :

فعل العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد وغيرها من الأعمال الشوعية .

الصفحة 255

## المبحث الثالث

### حسن التكليف

#### دليل حسن التكليف :

إنّ التكليف من فعل الله سبحانه وتعالى ، ولا شك في حسن جميع أفعاله تعالى <sup>(1)</sup> .

#### وجه حسن التكليف :

إنّ التكليف حسن ، لأنّه يشتمل على مصلحة ، وهذه المصلحة هي التعويض لنفع عظيم لا يمكن الحصول عليه إلا عن طريق التكليف ، وهذا النفع هو الثواب <sup>(2)</sup> .

1 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: فصل: في حسن تكليف الله تعالى ... ، ص135 .

قواعد العوام ، ميثم البهواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني ، البحت الثاني، ص115 .

المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: النظر الثاني، البحت الرابع، المطلب الأوّل، المقام الأوّل، ص93 .

رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، كون التكليف حسن ، ص272 .

اللوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، النوع الأوّل ، المبحث الثالث ، ص223 .

2 - انظر: شوح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل ، حسن التكليف ... ، ص100 . 101 .

الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في التكليف، فصل في بيان العوض بالتكليف، ص108 .

تقريب المعرف، أبو صلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة في التكليف ، ص112 .

- الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الثالث ، حسن التكليف ، ص109 .
- غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ج2 ، فصل في التكليف وما يتعلّق به، ص106 .
- تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، ص202 .
- تلخيص المحصل ، نصير الدين الطوسي: الركن الثالث ، القسم الثالث ، ص345 .
- كشف الوداد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة الحادية عشر، ص437 .
- كشف الفوائد، العلامة الحلّي: الباب الثالث ، الفصل الأول ، حسن التكليف ، ص254 .
- النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع: في العدل، ص74 .
- المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: الكلام في التكليف و ... ، ص241 .
- الصفحة 256

### معنى التعويض :

- إنّ التعويض في التكليف هو جعل المكلف بحيث يتمكن من الوصول إلى الثواب الذي عوض له <sup>(1)</sup> .
- ويكون التعويض للشيء في حكم إيصاله <sup>(2)</sup> .

### تنبيهات :

- 1 . لا يمكن القول بأنّ التكليف حسن لكونه شكراً للمنعّم ، لأنّ "الشكر" لا يشترط فيه المشقة ، ولكن "التكليف" فيه مشقة <sup>(3)</sup> .
- 2 . لا يشترط في التكليف المراضاة بين المكلف (وهو الله تعالى) وبين المكلف (وهو الإنسان أو غيره من المكلفين) ، لأنّ مقدار النفع الذي أعده الله تعالى لمن يلتزم بالتكليف يبلغ حدّاً يكوّن الممتنع عنه سفيها عند العقلاء ، ولهذا لا يشترط المراضاة في هذا المجال <sup>(4)</sup> .
- 3 . إنّ حسن التكليف عام يشمل المؤمن والكافر ، لأنّ فائدة التكليف هي التعويض للثواب ورأية طريق السعادة، وهذه الفائدة ثابتة في حقّ الكافر كما هي ثابتة في حقّ المؤمن ، وإنّ المؤمن والكافر متساويان في التعويض للثواب والنفع، إلا أنّ حُصون الكافر من سوء اختياله <sup>(5)</sup> .

- 
- 1 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في التكليف ، ص108 .
  - الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الثالث ، حسن التكليف ، ص109 .
  - رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، كون التكليف حسن، ص273 .
  - 2 - انظر: شوح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل، حسن التكليف، ص101 .
  - الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الثالث: ص109 .
  - المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1 ، الكلام في التكليف و ... ، ص241 .



- 3 - انظر: تكملة شلوق الإلهام، محمّد المحمدي الجبلاني: المقصد 3 ، الفصل 3 ، المسألة 11، ص55 .
- 4- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، الكلام في التكليف و ... ، ص242 .
- 5 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في التكليف ، فصل في حسن تكليف الله ، ص129 .
- تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة في التكليف ، ص116 .
- الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الثالث: الكلام في التكليف، حسن تكليف الكافر، ص123 .
- تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي، المقصد الثالث ، الفصل الثالث، ص204 .
- المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الأوّل ، ص94 .
- المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، الكلام في التكليف و ... ، ص243 و247 .
- مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الرابع، ص250 .
- الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، الفوع الأوّل ، المبحث الرابع، ص224 .

الصفحة 257

بعبارة أخرى :

إنّ صيرورة التكليف وبالٍ ومفسدة على الكافر ناشئة من اختيله ، لا من نفس التكليف .

مثال :

لو أنّ طبيباً :

أخبر شخصاً بما يضره ويفني حياته، وأمره بالاجتناب عنه .

وأخوه بما ينفعه ويبقي حياته، وأمره بتناوله أو فعله .

فإنّ هذا الطبيب سيكون محسناً في حقّ هذا الشخص .

فإذا خالف هذا الشخص وأمر الطبيب ، وفعل عكس ما أمره، ثمّ تضرّر أو هلك ، فإنّ الطبيب لا يكون مسيئاً في حقّه ، بل

يكون هذا الشخص هو السبب في إلحاق الضرر والهلاك بنفسه نتيجة سوء اختيله ومخالفته لأوامر الطبيب <sup>(1)</sup> .

- 1 - انظر: الفوائد البهية، محمّد العاملي: ج1 ، الفصل الأوّل ، الباب الخامس ، الأمر الرابع ، ص311 .

الصفحة 258

## المبحث الرابع

وجوب التكليف من الله تعالى للعباد

<sup>(1)</sup> اتّفقت العدالة على وجوب التكليف من الله تعالى للعباد .

## تنبيه :

لا يخفى بأن وجوب التكليف على الله تعالى لا يعني فرض الوجوب عليه تعالى من غره ، بل يعني: أن الحكمة الإلهية تقتضي ذلك (2) .

## أدلة وجوب التكليف من الله تعالى للعباد :

1 . إنَّ العباد يجهلون الكثير:

مما يعود عليهم بالنفع والصلاح .

ومما يعود عليهم بالضرر والخسوان .

ولهذا تقتضي رحمة الله تعالى ولطفه أن:

يبين الله تعالى للعباد ما فيه النفع والصلاح لهم ، ويُرشدهم إلى طرق الخير والسعادة ، ويأمرهم باتباعها .

ويبين الله تعالى للعباد ما فيه الضرر والخسوان لهم، ويُرهم عن طريق الشرّ والشقاء، وينهاهم عن اتباعها .

وهذا هو التكليف .

2 . إنَّ الله تعالى هو الذي خلق الشهوات والميل إلى القبيح في العباد ، فلو لم يكلفهم ، فإنه تعالى سيكون عابثاً أو مغرياً

لهم بالقبيح ، وذلك لا يجوز عليه

---

1 - انظر : كشف الفوائد ، العلامة الحلّي : الباب الثالث ، الفصل الأوّل ، حسن التكليف ، ص254 .

2 - انظر: رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، كون التكليف حسن ، ص274 .

(1)

تعالى .

3 . إنَّ الغرض الإلهي من خلق العباد هو أن يصلوا إلى الكمال .

ويعتبر التكليف هو السبيل الوحيد الذي يصل به العباد إلى هذا الغرض الإلهي .

فولا هذا التكليف لانتقض الغرض الإلهي .

ولا يخفى أن نقض الغرض قبيح .

ولهذا تقتضي الحكمة الإلهية لزوم تكليف العباد .

## تنبيه :

إنَّ العلم باستحقاق المدح على الفعل الحسن لا يكفي لبعث العباد على هذا الفعل .

وإنَّ العلم باستحقاق الذم على الفعل القبيح لا يكفي لوجر العباد عن فعل القبيح .

ولهذا لا يكون المدح والذم بديلاً عن التكليف .

بعبارة أخرى :

إنّ الكثير من العباد لا يعيؤون بالمدح والذم، فرجّحون شهواتهم على مدح وذم العقلاء، ولا سيما مع حصول النواحي الحسنية التي تكون في أغلب الأحيان قاهرة للنواحي العقلية .

ولهذا لا يمكن القول بأنّ المدح داعي والذم زاجر ولا حاجة إلى التكليف ، بل التكليف هو السبيل الوحيد لتحفيز العباد على الفعل الحسن، وزجرهم عن الفعل

- 
- 1 - انظر: الذخيرة ، الشويف المرتضى: باب الكلام في التكليف ، فصل: في بيان الغرض ، ص 110 .  
تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل، في الغرض من التكليف ، ص 119 .  
الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الثالث: في الكلام في التكليف ، ص 111 . 112 .  
غنية النزوع ، ابن زهرة الحلبي: ج2، فصل في التكليف وما يتعلّق به، ص 106 .  
قواعد العوام ، ميثم البهواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني ، البحث الثالث ، ص 115 .  
مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الرابع، مسألة: التكليف واجب ، ص 249 .  
النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع، في العدل، ص 73 .  
رشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل ، كون التكليف واجب على البري تعالى ، ص 273 .
- 
- الصفحة 260

(1)  
القيح .

- 
- 1 - انظر: قواعد العوام، ميثم البهواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني، البحث الثالث ، ص 116 .  
مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الرابع، مسألة: التكليف واجب ، ص 249 .  
النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع: في العدل، ص 74 .  
رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، كون التكليف واجب على البري تعالى ، ص 274 .  
الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع ، النوع الأول ، المبحث الثالث ، ص 224 .
- 
- الصفحة 261

## المبحث الخامس

(1)  
غرض التكليف

إنّ تكليف الله تعالى للعباد :

1 . ليس فيه غرض: وهو محال ، لأنّ التكليف لغير غرض عبث، وفعل العبث قبيح ، والله تعالى موزّه من فعل القبيح .  
2 . فيه غرض: وهو الصحيح .  
وهذا الغرض:

1 . مضرّ: وهو محال، لأنّه قبيح ، والله تعالى موزّه من فعل القبيح .  
2 . مفيد: وهو الصحيح .  
وهذه الفائدة :

1 . تعود لله تعالى ، وهو محال، لأنّه يستلزم النقص والحاجة في ذاته تعالى ، والله تعالى كامل وغني في ذاته وصفاته .

---

1 - انظر : الذخيرة ، الشريف المرتضى : باب الكلام في التكليف ، فصل في بيان الغرض ، ص 110 .  
تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسألة العدل ، في الغرض من التكليف ، ص115 .  
الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني ، الفصل الثالث، ص111 .  
غنية النزوع ، ابن زهرة الحلبي: ج2، فصل في التكليف وما يتعلّق به، ص106، 107 .  
قواعد العوام، ميثم البرواني: القاعدة السابعة، الوكن الثالث ، البحث الثاني، ص158 . 159 .  
المنقذ من التقليد ، سديد الدين الحمصي: ج1، الكلام في التكليف و ... ، ص248 .  
مناهج اليقين ، العلامة الحلّي: المنهج السادس ، البحث الرابع، ص250 .  
النافع يوم الحشر، مقداد السيوري: الفصل الرابع: في العدل، ص71 .  
إشراق اللاهوت ، عميد الدين العبيدي: المقصد العاشر، المسألة الثالثة ، المبحث الثاني، ص338 .  
رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، كون التكليف حسن ، ص272 . 273 .  
الصفحة 262

2 . تعود لغير الله تعالى: وهو الصحيح .  
وهذا الغير هو:

1 . غير المكلف: وهو غير صحيح ، لأنّ المكلف هو المتحمل مشقة التكليف ، فينبغي أن يكون هو المنتفع لا غيره .  
2 . المكلف: وهو الصحيح .

وهذه الفائدة التي يحصل عليها المكلف هي:

1 . جلب نفع أو دفع ضرر (أي: الحصول على الثواب والاجتناب عن العقاب): وهو غير صحيح ، لأنّ الكافر الذي يموت على كونه مكلف مع أنّ تكليفه لا يجلب له نفعاً ولا يدفع عنه ضرراً .  
2 . تعويض<sup>(1)</sup> وللنفع وتحذير من الضرر (أي: تعويض للثواب وتحذير من العقاب): وهو الصحيح .

## حديث شريف :

قال الإمام علي (عليه السلام) :

"أَيُّهَا النَّاسُ !

- إِنَّ اللَّهَ تَبَرَّكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ خَلْقَهُ رَأَى أَنَّ يَكُونُوا عَلَى آدَابٍ رَفِيعَةٍ وَأَخْلَاقٍ شَرِيفَةٍ .
- فَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِقَهُمْ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ .
- وَالتَّعْرِيفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ .
- وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا بِالأَوْعَدِ وَالأَوْعِيدِ .
- وَالوَعْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوَعُّبِ .
- وَالوَعِيدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّوْهِيبِ .
- وَالتَّوَعُّبُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا تَشْتَهِيهِ أَنفُسُهُمْ وَتَلَذُّهُ أَعْيُنُهُمْ .
- وَالتَّوْهِيبُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِضِدِّ ذَلِكَ .

1 - معنى التعريض . كما ذكرنا سابقاً . هو جعل المكلف بحيث يتمكن من الوصول إلى النفع الذي عوض له .

الصفحة 263

ثم خلقهم في دله .

- ورأهم طوفاً من اللذات، ليستدلوا به على ما ورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم ، ألا وهي الجنة .
- ورأهم طوفاً من الآلام، ليستدلوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة، ألا وهي النار .
- فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنهم .
- وسرورها ممزوجاً بكنورها وغمومها"<sup>(1)</sup> .

## انقطاع التكليف :

ينبغي أن يكون التكليف منقطعاً ومحددًا بفترة زمنية معينة ، لأن التكليف يتبعه الحصول على الثواب الإلهي، ودوام التكليف يوجب عدم إمكان الحصول على ذلك الثواب، فلهذا ينبغي أن يكون التكليف الذي فيه مشقة منقطعاً، ليصل المكلف بعد ذلك إلى الثواب الذي لا مشقة فيه <sup>(2)</sup> .

إشكال ورد :

أشكل البعض :

إذا كان الغرض الإلهي من تكليف العباد هو أن يعطيهم النفع ، فإن الله تعالى قادر على إيصال هذا النفع إليهم من غير

(3)

واسطة التكليف ، فلهذا يكون التكليف عبثاً .

### يرد عليه :

1 . إنَّ الله تعالى هو الذي خلق نظام الأسباب ، وهو الذي شاعت حكمته أن تتوقف بعض الأمور على البعض الآخر في الواقع الخرجي ، ولهذا لا يكون توسّط

- 1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد ، باب 15 ، ح13 ، ص316 .
- 2 - انظر : شوح جمل العلم والعمل ، الشويف المرتضى : أبواب العدل ، ص103 ، 104 .  
الذخوة ، الشويف المرتضى: فصل: في وجوب انقطاع التكليف، ص141 .  
غنية النزوع ، ابن زهرة الحلبي: ج2، وجوب انقطاع التكليف ، ص109 .
- 3 - انظر: التفسير الكبير، فخر الدين الوري: ج10، تفسير آية 56 من سورة الذريات، ص193 .

الصفحة 264

الفعل من أجل الوصول إلى الغرض عبثاً .

2 . ليس الغرض الإلهي من تكليف العباد: أن يعطيهم النفع .

وإنما الغرض الإلهي من تكليف العباد: أن يصلوا إلى الكمال .

والوصول إلى الكمال على نحوين :

وَأولاً: إجباري .

ثانياً: اختياري .

وبما أنّ الوصول إلى الكمال بالإجبار لا قيمة له، فإنَّ الله تعالى منح العباد الاختيار ، وجعل التكليف سبيلاً لتكاملهم .

الصفحة 265

### النتيجة :

إنَّ الغرض الإلهي من تكليف العباد هو أن يصلوا إلى التكامل الاختياري.

ولا يتحقّق هذا التكامل إلاّ عن طريق اختيار الإنسان الكمال بنفسه .

وقد جعل الله تعالى التكليف سبيلاً يصل من خلاله الإنسان باختياره إلى الكمال المطلوب .

ولهذا لا يوجد أي عبث في هذا الصعيد .

الصفحة 266

### المبحث السادس

## (1) شروط حسن التكليف

### شروط التكليف :

- 1 . وجود المكلف ، لأنّ تكليف المعلوم عبث <sup>(2)</sup> .
- 2 . انتفاء المفسدة فيه، لأنّ وجودها قبيح <sup>(3)</sup> .
- 3 . تقدّمه على وقت الفعل زماناً يتمكّن فيه المكلف من معرفة التكليف والامتثال به بالصورة المطلوبة، لأنّ التكليف يكون في غير هذه الحالة تكليفاً بما لا يطاق، وهو قبيح <sup>(4)</sup> .
- 4 . إمكان وقوعه ، لأنّ التكليف بالمستحيل قبيح <sup>(5)</sup> .
- 5 . أن لا يتعلّق التكليف بالمباح ، وإنّما يتعلّق بما يستحقّ به الثواب كالواجب والمندوب وترك القبيح ، لأنّ التكليف بما لا يستحقّ الثواب عبث ، وهو قبيح <sup>(6)</sup> .

- 1 - سنكتفي في هذا المبحث . مراعاة للاختصار . بذكر المصادر في الهامش بصورة موجزة، ويستطيع القارئ مشاهدة هذه المصادر بصورة مفصّلة في نهاية المبحث .
- 2- انظر: نهج الحق، العلامة الحلي: 134 .
- 3 - انظر: الذخيرة: 110 ، تقيب المعرف: 121 ، تجريد الاعتقاد: 203 ، مناهج اليقين: 251 ، النافع يوم الحشر: 72 ، اللوامع الإلهية: 223 .
- 4 - انظر: الذخيرة: 100 ، تقيب المعرف: 123 ، تجريد الاعتقاد: 203 ، مناهج اليقين: 251 ، اللوامع الإلهية: 222 .
- 5 - انظر: الذخيرة: 112 ، الاقتصاد: 112 ، المنقذ من التقليد: 1 / 288 ، مناهج اليقين: 251 ، رشاد الطالبين: 274 .
- 275 ، اللوامع الإلهية: 223 .
- 6 - تجريد الاعتقاد: 203 ، قواعد العوام: 117 ، المنقذ من التقليد: 1 / 288 ، نهج الحق: 136 ، مناهج اليقين: 251 ، رشاد الطالبين: 274 . 275 ، اللوامع الإلهية: 223 .

الصفحة 267

### شروط المكلف :

- 1 . أن يكون حكيماً ومزوّهاً عن فعل القبيح والإخلال بالواجب ، لأنّه لو كان فاعلاً للقبيح ومخللاً بالواجب لجاز تكليفه بالقبائح وإخلاله في إعطاء الثواب لراء التكليف ، وهذا قبيح <sup>(1)</sup> .
- 2 . أن يكون عالماً بحسن وقبح الفعل الذي يكلف به، لئلا يكلف بالقبيح، من قبيل الأمر بفعل القبيح <sup>(2)</sup> .
- 3 . أن يكون عالماً بمقدار الثواب والعقاب الذي يستحقّه كلّ مكلف عند الطاعة أو المعصية، حتى لا يكون مضيقاً لحقّ المكلفين <sup>(3)</sup> .

4 . أن يكون قابراً على إيصال المستحق حقّه ، لأنّ عدم القدرة في هذا المجال تستلزم العجز والظلم ، وكلاهما محال على الله تعالى (4) .

5 . أن يكون له غرض في التكليف ، لأنّ التكليف من دون غرض قبيح ، وقد ذكرنا هذا الأمر في المبحث السابق (5) .

6 . أن يقوم بتقوية نواحي المكلف فيما يكلفه (6) بحيث يمكنه من فعل ما يؤمر به وترك ما ينهى عنه (7) .

### شروط المكلف :

1 . أن يكون قابراً على ما يكلف به ، لأنّ التكليف بما لا يطاق قبيح ، والله تعالى

---

1 - انظر: الذخيرة: 107 ، تقريب المعرف: 114 ، الاقتصاد: 108 ، تجريد الاعتقاد: 203 ، قواعد العوام: 116 ، مناهج اليقين: 251 ، لرشاد الطالبين: 274 ، الوامع الإلهية: 222 .

2 - انظر: تجريد الاعتقاد: 203 ، قواعد العوام: 116 ، المنقذ من التقليد: 1/289 ، مناهج اليقين: 251 ، النافع يوم الحشر: 72 ، لرشاد الطالبين: 274 ، الوامع الإلهية: 222 .

3 - انظر: الذخيرة: 107 ، الاقتصاد: 108 ، تجريد الاعتقاد: 203 ، قواعد العوام: 116 ، المنقذ من التقليد: 1/289 ، مناهج اليقين: 251 ، لرشاد الطالبين: 274 ، الوامع الإلهية: 222 .

4 - انظر: المصادر المذكورة في الهامش السابق ، ماعدا كتاب المنقذ من التقليد .

5 - راجع مبحث غرض التكليف من هذا الفصل .

6 - لا يخفى بأنّ المقصود من تقوية النواحي هي التي لا تبلغ حدّ الإلجاء والجبر المنافي للتكليف .

7 - انظر: الذخيرة: 112 ، تقريب المعرف: 121 ، الاقتصاد: 112 .

---

الصفحة 268

نوّه عن فعل القبيح (1) ، وسنبيّن تفاصيل هذا الشرط في المبحث الأخير من هذا الفصل .

2 . أن يكون متمكناً من الأدوات التي يحتاج إليها في أداء ما يكلف به ، لأنّ التكليف مع فقدان الأدوات يكون بمقولة التكليف

بما لا يطاق ، وهو قبيح (2) .

3 . أن لا يكون مجبراً فيما كلف به ، لأنّ من شروط التكليف أن يكون الإنسان مختلراً لفعل الخير أو الشر (3) .

4 . أن يكون عالماً أو متمكناً من العلم بما كلف به (4) ، كما ينبغي أن يكون متمكناً من التمييز بين ما كلف به وبين ما لم

يكلف به (5) ، لأنّ التكليف لا يكون إلا بعد إقامة الحجة .

### تنبيه :

لا يخفى أنّ العلم بالتكليف والتمييز بينه وبين غيره يحتاج إلى كمال العقل ، ولهذا يشترط أن يكون المكلف كامل العقل (6) .

الجاهل بالتكليف



## أقسام الجاهل بالتكليف :

- 1 . الجاهل القاصر: وهو الذي لم يتمكّن من طلب العلم لمانع أو لقصور في ذاته.
- 2 . الجاهل المقصّر: وهو الذي تمكّن من طلب العلم ، ولكنه ترك ذلك عمداً أو

- 1 - انظر: الذخوة: 100 ، تقريب المعرف: 128، الاقتصاد: 116 ، تجريد الاعتقاد: 203 ، قواعد العوام: 116، المنقذ من التقليد: 1/252 ، مناهج اليقين: 251، النافع يوم الحشر: 73 ، لرشاد الطالبين: 274 . 275 ، اللوامع الإلهية: 222 .
- 2 - انظر: الذخوة: 100 و 123 ، تقريب المعرف: 128، الاقتصاد: 118 ، تجريد الاعتقاد: 203 ، قواعد العوام: 117، مناهج اليقين: 251 ، لرشاد الطالبين: 275 .
- 3- انظر: الاقتصاد: 120، المنقذ من التقليد: 1/288 .
- 4 - انظر: الذخوة: 121، الاقتصاد: 117 ، تجريد الاعتقاد: 203، المنقذ من التقليد: 1/252 ، اللوامع الإلهية: 222 .
- 5 - انظر: قواعد العوام: 116، مناهج اليقين: 251 ، لرشاد الطالبين: 275 .
- 6 - انظر: الذخوة: 121، الاقتصاد: 117، المنقذ من التقليد: 1/289 ، نهج الحق: 135 .

الصفحة 269

إهمالا .

## حكم الجاهل بالتكليف :

- 1 . إنّ الجاهل القاصر معذور عند الله تعالى ولا عقاب عليه، لأنّ الله تعالى لا يعاقب أحداً إلاّ بعدّ البيان ووصول الوهان ، وقد ورد في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) بأنّ الذين لم تتمّ عليهم الحجّة في الدنيا يكلّفون في الآخرة، ويحدّد هناك مصوهم عن طريق ذلك التكليف <sup>(1)</sup> .
- 2 . إنّ الجاهل المقصّر في معرفة التكليف غير معذور ، وهو مسؤول عند الله تعالى ومعاقب على تقصّوه . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) حول قوله تعالى: { قُلْ فَلِلَّهِ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ } [ الأنعام: 149 ] :  
"إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟  
فإن قال: نعم .  
قال له: أفلا عملت بما علمت ؟  
وإن قال: كنت جاهلاً .  
قال له: أفلا تعلّمت حتّى تعمل ؟  
فتلك الحجّة البالغة" <sup>(2)</sup> .

تتمة :

- إنّ الحجّة . عند المتكلمين . هي ما توجب القطع وتفيد العلم وتقطع العذر<sup>(3)</sup> .  
وتنقسم الحجّة إلى قسمين :  
1 . باطنية: وهي العقول .

1 - انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج 5 ، كتاب العدل والمعاد، باب 13 : الأطفال ومن لم يتم عليهم الحجّة في الدنيا، ص 288 . 297 .

2 - الأمالي، الشيخ الطوسي: المجلس الأول ، ح 14، ص 11 .

3 - انظر: الفوائد البهية، محمّد حمود العاملي: ج 1، الفصل الأوّل ، الباب الخامس، ص 302 .

الصفحة 270

2 . ظاهريّة: وهي الوسل والكتب السماوية.

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام):

"حجّة الله على العباد النبي، والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل"<sup>(1)</sup> .

1- الكافي، الشيخ الكليني: ج 1، كتاب العقل والجهل، ح 22، ص 25 .

الصفحة 271

...

مصادر هذا المبحث بصورة مفصّلة :

انظر: الذخيرة ، الشويف الموتضى: باب: الكلام في الاستطاعة و ... ، فصل: في إبطال تكليف ما لا يطاق ، ص 100،  
وباب: الكلام في التكليف ، فصل في صفات المكلف تعالى، ص 107 ، وفصل: في بيان الغرض بالتكليف و ... ، ص 110،  
وفصل: في بيان صفات الأفعال التي يتناولها التكليف ، ص 112 ، وفصل: في الصفات والشوائب التي يكون عليها المكلف،  
ص 121 و 123 .

تقريب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل ، مسألة: في التكليف ، ص 114، 121، 123، 128 .

الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثاني ، الفصل الثالث: في الكلام في التكليف ، صفات المكلف، ص 108، الفعل الذي

يتنوله التكليف، ص 112، الصفات التي يجب أن يكون عليها المكلف، ص 116، 117 و 120 .

تجريد الاعتقاد ، نصول الدين الطوسي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث: في أفعاله ، التكليف ، ص 203 .

قواعد العوام، ميثم البهرواني: القاعدة الخامسة، الركن الثاني، البحث الرابع والبحث الخامس، ص 116، 117 .

المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1 ، القول في أن الله تعالى كلف كل من أكمل شروط التكليف فيه، ص252، القول في الشروط التي باعتبارها يحسن التكليف ، ص288، 289 .  
نهج الحق: العلامة الحلبي: المسألة الثالثة، المطالب الثامن عشر، ص135، 136 .  
مناهج اليقين ، العلامة الحلبي: المنهج السادس، البحث الرابع، ص251 .  
لرشاد الطالبين: مقداد السيوري: مباحث العدل، شوائب التكليف: 274، 275 .  
الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، الفوع الأول ، ص222، 223 .  
الصفحة 272

## المبحث السابع

### تكليف من لم تتمّ عليهم الحجّة في الدنيا

إنّ الذين لم تتمّ عليهم الحجّة في الدنيا، ولم يتحقّق تكليفهم فيها، فإنّ تكليفهم سيكون في الآخرة.  
وبذلك التكليف يتمّ تحديد مصوهم :  
فإنّ فازوا في ذلك التكليف الإلهي فمصوهم الجنة .  
وإنّ خسروا في ذلك التكليف الإلهي فمصوهم النار .

### أحاديث شريفة وردة في هذا المجال :

1 . قال الإمام محمد بن علي الباقر(عليه السلام): "إذا كان يوم القيامة احتجّ الله عزّ وجلّ على خمسة :  
على الطفل .  
والذي مات بين النبيين .  
والذي أترك النبي وهو لا يعقل .  
والأبلة .  
والمجنون الذي لا يعقل .  
والأصم والأبكم .  
فكلّ واحد منهم يحتجّ على الله عزّ وجلّ .  
قال: فبيعت الله إليهم رسولا فيؤجّج لهم نرا فيقول لهم :  
ربكم يأمركم أن تثبوا فيها .  
فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً .

ومن عصى سيق إلى النار " .

2 . قال الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام):

" ... إذا كان يوم القيامة أتي:

بالأطفال

والشيخ الكبير الذي قد أترك السن<sup>(2)</sup> ولم يعقل من الكبر والخرف

والذي مات في الفترة بين النبيين

والمجنون

والأبله الذي لا يعقل

فكل واحد [ منهم ] يحتج على الله عز وجل

فبيعت الله تعالى إليهم ملكاً من الملائكة

فيؤجج نراً

فيقول: إن ربكم يأمركم أن تنثوا فيها

فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً

ومن عصاه سيق إلى النار"<sup>(3)</sup> .

### تنبيهات :

1 . قال الشيخ الصدوق: "إن قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون:

إنه لا يجوز أن يكون في دار الخواء تكليف

---

1- الخصال ، الشيخ الصدوق: باب الخمسة، ح31، ص283.

الفصول المهمة، الشيخ الحرّ العاملي: ج1، باب 56، ح8 [ 311 ] ، ص282 .

بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، باب 13، ح2، ص289 . 290 .

2 - وردت عبارة "أدرك النبي" بدل "أدرك السن" في :

الفصول المهمة ، الشيخ الحرّ العاملي: ج1، باب 56، ح1 [ 304 ] ، ص278 .

بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، باب 13، ح3، ص290 .

3 - معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق: نوادر الأخبار ، ح86 ، ص408 .

ودار الخواء للكافرين إتما هي النار .

وإتما يكون هذا التكليف من الله عزّوجلّ في غير الجنة والنار ، فلا يكون كلفهم في دار الخواء ، ثم يصّوهم إلى الدار التي يستحقونها بطاعتهم أو معصيتهم .  
(1) فلا وجه لإنكار ذلك" .

2 . قال الشيخ الصدوق حول الأحاديث الشريفة المبيّنة بأنّ ولاد المشوكين والكفار مع آبائهم في النار :

" ... أطفال المشوكين والكفار مع آبائهم في النار لا يصيبهم من حرّها لتكون الحجّة أوكد عليهم متى أمروا يوم القيامة بدخول نار توجّج لهم مع ضمان السلامة متى لم يتقوا به ولم يصدّقوا وعده في شيء قد شاهدوا مثله" (2) .  
3 . قال العلامة الحلّي: "ذهب بعض الحشوية (3) إلى أنّ الله تعالى يعذب أطفال المشوكين ، ويؤم الأشاعوة تجوزّه ، والعدلية كافة على منعه، والدليل عليه أنّه قبيح عقلا، فلا يصدر منه تعالى" (4) .

4 . إنّ قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [ الطور: 21 ]** لا تدل على إلحاق مطلق الذرية بأبائهم المؤمنين، بل تدل على إلحاق الذرية المؤمنة بأبائهم المؤمنين .  
والذرية التي لم ينكشف إيمانها في الدنيا، فإنّ الاختبار الإلهي لها في الآخرة يبيّن إيمانها وعدم إيمانها .  
فإن اتّبع هذه الذرية آباءها في الإيمان، فإنّها ستلحق بأبائها .

1- الخصال ، الشيخ الصدوق: باب الخمسة، ذيل ح31، ص283 .

2 - من لا يحضوه الفقيه ، الشيخ الصدوق : ج3 ، أبواب القضايا والأحكام ، ب 151 ، ذيل ح 4 [ 1546 ] ، ص318 .

3 - للتعرف على الحشوية راجع: بحوث في الملل والنحل ، جعفر سبحاني: ج1، ص124 والفصل الخامس .

4 - كشف المراد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة العاشرة، ص436 .

الصفحة 275

وإن لم تتبع هذه الذرية آباءها في الإيمان ، فإنّها لا تلحق بأبائها.  
بعبارة أخرى :

تبيّن هذه الآية بأنّ الذرية إذا اتّبع آباءها بالإيمان ولكنها لم تبلغ درجة الآباء في الإيمان ، فإن الله تعالى سيلحق هذه الذرية بالآباء ، وذلك لتقرّر عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة (1) .  
"فإن قيل: كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه.  
فالجواب: إنهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة" (2) .

**تتمة :**

**تكليف ولد الزنا :**

إنّ ولد الزنا غير مقصّر أبداً، ولا يمكن التتقيص منه نتيجة سوء فعل أبويه .

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) :

"إنّ ولد الزنا يستعمل ، إن عمل خواً حُرِّي به ، وإن عمل شواً حُرِّي به"<sup>(3)</sup> .

قال العلامة المجلسي بعد ذكره لهذا الحديث الشريف:

"هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإمامية من أنّ ولد الزنا كسائر الناس مكلف بأصول الدين وفروعه، ويجري عليه

أحكام المسلمين من إظهار الإسلام ، ويثاب على الطاعات ويعاقب على المعاصي"<sup>(4)</sup> .

### تنبيه :

لا يمكن الأخذ ببعض الأحاديث الدالة على أنّ في ولد الزنا منقصة تنافي

1 - قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: "قصوت الأبناء عن عمل الآباء فألحق الله عزّ وجلّ الأبناء

بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم" .

التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 61، ح7، ص383 .

2- مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج9، تفسير آية 21 من سورة الطور .

3- بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد ، باب 12، ح14، ص287 .

4- المصدر السابق: ص 287 . 288 .

الصفحة 276

الاختيار، لأنّ هذه الأحاديث معرّضة للآيات القوانية الدالة على أنّه تعالى ليس بظلام للعبيد<sup>(1)</sup> .

1 - للمزيد راجع: صراط الحقّ، محمّد آصف المحسني: ج2، المقصد 5، القاعدة 12، ص403 . 411 .

الصفحة 277

## المبحث الثامن

### التكليف بما لا يطاق

ذكرنا فيما سبق بأنّ من شروط حسن التكليف أن يكون المكلف قادراً على ما يكلف به، لأنّ تكليف ما لا يطاق قبيح، والله

تعالى مؤدّب عن فعل القبيح، ولكن ذهب الأشاعرة إلى عكس هذا القول ، ولهذا تطلّب الأمر تسليط المزيد من الأضواء على

هذا الموضوع .

أدلة قبح التكليف بما لا يطاق :

- 1 . إنّ العقل يحكم على نحو البدهاة والضرورة بقبح التكليف بما لا يطاق <sup>(1)</sup> .
- 2 . إنّ المكلف عاجز عن امتثال التكليف بما لا يطاق ، وتكليف العاجز ومؤاخذته عليه ينافي العدل والحكمة الإلهية <sup>(2)</sup> .
- 3 . إنّ غاية التكليف هي أن يفعل المكلف ما كلف به، وتتفي هذه الغاية فيما لو كان التكليف فوق استطاعة المكلف، فيكون التكليف . في هذه الحالة . عبثاً، والعبث قبيح <sup>(3)</sup> .

- 
- 1 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في الاستطاعة و ... ، ص100 .  
شوح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: أبواب العدل وما يتصل بذلك ، ص99 .  
تقريب المعرف، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل، مسألة في التكليف ، ص112 .  
المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في تكليف ما لا يطاق ، ص203 .
  - 2 - انظر: شوح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: أبواب العدل، قبح تكليف ... ، ص98 . 99 .  
نهج الحق، العلامة الحلبي: المسألة الثالثة، المطالب الثامن ، ص99 .  
غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ج2، قبح تكليف من ليس بقادر، ص105 .
  - 3 - انظر: إثواق اللاهوت ، عميد الدين العبيدلي: المقصد العاشر، المسألة الرابعة ، ص389 .

الصفحة 278

### نفي التكليف بما لا يطاق في القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم جملة من الآيات الدالة بوضوح على أنّ الله تعالى لا يكلف العباد إلا قدر وسعهم وطاقتهم ، منها

قوله تعالى :

- 1 . { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [ البقرة: 286 ]
- 2 . { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا } [ الطلاق: 7 ]
- 3 . { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } [ الحج: 78 ]
- 4 . { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [ البقرة: 185 ]

### نفي التكليف بما لا يطاق في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) :

ورد في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) العديد من النصوص الدالة بوضوح على أنّ الله تعالى لا يكلف العباد إلا

قدر وسعهم وطاقتهم ، ومن هذه الأحاديث الشريفة :

- 1 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "ما كلف الله العباد إلا ما يطيقون" <sup>(1)</sup> .
- 2 . الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): " ... ليس من صفته [ عزّ وجلّ ] الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون" <sup>(2)</sup> .

3 . الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): " ... كل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له، وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم..."<sup>(3)</sup> .

4 . الإمام موسى بن جعفر الكاظم(عليه السلام): " ... إن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يحملها فوق طاقتها..."<sup>(4)</sup> .

5 . الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام): سأله الولوي عن الله عز وجل هل يكلف

1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب1، ح66، ص41 .

2- المصدر السابق: ح29، ص19 .

3 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب1، ح51، ص36 .

4 - التوحيد ، الشيخ الصدوق: باب 59 : باب نفي الجبر والتفويض، ح9، ص352 .

الصفحة 279

عباده ما لا يطيقون؟ فقال(عليه السلام): "كيف يفعل ذلك وهو يقول: **{ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ }**"<sup>(1)</sup> .

### تنبيهان :

1 . إن التكليف بما لا يطاق قبيح ، من غير فرق بين :

وَأَلَّا: أن يكون نفس التكليف بذاته محال .

ثانياً: أن يكون التكليف ممكناً بالذات، ولكنه خرج عن إطار قدرة المكلف .

2 . إن القيام بالتكاليف الإلهية يختلف باختلاف طاقة العباد، وكل إنسان مكلف بأداء الواجبات وترك المحرمات بقدر طاقته

### رأي الأشاعرة حول التكليف بما لا يطاق :

جوز الأشاعرة أن يكلف الله تعالى العباد بما لا يطيقون ، وقالوا بأن التكليف بما لا يطاق جائز، ولا يمتنع عليه تعالى أن

يكلف العباد بما هو فوق وسعهم وطاقاتهم وما لا يقرون عليه<sup>(2)</sup> .

### تنبيه :

ذكر بعض الأشاعرة بأن موادهم من القول بجواز تكليف الله العباد بما لا يطيقون هو "إمكان الوقوع" فقط، وأما "الوقوع"

فإنه لم يقع في نطاق التشريع، وذلك لقوله تعالى: **{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }**<sup>(3)</sup> .

بعبارة أخرى :

إن الله تعالى يجوز له أن يكلف العباد فوق وسعهم وطاقاتهم ، ولكنه لم يفعل



1 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، أبواب العدل، ب1، ح17، ص11 .  
2 - انظر: الموافق، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6، المقصد 7 ، ص290 و292 .  
شرح المقاصد، سعد الدين التفتلاني: ج4، المقصد 5 ، الفصل 5، المبحث 4، ص296 .  
دلائل الصدق، محمد حسن المظفر: ج1، المسألة 3 ، المبحث 11 ، المطلب 1 ، مناقشة الفضل ، ص327 ، والمطلب 8 ، مناقشة الفضل ، ص425 .

3 - انظر: الموافق، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6، المقصد 7، ص291 و293 .  
دلائل الصدق، محمد حسن المظفر: ج1، المسألة 3 ، المبحث 11 ، المطلب 8 ، مناقشة الفضل، ص425 .

الصفحة 280

ذلك .

### أدلة الأشاعرة على جواز التكليف بما لا يطاق ومناقشتها :

#### الدليل الأول :

إنّ الله تعالى يمتلك الحرية المطلقة، فهذا يجوز له أن يكلف العباد بأي وجه أراد ، ولو كان ذلك تكليفاً بما لا يطاق، لأنّه تعالى يفعل ما يشاء <sup>(1)</sup> .

#### يرد عليه :

إذا كان الأمر كذلك ، فينبغي القول بأنّ الله تعالى يجوز له الكذب على العباد ، لأنّه يمتلك الحرية المطلقة، ويفعل ما يشاء ، فنترول حينئذ الثقة بأنبيائه وكتبه السماوية.

ولكن الأمر ليس كذلك ، لأنّ الله تعالى على رغم امتلاكه الحرية المطلقة في الفعل ، فإنه حكيم وعادل ، ولا يصدر منه ما ينافي جلالة قوه وعظمة شأنه <sup>(2)</sup> .

#### بعبارة أخرى :

إنّ أيّ دليل يتمسك به الأشاعرة لإثبات عدم إخباره تعالى بالكذب ، فهو دليل على عدم تكليفه تعالى بما لا يطاق .

#### الدليل الثاني :

لو كان تكليف الله العباد بما لا يطيقون قبيحاً، لما وقع ذلك ، ولكنه وقع، ومنه أنّ الله تعالى كلف أبا لهب بأن يؤمن بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ويصدق بكلّ ما أخبر به ، ومن جملة ما أخبر به(صلى الله عليه وآله وسلم) هو أنّ أبا لهب لا يؤمن، فيكون تكليف أبي لهب: "أن يؤمن بأّنه لا يؤمن" ، وهو جمع بين النقيضين ، وهذا تكليف بما لا يطاق، وقد وقع من

قبل الله

- 
- 1- انظر: المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 5 ، المرصد 6، المقصد 7، ص290 .  
شوح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5، المبحث 4، ص296 .  
دلائل الصدق، محمّد حسن المظفر: ج1، المسألة 3، المبحث 11، المطلب 8 ، مناقشة الفضل، ص425 .  
2 - انظر: كنز الفوائد، أبو الفتح الكواكبي: ج1، قبح التكليف بما لا يطاق ، ص108 . 109 .



تعالى ، فيثبت عدم قبح تكليف ما لا يطاق <sup>(1)</sup> .

### يرد عليه :

ورد في مقام الردّ على هذا الدليل مجموعة آراء، منها:

1 . إنّ الإخبار عن أبي لهب بأنّه لا يؤمن وقع بعد موته لا قبله <sup>(2)</sup> .

2 . إنّ الله تعالى لم يخبر بأنّ أبا لهب لا يؤمن أو أنه سيّموت كافراً، وأنما أخبر بأنه سيّصلى نوا ذات لهب ، وهذا لا

يستلزم الكفر، لأنّ العذاب الإلهي أيضاً يشمل الظالم ولو كان مسلماً <sup>(3)</sup> .

3 . كان أبو لهب مكلفاً بالإيمان من حيث كونه مختزلاً وقاوا على الإيمان ، وهذا الإيمان أمر ممكن وليس مما لا يطاق .

وأما إخباره تعالى بعدم إيمان أبي لهب فهو من حيث العلم، والعلم . كما ذكرنا . يكشف عن الواقع كما هو عليه، وقد كشف

علم الله تعالى بأنّ أبا لهب لا يؤمن باختياله .

ولو كان أبو لهب مختزلاً للإيمان، لكان في علم الله تعالى بأنه يؤمن ، والعلم تابع للمعلوم، وليس له أي تأثير على الواقع

<sup>(4)</sup> الخرجي .

4 . إنّ إخباره تعالى بعدم إيمان أبي لهب ورد بعد أن لم يؤمن أبو لهب بما كُلف به، فأخبر الله تعالى بأنه لا يؤمن ، لأنّه

أصبح نتيجة أعماله ممن خُتم على قلبه

1 - انظر: شوح المقاصد، سعد الدين التفتزاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5، المبحث 5 ، ص297 .

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، فخر الدين الوري: مسألة الحسن والقبح ، ص202 .

دلائل الصدق، محمّد حسن المظفر: ج1، المسألة 31، المبحث 11، المطلب 1، مناقشة الفضل، ص327.

2 - انظر: إرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، احتجاج الأشاعرة، ص257 .

3 - انظر : دلائل الصدق ، محمّد حسن المظفر : ج 1 ، المسألة 3 ، المبحث 11 ، المطلب 1 ، مناقشة المظفر ، ص

328 .

4- انظر: مناهج اليقين، العلامة الحليّ: المقصد السادس، المبحث الأوّل ، ص234 .

تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي: الوكن الثالث، القسم الثالث ، ص340 .

إثواق اللاهوت، عميد الدين العبيدلي: المقصد السابع، المسألة الأولى ، ص310 .

## الآيات القرآنية التي استدلت بها القائلون بجواز التكليف بما لا يطاق :

استدل بعض الأشاعرة بآيات قرآنية ظنوا أنها تدل على جواز التكليف بما لا يطاق ، مع أنها بعيدة كل البعد عما ذهبوا إليه ، وأبرز هذه الآيات <sup>(2)</sup> :

### الآية الأولى :

{ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ }

السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ } [ هود: 20 ]

### وجه الاستدلال :

إن الكافرين أمروا أن يسمعوا الحق وكنفوا به مع أنهم { ما كانوا يستطيعون السمع } ، فدل ذلك على جواز التكليف بما لا يطاق .

### يرد عليه :

إن سبب عدم استطاعة هؤلاء الكافرين على السمع والبصر المعنوي هو تماديهم في الظلم والغي وإحاطة ظلمة الذنوب على قلوبهم وأعينهم وأسماعهم ، حيث أمت العصيان والطغيان قلوبهم وأصم أسماعهم <sup>(3)</sup> .

بعبارة أخرى :

إن هذه الآية لا تدل على فقدان الكافرين السمع والبصر المعنوي في بداية الأمر ، بل تدل على أنهم حرموا أنفسهم من هذا السمع والبصر بذنوبهم ، فصلت

---

1- انظر: الإنصاف، جعفر السبحاني: ج3 ، أدلة المنكرين للتحسين والتقيح العقلين، ص32، 33 .

2 - انظر تفاسير علماء أهل السنة، كما أشار سعد الدين التفتلاني في كتابه شوح المقاصد، وأشار ميمون بن محمد النسفي في كتابه بحر الكلام إلى هذه الآيات ووجه الاستدلال بها، وقد بين التفتلاني والنسفي في هذا المجال عدم صحة الأدلة التي احتج بها القائلون بجواز التكليف بما لا يطاق.

انظر: شوح المقاصد، سعد الدين التفتلاني: ج4، المقصد 5، الفصل 5، المبحث 5، ص299 . 301 .

وانظر: بحر الكلام، ميمون بن محمد النسفي: الباب الرابع، الفصل الأول، المبحث الثالث، ص199. 201 .

3 - انظر: الفوائد البهية، محمد حمود العاملي: ج1، الفصل الأول ، الباب الخامس ، الأمر الثاني، ص305 .

### الآية الثانية :

### وجه الاستدلال :

إنّ هذه الآية تدل بوضوح على جواز تكليف ما لا يطاق ، فلو لم يكن التكليف للعاجز جائزاً لم يكن لهذا الدعاء معنى

وفائدة .

### يرد عليه :

هذه الآية :

لا تشير إلى "تكليف" ما لا يطاق .

وإنّما تشير إلى "تحميل" ما لا يطاق .

وهناك فرق بين "التكليف" و"التحميل" .

والفرق هو :

إنّ في "التكليف" يطلب المكلف من المكلف أن يقوم بفعل معين .

ولهذا يشترط في هذا المقام أن يمتلك المكلف القدرة والطاقة على ذلك الفعل .

ولكن "التحميل" ليس فيه طلب، وإنّما هو عبءة عن مصائب وابتلاءات وكوارث يحملها الله تعالى على الإنسان لأغراض

حكيمة .

وهذه المصائب التي يواجهها الإنسان :

قد يطبقها ويتمكّن من الوقوف بوجهها والمحافظة على تعادله .

وقد لا يطبقها فتربك تولّنه وتشل حركته وتدمر قوارنه وقواه .

النتيجة :

الكلام يدور في هذه الآية حول "تحميل المصائب" التي لا يطيق الإنسان صدّها وإبعاد نفسه عنها، وليس الكلام حول

"التكليف" بما لا يطاق .

### الآية الثالثة :

{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتُبْنُونَ بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ

لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [ البقرة: 31 . 32 ]

### وجه الاستدلال :

إنّ الله تعالى كلف الملائكة بأن يذكروا أسماء ما كانوا عالمين بها، ولا طويق لهم إلى علمها، وهذا ما يدل على أنه تعالى

كَلَّفَهُمْ بِمَا لَا يُطَاقُ .

**يرد عليه :**

إِنَّ الْأَمْرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ } لِلتَّعْجِيزِ لَا لِلتَّكْلِيفِ ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: 23] .  
بعبارة أخرى :

إِنَّ الْغُرُضَ مِنْ أَمْرِهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَقَامِ بَيَانُ عِزِّ الْمَخَاطِبِينَ ، وَلَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ قِبَلِ الْأَمْرِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَثَابُ فَاعِلُهُ وَيُعَاقَبُ تَرْكُهُ ، وَلِهَذَا لَمْ يَسْتَحِقْ الْمَلَائِكَةُ الْعِقَابَ عِنْدَمَا لَمْ يَنْبُؤُوا وَيُخْبِرُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ ، وَلَمْ يَعْدَ عَدَمَ تَلْبِيَّتِهِمْ لِهَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ذَنْبًا أَوْ عَصْيَانًا <sup>(1)</sup> .

**الآية الرابعة :**

{ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى السَّجْدِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَهْقِئُهُمْ ذَّلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السَّجْدِ وَهُمْ سَالِمُونَ } [القلم: 43-42]

**وجه الاستدلال :**

إذا جاز تكليف هؤلاء في الآخرة بما لا يستطيعون جاز ذلك في الدنيا .

1- انظر: المنقذ من التقليد، سيد الدين الحمصي: ج1، القول في تكليف ما لا يطاق، ص205 .

الصفحة 285

**يرد عليه :**

لَيْسَ الْغُرُضُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ التَّكْلِيفِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَشْتَرُطُ فِيهِ الْقُوَّةُ ، بَلِ الْغَايَةُ مِنْهُ إِجَادَةُ الْحِسْوَةِ وَالنَّدَامَةِ فِي نَفْسِ التَّرَكِّينِ لِلسَّجْدِ عَلَى مَا قَوَّطُوا فِي الدُّنْيَا عِنْدَمَا كَانَتْ أَبْدَانُهُمْ تَتَمَتَّعُ بِالصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ .  
بعبارة أخرى :

إِنَّ الْآيَةَ بَصَدَدِ بَيَانٍ أَنَّ هَؤُلَاءِ رَفَضُوا امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا عِنْدَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْهُمْ بَعْدَمَا كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنْ أَعْيُنِهِمْ ، رَوَّأُوا الْعَذَابَ هَمَّوْا بِالطَّاعَةِ وَالسَّجْدِ ، وَلَكِنْ أُنِيَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ لِعَدَمِ سَلَامَةِ أَبْدَانِهِمْ ، أَوْ نَتِيجَةِ الْقَبَائِحِ الَّتِي لَتَكْوَرَهَا فِي الدُّنْيَا ، أَوْ لِاسْتِقْوَارِ مَلَكَةِ الْاسْتِكْبَارِ فِي سَوَائِهِمْ <sup>(1)</sup> .

**الآية الخامسة :**

قال تعالى: { فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَّا تَعَدُّوا فَوَاحِدَةً } [النساء: 3]

وقال تعالى: { وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعَدُّوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } [النساء: 129]

## وجه الاستدلال :

إنَّ الله عزَّ وجلَّ جَوَّزَ تعدد الزوجات، وكلف كلَّ من يتزوج أكثر من واحدة أن واعي العدل بين زوجاته، ولكنه تعالى بين في الآية الثانية بأنَّ مراعاة العدل بين الزوجات أمر لا يقدر عليه الإنسان . فنستنتج بأنَّ "المتزوج أكثر من واحدة" مكلف من قبل الله تعالى بما لا يطاق .

## يرد عليه :

إنَّ المقصود من العدالة في قوله تعالى: **{ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا }** غير المقصود من العدالة في قوله تعالى: **{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا }** .

1 - انظر: الإلهيات ، محاضرات: جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمد مكي العاملي: 1/305 . 306 .

الصفحة 286

توضيح :

## أقسام العدالة بين الزوجات :

- 1 . عدالة يمكن مراعاتها ، وهي العدالة في الملبس والمأكل والمسكن وغيرها من حقوق الزوجية التي تقع في دائرة اختيار الإنسان ، وهذه العدالة هي المقصودة في قوله تعالى: **{ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا }** .
- 2 . عدالة لا يمكن مراعاتها، وهي العدالة في إقبال النفس وما يرتبط بالقلب وغيرها من الأمور التي لا تقع في دائرة اختيار الإنسان ، وهذه العدالة هي المقصودة في قوله تعالى: **{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا }** .

## التكليف الإلهي حول مراعاة العدالة بين الزوجات :

إنَّ "المتزوج أكثر من واحدة" مكلف فقط بمراعاة "العدالة" التي يقدر عليها، (وهي العدالة المذكورة في القسم الأول) ، وهو غير مكلف بمراعاة "العدالة" التي لا يقدر عليها (وهي العدالة المذكورة في القسم الثاني) . ولهذا لا يوجد في هاتين الآيتين ما يدل على وقوع التكليف بما لا يطاق .

الصفحة 287

الصفحة 288

## الفصل التاسع

## الثواب والعقاب

معنى الثواب والعقاب

استحقاق الثواب والعقاب

نوام أو انقطاع الثواب والعقاب

التناسب بين الذنوب والعقاب الأخروي

مناقشة رأي الأشاعرة حول الثواب والعقاب

الصفحة 289

الصفحة 290

## المبحث الأول

### معنى الثواب والعقاب

#### معنى الثواب (في اللغة) :

"الثواب" يعني "الرجوع"، ويطلق "الثواب" على أفعال العباد بمعنى ما يرجع إليهم من جزاء أعمالهم . ويستعمل الثواب في الخير والشر، ولكن الأكثر والمتعارف استعماله في الخير <sup>(1)</sup> .

#### تنبيه :

إنّ موضوع الثواب والعقاب موضوع مفصل يرتبط بالمعاد ، ولكننا اقتصرنا في هذا الفصل على ذكر المواضيع المرتبطة بالعدل الإلهي فحسب .

#### معنى الثواب (في الاصطلاح العقائدي) :

الثواب هو النفع المستحق المقولن للتعظيم والإجلال <sup>(2)</sup> .

أي: الثواب عبارة عن أمر نافع يتم الحصول عليه نتيجة الاستحقاق، ويستلمه المستحق بحالة يحيطها التعظيم والإجلال .

1 - انظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (ثوب) .

مفودات ألفاظ القوآن ، الراغب الأصفهاني: مادة (ثوب) .

2 - انظر: الذخيرة، الشريف المرتضى: الكلام في الأفعال، ص276 .

الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث، الفصل الأول ، ص181 .

المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الرابع، ص116 .

كثف المواد ، العلامة الحلّي: المقصد السادس، المسألة الخامسة، ص551 .



### توضيح قيود معنى الثواب (1) :

- 1 . قيد "المستحق": يخرج بهذا القيد "التفضل" ، لأنّ التفضل هو النفع الذي يعطى من دون استحقاق .
- 2 . قيد "المقرن للتعظيم والإجلال": يخرج بهذا القيد "العوض" (2) ، لأنّ العوض هو النفع المستحق الذي يعطى من دون تقلنه بالتعظيم والإجلال .

### من خصائص الثواب الإلهي :

- لا يحسن إعطؤه من دون استحقاق
- إنّ الله تعالى يحسن منه الابتداء بإعطاء النفع لعباده على نحو "التفضل"، ولكن الثواب هو النفع الذي لا يحسن إعطؤه ابتداءً، وإنما يعطى لمن يستحق ذلك .

### الدليل :

- 1 . إنّ الثواب عبارة عن منفعة مقرونة بالتعظيم ، وبما أنّ تعظيم من لا يستحق التعظيم غير حسن، فلهذا لا يحسن إعطاء الثواب الذي هو مقرون بالتعظيم إلاّ لمن يستحق التعظيم ، ولا يحسن إعطؤه ابتداءً لمن لا يستحق ذلك (3) .
- 2 . إنّ الله تعالى جعل "التكليف" هو السبيل للحصول على الثواب ، فلو أمكن الحصول على الثواب من دون تكليف، فإنّ التكليف سيكون عبثاً لا فائدة فيه (4) .

1 - انظر: الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص181 .

2 - العوض عبارة عن: "النفع المستحق الخالي من التعظيم والإجلال" .

للزيدراجع: الفصل الخامس ، من هذا الكتاب .

3 - انظر: كشف العواد، العلامة الحلّي: المقصد السادس، المسألة الخامسة، ص552 .

4 - انظر: شرح جمل العلم والعمل ، الشويف المرتضى: أبواب العدل، باب ما يجب اعتقاده في أبواب العدل، استحقاق

الثواب والمدح بالطاعة ، ص139 .

قواعد العوام، ميثم البهرواني: القاعدة السابعة، الركن الثالث ، البحث الثاني، ص159 .

### معنى العقاب (في اللغة) :

- (1) العقاب هو الخزاء راء فعل السوء ، ويُقال: "عاقبه بذنبه" أي: أخذه به .

## معنى العقاب (في الاصطلاح العقائدي) :

العقاب هو الضرر المستحق المقرون بالاستخفاف والإهانة<sup>(2)</sup> .

أي: العقاب عبء عن أمر ضار يتم الحصول عليه نتيجة الاستحقاق ، ويناله المستحق بحالة يحيطها الاستخفاف والإهانة .

## توضيح قيود معنى العقاب :

1 . قيد "المستحق": يخرج بهذا القيد الضرر المتضمن للمصلحة ، من قبيل الآلام التي يبتلّي الله تعالى بها الإنسان عند

المعرض و ... .

2 . قيد "المقرنة للاستخفاف والإهانة": يخرج بهذا القيد أيضاً الضرر المذكور في القيد السابق<sup>(3)</sup> .

1 - انظر: لسان العرب ، ابن منظور: مادة (عقب) .

2 - راجع المصادر التي ذكرناها قبل قليل في هامش تعريف الثواب اصطلاحاً .

3 - انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص181 .

الصفحة 293

## المبحث الثاني

### استحقاق الثواب والعقاب

#### موجبات استحقاق الثواب<sup>(1)</sup> :

1 . فعل الواجب .

2 . فعل ما له صفة الندب والاستحباب .

3 . الامتناع من فعل القبيح .

#### الفرق بين استحقاق المدح واستحقاق الثواب :

إنّ موجبات استحقاق المدح<sup>(2)</sup> ، هي نفسها موجبات استحقاق الثواب ،

لكن يشترط في<sup>(3)</sup> استحقاق الثواب إطاعة المولى<sup>(4)</sup> .

1 - انظر: شوح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل، باب ما يجب اعتقاده في أبواب العدل ، موجبات

الثواب والشكر ، ص135 .

الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص182 .

المسلك في أصول الدين، المحقق الحلبي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الرابع، ص 116 .  
الوابع الإلهية، مقدار السيوري: اللامع الثاني عشر، القطب الثاني، الفصل الأول ، البحث الأول ، ص 433 .  
2- معنى المدح: قول يبنى عن عظم حال الغير .

انظر: الذخوة، الشريف المرتضى ، الكلام في الأفعال وما يستحق بها وعليها و ... ، ص 276 .  
الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص 180 .  
شروط المدح :

1 . أن يقصد به التعظيم .

2 . أن يكون اللفظ موضوعاً للتعظيم .

3 - أن يكون المادح عالماً بعظم حال الممّوح ، والظن والاعتقاد لا يقوم مقام العلم في هذا المجال ، لأنّ المدح لا يكون  
إلاً مستحقاً، ولا يصح ذلك إلا مع العلم .  
تنبيه :

إنّ المدح يتحقّق عن طريق القول وعن طريق الفعل ، كقيام الإنسان لغوه مع القصد إلى تعظيمه ، ولكن الفعل لا يسمى  
مدحاً حقيقة، وإنما يجوز تسميته مدحاً مجزأً .

انظر: الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص 180 . 181 .

4 - من هذا المنطلق يستحق الله المدح دون الثواب راء فعله للواجب وللندب وتوكله للقبیح .

للتوسّع راجع: الذخوة، الشريف المرتضى: الكلام في الأفعال و ... ، ص 276 .

شرح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل ، باب ما يجب اعتقاده في أبواب العدل، موجبات الثواب والمدح  
، ص 135 .

الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث، الفصل الأول ، ص 182 ، 183 .

الصفحة 294

### استحقاق الثواب :

1 . إنّ الله تعالى وعد المؤمنين أن يعطيهم الثواب راء التّمامهم بتكاليفه ، وخلف الوعد قبیح ، والله تعالى مؤه عن فعل  
القبیح (1) .

2 . إنّ الله تعالى تفضّل على العباد وجعل أعمالهم ملكاً لهم ، ثم جعل ما يثيبهم راء أعمالهم الصالحة أجراً لهم ، وقد قال

تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَن لَهُمِ الْجَنَّةُ } [ التوبة: 111 ] .**

ومن هذا المنطلق تكون الإثابة الإلهية على طاعة العباد من باب "الاستحقاق" دون "التفضّل" (2) .

3 . إنّ العبد يثاب على التّوأمه بالتكاليف الإلهية من باب "الاستحقاق" دون "التفضل" ، ولكنّه لا ينال المغفرة الإلهية لراء الذنوب التي ارتكبها ، ولا ينال المراتب العليا في الجنة إلاّ بفضل الله تعالى ، ولهذا ينبغي للعباد أن يكون أملهم بفضل الله تعالى لا بعدله .

وهذا ما أكّدت عليه أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) منها :

قال الإمام علي (عليه السلام) :

"اللهم احملني على عفوك ، ولا تحملني على عدلك" (3) .

قال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) :

"واحملني بكرمك على التفضّل ، ولا تحملني بعدلك على الاستحقاق" (4) .

- 1- انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني ، الفصل السادس: ص145 . 146 .
- 2 - انظر: بداية المعرف الإلهية، محسن الخوري: ج1، عقيدتنا بالعدل، ص98 .
- 3 - نهج البلاغة ، الشريف الرضي: خطب أمير المؤمنين، رقم 227، ص477 .
- 4 - الصحيفة السجادية الجامعة: دعاء 93 : في طلب الحوائج إلى الله تعالى ، أول الدعاء: اللهم يا منتهى مطلب الحاجات ، ص86 .

الصفحة 295

وهذا ما يثبت "الاستحقاق" ، ولكنه يرشد العبد إلى أن يكون أمله بالفضل الإلهي، لا على ما يستحقه لراء طاعته لله تعالى .

### تأجيل الثواب الإلهي :

إنّ في تأجيل الثواب إلى يوم القيامة . كما وعد الله . فضلا كبيرا منه تعالى على عباده المطيعين ، لأن الثواب الأخرى يفوق الثواب الدنيوي الذي يعتريه النقص .

### (1) موجبات استحقاق العقاب :

1 . فعل القبيح .

2 . الإخلال بالواجب .

### الفرق بين استحقاق الذم واستحقاق العقاب :

إنّ موجبات استحقاق الذم (2) هي نفسها موجبات استحقاق العقاب ، ولكن يشترط في استحقاق العقاب أن يكون فاعل القبيح

أو المخل بالواجب عالماً بأنّ منفعته ومصالحته تكمن في تركه للقبيح وفعله للواجب ، ومع ذلك يقوم بفعل القبيح وترك

(3) الواجب .

- 1 - انظر: شرح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل، موجبات الذم والعقاب: 136 . 137 .  
الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص185 .
- اللوامع الإلهية، مقفاد السيوري: اللامع الثاني عشر، القطب الثاني، الفصل الأول ، البحث الأول، ص433 .
- 2- معنى الذم: قول ينبئ عن اتّضاع حال الغير .  
انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: الكلام في الأفعال وما يستحق بها وعليها و ... ، ص276 .  
الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث: الفصل الأول ، ص181 .  
وأما شروط الذم فهي مثل شروط المدح التي ذكرناها في الهامش قبل قليل .  
أما ما يرتبط بتحققّ الذم عن طريق الفعل ، فالكلام فيه مثل ما ذكرناه في مسألة المدح .  
راجع بداية هذا المبحث في الهامش .
- 3 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب في أحكام العقاب وجهة استحقاقه وتفصيل أحواله ، ص295 .  
الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص189 .  
للتوسّع راجع: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول ، ص189 .  
الذخوة ، الشريف المرتضى: باب في أحكام العقاب وجهة استحقاقه و ... ، ص295 .
- الصفحة 296

### استحقاق العقاب :

- 1 . يشترط في استحقاق العقاب :  
وَأولاً: أن يكون المكلفَ عالماً بقبح القبيح ووجوب الواجب ، أو متمكناً من العلم بذلك .  
ثانياً: أن لا يكون المكلف مجبراً في فعل القبيح والإخلال بالواجب .  
وهناك شروط أخرى تعبدية يمكن التعرف عليها عن طريق مراجعة الكتب الفقهية .
- 2 . إنَّ العقاب . كما يثبت العقل . حقّ الله تعالى ، وله أن يعاقب العصاة كما وعد، وله أن يعفو عنهم من باب التفضل، لأنّ العفو لا يقدر في الوعيد، وخلف الوعيد غير قبيح (1) .  
ولكن العقاب . كما يثبت الشوع . يقتضيه العدل الإلهي، ودليل ذلك : (2)  
وَأولاً: إنَّ معاقبة العاصين من مستلزمات العدل، والعدل لا يسلي بين المطيع والعاصي وبين الويء والمجرم .  
وقد قال تعالى: { أَمْ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ } [ السُّجْدَة: 18 ]  
ثانياً: يستلزم ترك معاقبة العاصين أن يكون التشريع وترتيب الخزاء على العمل لغواً وعبثاً، والله تعالى موزه عن ذلك .

1 - انظر: شرح جمل العلم والعمل، الشريف المونتضى: أبواب العدل ، جواز عفو الله ، ص 144، 145 .

2 - انظر: بداية المعرف الإلهية، محسن الخولي: ج1، عقيدتنا بالعدل، ص 99 .

الصفحة 297

## المبحث الثالث

### (1) نوام أو انقطاع الثواب والعقاب

#### نوام أو انقطاع الثواب :

إنّ الثواب يُستحق دائماً، والدليل على ذلك ما ورد في الشوع والذي أجمعت عليه الأمة بأنّ الثواب يستحق دائماً<sup>(2)</sup> .

#### الطريق إلى معرفة نوام الثواب :

- 1 . إنّ أصل استحقاق الثواب يُعلم بالعقل، ولكن الطريق إلى معرفة نوام الثواب هو الدليل الشوعي نون الدليل العقلي<sup>(3)</sup> ، وذلك لعدم وجود دليل عقلي على نوام الثواب ، وإنّما المصدر الوحيد لمعرفة ذلك هو الشوع فقط<sup>(4)</sup> .
- 2 . لا يصح القول بأنّ من الأدلة العقلية على نوام الثواب هو أنّ المدح يستحق النوام ، وأنّ ما اقتضى نوام المدح هو الذي يقتضي نوام الثواب .

الدليل: لأنّ وجه استحقاق المدح ليس بعينه وجه استحقاق الثواب ، وذلك لأنّ

1 - سنكتفي في هذا المبحث . مراعاة للاختصار . بذكر بعض المصادر في الهامش بصورة موجزة، ويستطيع القارئ مشاهدة هذه المصادر بصورة مفصلة في نهاية المبحث .

2 - انظر: الذخوة: 280 . 281 ، شرح جمل العلم والعمل : 141 . 142 ، الاقتصاد : 184 ، المنقذ من التقليد : 2 / 27 .

3 - ذهب نصير الدين الطوسي في كتابه تجريد الاعتقاد إلى أنّ الطريق إلى معرفة نوام الثواب هو الدليل العقلي، وأيده العلامة الحلّي في كتابه كشف العراد في شوح تجريد الاعتقاد .

انظر: تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: المقصد السادس ، صفات الثواب والعقاب ، ص 302 .

كشف العراد ، العلامة الحلّي: المقصد السادس، المسألة السادسة ، ص 555 . 556 .

4 - انظر: الذخوة: 280 . 281 ، شرح جمل العلم والعمل: 142 .

الصفحة 298

الثواب . كما ذكرنا . يشترط فيه إطاعة المولى نون المدح<sup>(1)</sup> .

3 . لا يصح القول بأنّ من الأدلة العقلية على نوام الثواب هي أنّ الثواب لو لم يكن دائماً لم يكن التّوغيّب واقعا موقعه .

الدليل: لأنّ التّوغيّب يحصل إذا كان في مقابله منافع عظيمة كثوة، وإن لم تبلغ هذه المنافع حدّ النوام<sup>(2)</sup> .

4 . لا يصح القول بأنّ من الأدلة العقلية على نوام الثواب هو أنّ انقطاعه يؤديّ إلى الغم والحسوة، وهذا ما يتنافى مع

الثواب .

الدليل: لأنّ الله تعالى بإمكانه أن يصرف المثابين عن التفكير حول انقطاع ثوابهم ، ويلهيهم بما هم فيه من اللذات

العظيمة<sup>(3)</sup> .

بعبارة أخرى :

إنّ خلوص الثواب من الشوائب لا يعلم إلاّ عن طريق الشوع ، وليس في العقل أية دلالة على ضرورة خلوص الثواب من

الشوائب ، لأنّ الثواب قد يكون عظيماً بحيث يوجب اللذة من دون الالتفات إلى الشوائب الموجودة فيه<sup>(4)</sup> .

### نوام أو انقطاع العقاب :

أجمع المسلمون على أنّ عقاب الكفر دائم، وقد دلّت الأدلة الشرعية بوضوح على ذلك .

وأما المعاصي ما دون الكفر فإنّ عقوبتها تكون . كما ورد في الشوع .

1 - للتوسّع راجع: الذخوة: 281 . 282، الاقتصاد: 184، المسلك في أصول الدين: 118، المنقذ من التقليد : 2/29 .

ووافق مقداد السيوري هذا الرأي.

انظر: لرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: مباحث العدل، هل العلم بنوام الثواب ... ، ص418 .

2 - انظر: شوح جمل العلم والعمل: 143، المسلك في أصول الدين: 118 .

3 - انظر: الذخوة: 285 .

ووافق مقداد السيوري هذا الرأي.

انظر: لرشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، هل العلم بنوام الثواب ... ، ص418 .

4- انظر: الهامش السابق .

الصفحة 299

منقطعة<sup>(1)</sup> .

### دليل انقطاع عقاب المعاصي :

إنّ الثواب . كما علمنا . دائم ، ولا يخفى بأنّ الثواب الدائم لا يجتمع مع العقاب الدائم، فلهذا ينبغي الاذعان بأنّ من يستحق

الثواب لا يكون عقابه دائماً، بل يلزم أن يكون ذلك بصورة منقطعة<sup>(2)</sup> .

### الطريق إلى معرفة نوام وانقطاع العقاب :

1 . إنّ أصل استحقاق العقاب ونوامه أو انقطاعه يُعلم عن طريق الدليل الشرعي دون الدليل العقلي، وذلك لعدم وجود دليل

(3)

عقلي على ذلك ، وإنما مصدر معرفة ذلك هو الشوع فقط .

2 . لا يصح القول بأنّ من الأدلة العقلية على نوام العقاب هو أنّ الذمّ يستحقّ النوام، وأنّ ما اقتضى نوام الذم هو الذي يقتضي نوام العقاب .

الدليل: لأنّ وجه استحقاق الذم ليس بعينه وجه استحقاق العقاب ، لأنّ العقاب فيه شوط . ذكرناه سابقاً . دون الذم<sup>(4)</sup> .

3 . لا يصح القول بأنّ من الأدلة العقلية على نوام العقاب هي أنّ العقاب لو لم يكن دائماً لم يكن أوجر واقعاً موقعه .  
الدليل: لأنّ أوجر يحصل وراء الضرر العظيم وإن لم يبلغ حدّ النوام .

كما أنّ أصل استحقاق العقاب لا يعلم بالعقل ، فكيف يعلم نوامه بالعقل<sup>(5)</sup> .

4 . لا يصح القول بأنّ من الأدلة العقلية على نوام العقاب هو أنّ انقطاعه يؤديّ إلى السرور ، وهذا ما يتنافى مع العقاب .

1 - انظر: شوح جمل العلم والعمل: 142 . 143 ، المسلك في أصول الدين: 119 ، المنقذ من التقليد: 2/27 .

2 - انظر: شوح جمل العلم والعمل: 142 .

3 - انظر: الذخوة: 280 ، الاقتصاد: 189 ، غنية النزوع ، ابن زهرة الحلبي: 2/230 ، المنقذ من التقليد: 2/27 .

4 - انظر: الذخوة: 281 ، شوح جمل العلم والعمل: 143 ، غنية النزوع: 2/230 ، المنقذ من التقليد: 2/29 .

5 - انظر: شوح جمل العلم والعمل: 143 .

الصفحة 300

الدليل: لأنّ الله تعالى بإمكانه أن يصرف المعاقبين عن التفكير حول انقطاع عقابهم ، ويشغلهم بما هم فيه من العذاب

العظيم .

### الخلود في العذاب :

إنّ الخلود في العذاب الأخروي مختص بمن أدت سيئاته إلى انقطاعه الكامل عن الرحمة الإلهية، وذلك لقوله تعالى: { **بلى**

**مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } [البقرة: 81] .

أي: أحاطت به خطيئته بحيث أُجبت زوال أيّة قابلية أو استعداد لنزول الرحمة عليه، وخروجه من النعمة<sup>(1)</sup> .

قال الشيخ الصدوق: "اعتقادنا في النار أنّها ... لا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك ، وأما المذنبون من أهل التوحيد، فإنهم

يخرجون منها بالرحمة التي تتركهم والشفاعة التي تتألمهم"<sup>(2)</sup> .

قال الشيخ المفيد: "اتفقت الإمامية على أنّ الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل

المعرفة بالله تعالى والإقرار بوائضه من أهل الصلاة"<sup>(3)</sup> .

### سبب الخلود في العذاب :

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):



"إِنَّمَا خُلِدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خَلَوْا فِيهَا أَنْ يَعُصُوا اللَّهَ أَبَدًا .<sup>(4)</sup>  
وَإِنَّمَا خُلِدَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يَطِيعُوا اللَّهَ أَبَدًا ."

1 - انظر: الموزان ، العلامة الطباطبائي: ج12 ، تفسير سورة إواهم(عليه السلام) آية 42 . 52 ، كلام في معنى الانتقام ونسبته إليه تعالى ، ص87 .

2- الاعتقادات ، الشيخ الصدوق: باب 29: باب الاعتقاد في الجنة والنار، ص53 .

3 - أوائل المقالات ، الشيخ المفيد: القول في الوعيد، ص46 .

4- الكافي ، الشيخ الكليني: ج2، كتاب الإيمان والكفر، باب النية، ح5، ص85 .

مصادر هذا المبحث بصورة مفصلة :

انظر: الذخيرة ، الشريف المرتضى: فصل في صفات الثواب وأحكامه والكلام في نوامه وانقطاعه ، ص280، 281،

. 285

شرح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: أبواب العدل، باب ما يجب اعتقاده في أبواب العدل، في أنّ نوام الثواب

والعقاب سمعي، ص141، 142، 143 .

الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: القسم الثالث ، الفصل الأول، ص184 .

غنية النزوع ، ابن زهرة الحلبي: ج2، الفصل الأول ، ص228 . 236 .

المسلك في أصول الدين ، المحقق الحلبي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الرابع، ص118 .

المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج2 ، القول في نوام الثواب ونوام العقاب ... ، ص27، 29 .

الصفحة 301

الصفحة 302

## المبحث الرابع

### (1) التناسب بين الذنوب والعقاب الأخروي

قد يستشكل البعض بأن العقوبة الأخروية قاسية من حيث الكمية والكيفية ، وطويلة من حيث المدة بحيث لا يوجد تناسب

بينها وبين مخالفة الإنسان لأوامر ونواهي الله تعالى ، وهذا مما لا ينسجم مع العدل الإلهي .

### جواب هذا الإشكال :

إنّ الإجابة على هذا الإشكال تتطلب بيان أنواع العقوبة التي تنقسم إلى عدة أنواع .

## أنواع العقوبات :

### وَأولاً : العقوبة الاعتبارية (2) :

وهي العقوبة التي تقنّن ، ليكون أؤها الردع عن ارتكاب المخالفة ، وتكون هذه العقوبة من قبيل العقوبات الخوائية المنتشرة في المجتمعات البشرية والموضوعة بواسطة التقنين الإلهي وغير الإلهي .

### فائدة العقوبة الاعتبارية :

الردع عن ارتكاب المخالفة والحيلولة دون تكرارها من قبل صاحب المخالفة أو من قبل غيره .

- 1 - انظر: العدل الإلهي، مرتضى المطهري، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني: الفصل السادس: الخواء الأخروي، ثلاثة أنواع من المكافأة ، ص 255 . 270 .
  - 2 - إنّ المقصود من "الاعتبار" في هذا المقام هو أنّ العلاقة بين المخالفة والعقوبة هنا "جعلية" ، بحيث يتم الاتفاق عليها، وليست العلاقة هنا "واقعية" أو "حقيقية" .
- 
- الصفحة 303

### التناسب بين المخالفة والعقوبة الاعتبارية :

لا يخفى أنّ الضرورة توجب وجود التناسب بين العقوبة الاعتبارية وبين المخالفة ، لأنّ الهدف من هذه العقوبة هو الردع عن ارتكاب المخالفة، وليس الهدف منها التشفّي والانتقام ، ولهذا ينبغي أن واعي المقتنّن لهذا النمط من العقوبة جانب التناسب بين المخالفة والعقوبة .

### تنبيه :

إنّ العقوبة الاعتبارية الراجعة تكون نافعة في الحياة الدنيوية فقط ، وهي غير نافعة في الحياة الأخروية أبداً ، لأنّ الحياة الأخروية ليست دار عمل حتّى يكون المقصود من معاقبة فاعل القبيح أن لا يرتكب القبيح مرةً أخرى .

### ثانياً: العقوبة السببية :

إنّ الله تعالى جعل نظام الأسباب في هذا العالم ، بحيث يكون لبعض الأمور والأسباب أثر وضعي يناله الإنسان عند تخطّيه لحدود هذا النظام .

### مثال :

- 1 . إنّ الله تعالى خلق النار سبباً للإحراق ، والشخص الذي لا يبالي بهذا النظام السببي ويضع يده في النار ، فإنه سيصاب بالأذى، ويكون هذا الأذى عقوبة له راء مخالفته لهذا النظام .
- 2 . إنّ تناول الإنسان للسم يؤدي . وفق نظام الأسباب . إلى تسممه أو موته ، لأنّ التسمم أو الموت أثر وضعي ونتيجة

طبيعية لشرب السمّ ، وكلّ من لا واعي هذا الأمر ، فهو لا ينال سوى عقوبة مخالفته لنظام الأسباب .

### تنبيه :

إنّ القاعدة الأساسية الحاكمة على العقوبة السببية هي العلة والمعلول ، فالنار وشرب السم علةٌ، والاحتراق والتسمم أو الموت معلول لهما، وإذا جاءت العلة التامة فإنّ المعلول يأتي تبعاً لها بصورة قاطعة .

الصفحة 304

### التناسب بين المخالفة والعقوبة السببية :

إنّ العقوبة السببية التي ينالها الإنسان نتيجة تجاوزه لنظام الأسباب ليست عقوبة اعتبلية وقانونية حتّى يقال لا بدّ من مراعاة التناسب بين المخالفة والعقوبة، بل إنّ لهذه العقوبة أثراً وضعياً يعمل وفق نظام الأسباب الذي جعله الله تعالى في هذا العالم .

بعبارة أخرى :

إنّ مسألة التناسب بين المخالفة والعقوبة تتعلّق بالعقوبة الاعتبلية التي تكون فيها العلاقة بين المخالفة والعقوبة علاقة اعتبلية واتفاقية .

وأما إذا كانت العلاقة بين المخالفة والعقوبة علاقة واقعية ، فلا يكون مجال للحديث عن مسألة التناسب بين المخالفة والعقوبة، لأنّ العقوبة فيها تكون نتيجة لازمة للعمل .

مثال :

1 . إنّ من الخطأ أن يقال حول من يشرب السم فيموت: إنّ هذا المسكين قد ارتكب مخالفة لمدة خمس دقائق، فلماذا عوقب بهذا العقاب القاسي الذي أدى إلى موته ؟

2 . إذا قيل لشخص: لا تلق بنفسك من قمة الجبل والإسيكون خراؤك الموت ، فإنه لا يحق له الاعتراض قائلاً: ما هو التناسب بين معاندتي وهذا الخواء الشاق .

3 . إنّ غفلة السائق لحظة واحدة قد تؤديّ به إلى أضرار فادحة تنوم مدة العمر، والعمل هنا يتم فوّة وجزوة ولكن العقوبة تكون دائمية ، ومع هذا لا يصح القول بأنّ العقوبة لماذا لا تناسب المخالفة في هذا المجال ؟

### ثالثاً: العقوبة التكوينية :

ترتبط العقوبة الأخروية بالذنوب ارتباطاً تكوينياً ، وهذا الارتباط أقوى من العقوبة التي ذكرناها في القسم السابق، بحيث لا تكون فيه الصلة بين المخالفة والعقوبة مثل العقوبة الاعتبلية ولا مثل العقوبة السببية، وإنما تكون الصلة بينهما

الصفحة 305

صلة "الاتحاد" .

معنى ذلك :

- إنَّ الثَّوَابَ الَّذِي يَجِدُهُ الْمُحْسِنُ فِي الْآخِرَةِ عِبْرَةٌ عَنِ تَجْسِيمِ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا فِي الدُّنْيَا .  
وإنَّ الْعِقَابَ الَّذِي يَجِدُهُ الْمُسِيءُ فِي الْآخِرَةِ عِبْرَةٌ عَنِ تَجْسِيمِ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ الَّتِي لَتَكْبَهَا فِي الدُّنْيَا .

### الشواهد القرآنية :

- 1 . { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا } [ آل عرّان: ١٠ ]  
[ 30 ]
- 2 . { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [ الكهف: 49 ]
- 3 . { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [ الزّولة: 8 . 6 ]
- 4 . { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا } [ النساء: 10 ] أي: إنَّ الذين يأكلون مال اليتيم ظلماً، فهم . في الواقع . يأكلون نراً، ولكنهم لا يركون هذه الحقيقة في هذه الدنيا، وبمجرد انتقالهم إلى عالم الآخرة سيجدون النار في بطونهم .
- 5 . { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ... } [ الحشر: 18 ] أي: سيحصد الإنسان في الآخرة ما زرعه لنفسه في الدنيا، ولهذا ينبغي أن يكون الإنسان حزواً فيما يقدمه لآخوته .

### النتيجة :

إنَّ الجِزَاءَ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي الْآخِرَةِ تَجْسِيمٌ لِأَعْمَالِهِ الَّتِي قَامَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ النِّعَمَ وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ هُمَا نَفْسُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالسَّيِّئِ الَّذِي قَامَ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا .

الصفحة 306

### تنبيه :

إنَّ القول بتجسيم أعمال الإنسان لا يعني حصر النعيم والعذاب الأخروي في هذا المجال وإنكار جنة ونار منفصلتين عن وجود الإنسان وعمله ، لأنَّ النصوص الدينية تبين بوضوح بأنَّ لكلَّ منَّ الجنة والنار وجودين مستقلين يرد إليهما الإنسان حسب أعماله .

### التناسب بين المخالفة والعقوبة التكوينية :

إنَّ العقوبة التكوينية التي يجدها الإنسان في الآخرة لها علاقة تكوينية بالمخالفة التي ارتكبها في الدنيا، وهذه العقوبة عبرة عن حضور نفس المخالفة يوم القيامة ، فلهذا لا يوجد مجال للبحث حول التناسب وعدمه في هذا النمط من العقوبات التي هي عين المخالفة وتجسيم لها .

## الغرض الإلهي من العقاب الأخروي :

تبيّن مما ذكرناه في مبحث التناسب بين المخالفة والعقاب الأخروي، أن السؤال حول الغرض الإلهي من العقاب الأخروي غير صحيح، لأنّ العذاب الأخروي أثر وضعي للأعمال القبيحة التي ارتكبتها الإنسان في الدنيا، وهو عبء عن حضور نفس العمل القبيح يوم القيامة .

بعبارة أخرى :

إنّ العقوبة الأخروية تجسيم للذنوب والمعاصي التي ارتكبتها الإنسان في الدنيا ، وهذه العقوبة نظير احتراق يد من يضع يده في النار فتحترق ، فكما لا يصح السؤال عن غرض هذا الاحتراق ، فإنّه لا يصح السؤال عن غرض العقاب الأخروي ، وقد قال تعالى: **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }** [العنكبوت: 40].

الصفحة 307

## المبحث الخامس

### مناقشة رأي الأشاعرة حول الثواب والعقاب

رى الأشاعرة بأنّ الثواب والعقاب من أفعال الله عزّ وجلّ ، والله تعالى يفعل بعباده ما يشاء، فإن شاء أثابهم، وإن شاء عاقبهم .

### أقوال بعض علماء أهل السنة :

قال الفضل بن رزبهان: "مذهب الأشاعرة ... أنّه [ تعالى ] لو عذّب عباده بأنواع العذاب من غير صدور الذنب عنهم يجوز له ذلك ... فالعباد كلّهم ملك لله تعالى، وله التصرف فيهم كيف يشاء"<sup>(1)</sup> .

قال القاضي عضد الدين الإيجي: "الثواب فضل وعد به ، فيفي به من غير وجوب"<sup>(2)</sup> .

قال سعد الدين التفتزاني في كتابه شرح المقاصد: "لا يجب على الله تعالى شيء، لا ثواب على الطاعة ولا العقاب على المعصية"<sup>(3)</sup> .

قال أبو حامد الغزالي: "ندّعي أنّ الله تعالى إذا كلّف العباد فأطاعوه، لم يجب عليه الثواب ، بل إن شاء أثابهم، وإن شاء عاقبهم، وإن شاء أعدمهم ولم يحشوهم ، ولا

1- دلائل الصدق ، محمّد حسن المظفر : ج1 ، المسألة 3 ، المبحث 11 ، المطلب 7 ، مناقشة الفضل ، ص422 .

2- المواقف ، عضد الدين الإيجي: ج3، الموقف 6 ، المرصد 2، المقصد 6، ص497 .

ثم علّل المؤلف سبب ضرورة وفائه تعالى بالثواب وإن لم تبلغ هذه الضرورة حدّ الوجوب قائلاً: "لأنّ الخلف في الوعد

نقص، تعالى الله عنه".

3 - شوح المقاصد، سعد الدين التفتلاني: ج5، المقصد 6، الفصل 2، المبحث 9، ص127 .

ولا يخفى أن ما أنكره سعد الدين التفتلاني هو الوجوب، ولكنه ذكر: "إلا أن الخلف في الوعد نقص لا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى ، فيثيب المطيع البتة إنجزاً لو عده ... " شوح المقاصد: 5/126 .

الصفحة 308

يبالي لو غفر لجميع الكافرين وعاقب جميع المؤمنين!"<sup>(1)</sup> .

### يرد عليه :

ناقشنا هذا الرأي في الفصول السابقة، وملخص ما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام :

- 1 . إنَّ الله تعالى يفعل ما يشاء ، ولكن لا يخفى بأنَّ الله تعالى حكيم وعادل، وهو لا يشاء خرافاً وعَبَثاً، وأنما تَكُون مشيئته وفق حكمته وعدله، ولهذا لا يصدر من الله تعالى أي ظلم أو فعل قبيح .
- 2 . إنَّ ملكية الشيء لا تعني امتلاك المالك حق التصرف بها على خلاف مؤزّن الحكمة والعدل .  
ولهذا نجد العقلاء يذمّون من يتلف أمواله بلا سبب عقلائي، مع علمهم بمالكيتته لتلك الأموال .  
والله تعالى على رغم كونه مالكا لكل شيء وقادرا على كل شيء، ولكنه مع ذلك حكيم ، وإن حكّمته تمنعه من فعل القبيح .  
ولهذا قال تعالى: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَوَىٰ بظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مِصْلِحُونَ}** [ هود: 117 ] .

1 - الاقتصاد في الاعتقاد ، أبو حامد الغوالي: القطب الثالث ، الدعوى الخامسة، ص116 .

الصفحة 309



## الفصل العاشر

### اللفظ

معنى اللفظ

أقسام اللفظ

وجوب اللفظ

أثر اللفظ

تنبيهات حول اللفظ

اللفظ والمفسدة

الإشارة إلى اللفظ الإلهي في القرآن الكريم

مناقشة رأي الأشاعرة حول اللفظ الإلهي

### المبحث الأول

#### معنى اللفظ

#### (1) معنى اللفظ (في اللغة)

إنَّ لِلَّظْفِ فِي الصَّعِيدِ اللَّغْوِي عِدَّةً مَعَانِي، مِنْهَا: الرَّفْقُ وَاللِّينُ وَالذَّنْوُ.

فيقال: لطف به، أي: رفق به.

وألطف الله بالعبد، أي: رُفِقَ بِهِ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ مَا يَنْفَعُهُ بِرَفْقٍ، وَوَفَّقَهُ وَعَصَمَهُ، فَهُوَ لَطِيفٌ.

ومن معاني اللفظ في اللغة أيضاً: الدقَّةُ والظرافة، فهو ضدُّ الضخامة والكثافة.

والاسم: اللطافة.

فيقال: لطف الشيء، أي: صغره ودقّه.

ولطف الله بهذا المعنى، أي: دقَّته وظرافته في خلق الأشياء.

معنى اللفظ (في الاصطلاح العقائدي):

اللطف: ما يدعو المكلف إلى فعل الطاعة وترك المعصية بحيث يجعله أقرب إلى امتثال أوامر الله تعالى وأبعد عن ارتكاب نواهيه<sup>(2)</sup>.

- 1 - انظر: أقرب المولد، المصباح المنير، المعجم الوسيط، المنجد في اللغة: مادة (لطف).
  - 2 - انظر: الذخوة، الثويف المرتضى: باب: الكلام في اللطف، ص186.
  - الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الرابع، ص130.
  - المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في اللطف و...، ص297.
  - قواعد العوام، ميثم البوانى: القاعدة الخامسة، الوكن الثالث، ص117.
  - مناهج اليقين، العلامة الحلبي: المنهج السادس، البحث الخامس، ص253.
  - كشف العراد، العلامة الحلبي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص444.
  - رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، تحقيق حول قاعدة اللطف، ص276.
  - الوامع الالهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، النوع الثاني، ص227.
- 
- الصفحة 313

### الشرط الأساس في اللطف (بمعناه العقائدي)

إنّ الشرط الأساس في اللطف: أن لا يبلغ حدّ القهر والإلجاء، بل يكون المكلف مع وجود هذا اللطف مختزلاً في فعل الطاعة وترك المعصية<sup>(1)(2)</sup>.

### دليل ذلك :

إنّ "الاختيار" هو الشرط الأساس للتكليف، وبما أنّ بؤغ اللطف حدّ القهر والإلجاء ينافي الاختيار، فهذا يشترط أن لا يبلغ اللطف حدّاً ينافي الاختيار<sup>(3)</sup>.

### تنبيه :

إنّ الهدف الأساس من اللطف هو:

- 1 . تقوية النواحي إلى فعل الخير.
- 2 . تقوية الصولف عن فعل الشر.

ولهذا يكون اللطف بمثابة :

- 1 . التشجيع على فعل الخير، وإراحة العقبات أمام الإنسان، ليكون أقرب إلى فعل الطاعة.
- 2 . التنفير من فعل الشر، وجعل العقبات أمام الإنسان، ليكون أبعد عن فعل المعصية.



1 - انظر: كتب المنقذ من التقليد، قواعد العوام، مناهج اليقين، لرشاد الطالبين والوامع الإلهية المذكورة في المصدر السابق.

2 - يخرج بهذا القيد "القوة" و"الآلات" المطلوبة لأداء التكليف.

لأنّ المكلف لا يستطيع أداء التكليف من دون "القوة" و"الآلات"، ولكنه يستطيع أداء التكليف من دون "اللفظ". ويعود السبب إلى أنّ "اللفظ" مجرد "تحفيز" و"بعث" وليس له أي أثر في الصعيد الخرجي.

انظر: مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس، المبحث الخامس، ص252.

لرشاد الطالبين، مقداد السيوري، مباحث العدل، تحقيق حول قاعدة اللفظ، ص277.

3 - انظر: كشف العواد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص444.

لرشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، تحقيق حول قاعدة اللفظ، ص277.

الصفحة 314

### الصلة بين "اللفظ" وبين "التوفيق" و"العصمة" (1):

إنّ اللفظ هو ما يبعث ويحفز المكلف على فعل الطاعة ويؤججه عن فعل المعصية: وفي هذه الحالة:

1 . إذا استجاب الإنسان لهذا البعث والتحفيز، واختار فعل الطاعة:

فسيطلق على هذا "اللفظ" اسم "التوفيق".

لأنّ الإنسان استطاع في ظلّ هذا اللفظ أن ينال التوفيق في فعل الطاعة.

2 . إذا استجاب الإنسان لهذا البعث والتحفيز، وتوكّ فعل المعصية:

فسيطلق على هذا "اللفظ" اسم "العصمة".

لأنّ الإنسان استطاع في ظلّ هذا اللفظ أن يعصم نفسه من فعل المعصية.

توضيح ذلك :

1 . يُقال: "وفّق الله فلاناً على فعل الطاعة".

أي: هيأ الله له ما يبعثه ويحوّله على فعل الطاعة، فاستجاب هذا الشخص باختياره لهذا البعث والتحفيز، وانتفع مما هيأ الله

تعالى له من أسباب، حتّى تمكّن بذلك أن يكون فعله موافقاً لطاعة الله تعالى.

2 . يُقال: "عصم الله فلاناً من فعل المعصية".

أي: هيأ الله له ما يبعثه ويحوّله على ترك المعصية، فاستجاب هذا الشخص باختياره لهذا البعث والتحفيز، وانتفع مما هيأ

الله تعالى له من أسباب، حتّى تمكّن بذلك أن يعصم نفسه ويمنعها من فعل المعصية.

- 1 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في اللطف، ص186 .  
المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في اللطف و...، ص306 .  
رشاد الطالبين، العلامة الحلّي: مباحث العدل، تحقيق حول قاعدة اللطف، ص277 .  
الصفحة 315

## المبحث الثاني

### أقسام اللطف

ينقسم اللطف باعتبار فاعله إلى <sup>(1)</sup>:

1 . ما يكون من فعل الله تعالى.

2 . ما يكون من فعل المكلف في حق نفسه.

3 . ما يكون من فعل المكلف في حق غيره.

أمثلة ذلك:

أولاً: أمثلة اللطف الذي يكون من فعل الله تعالى:

- 1 . بعث الأنبياء ونصب الحجج ودعمهم بالمعجز والكرامات وغيرها مما تجعل المكلفين أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية.
- 2 . جعل الشريعة سمحاء بعيدة عن التعقيد أو الغموض.
- 3 . الوعد والوعيد واستخدام أسلوب التوجيه والتوبيخ من أجل إثارة رغبة المكلف إلى فعل الطاعة وإثارة الرهبة راء فعل المعصية.
- 4 . التدخّل الإلهي لإزالة العوائق والحوادث الموجودة في طريق الطاعة وجعل الموانع في طريق المعصية.

- 1 - انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الرابع، ص132.  
المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في اللطف و...، ص304.  
قواعد العوام، ميثم البرواني: القاعدة الخامسة، الركن الثالث، ص118.  
كشف العوام، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص445.  
مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس، البحث الخامس، ص254.  
رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، تحقيق حول قاعدة اللطف، ص276.  
الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، النوع الثاني، ص227.

5 . الألام التي جعلها الله تعالى في بعض الأحيان وسيلة لاستيقاظ الغافلين وعودتهم إلى الإيمان بعد الابتعاد عنه.

الثاني: أمثلة اللطف الذي يكون من فعل المكلف في حق نفسه:

1 . تعلّم الأحكام الشرعية وغوها من الأمور التي يبيّنّها الله تعالى للمكلفين، ليكونوا أقرب إلى امتثال أوامره والانتهاج عن

نواهيه.

2 . توفير الإنسان لنفسه الأرضية والأجواء المناسبة التي تحوّه على فعل الطاعة وترك المعصية.

الثالث: أمثلة اللطف الذي يكون من فعل المكلف في حق غيره:

1 . تبليغ الأنبياء للرسالة الإلهية، وبذلهم المزيد من الجهد من أجل دعوة الناس إلى الهداية وسبيل الحقّ.

2 . قيام بعض الناس بمهمة تلقّي العلوم والمعرف الإلهية من أجل توعية الناس ورفع مستواهم الديني، وهذه المهمة هي

الملقاة على عاتق العلماء والدعاة.

3 . فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي لوجبها الله تعالى على جميع المكلفين، ليكونوا في ظلّها أقرب إلى

فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية.

4 . المباورة إلى أي عمل يؤدّي إلى توفير الأجواء المناسبة لامتنال الأوامر الإلهية والابتعاد عن نواهيه، من قبيل: بناء

الأماكن التي تقوّب العباد إلى الله تعالى ، أو دعم التشريع التي تهيبّء الأرضية لفعل الطاعات وترك المعاصي.

### المبحث الثالث

#### وجوب اللطف

إنّ حكمة الله تعالى وجوده وكرمه تقتضي منه اللطف بالعباد.

#### دليل وجوب اللطف :

إنّ غرض الله تعالى من تكليف العباد هو أن يبلغوا الكمال عن طريق فعل الطاعة وترك المعصية.

فإذا كان هناك شيء يؤدّي فعله إلى:

1 . أن يختار المكلف فعل الطاعة ويتوك فعل المعصية.

2 . أن يكون المكلف أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية.

فإنّ الحكمة الإلهية تقتضي فعل ذلك الشيء.

لأنّ عدم فعله يستلزم نقض الغرض من تكليف العباد.

ونقض الغرض قبيح ومناف للحكمة.

والله تعالى مؤدّ عن ذلك.

فنستنتج بأنّ الحكمة الإلهية تقتضي فعل اللطف <sup>(1)</sup>.

- 
- 1 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في اللطف، ص194.  
شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: حقيقة اللطف ووجوبه، ص107.  
المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الأول، ص102.  
قواعد العوام، ميثم البوانى: القاعدة الخامسة، الركن الثالث، ص118.  
كشف العواد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص444.  
مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس، البحث الخامس، ص253.  
رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، تحقيق حول قاعدة اللطف، ص276 . 288.  
الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، النوع الثاني، ص227.  
الصفحة 318

مثال ذلك:

إذا دعا أحد الأشخاص غيره إلى ضيافته.  
وكان غرض صاحب الدعوة أن يأتي ذلك الشخص المدعو إلى هذه الضيافة.  
وعلم صاحب الدعوة بأنّ المدعو لا يأتيه إلا إذا استعمل معه أسلوباً معيناً.  
فإذا لم يستعمل صاحب الدعوة هذا الأسلوب مع المدعو.  
فإنّه سيكون ناقضاً لغرضه <sup>(1)</sup>.

**تنبيه :**

ذهب الشيخ المفيد إلى أنّ وجوب اللطف على الله تعالى يكون من جهة اقتضاء جوده وكومه.  
وليس هذا الوجوب من جهة اقتضاء عدله تعالى.  
ولهذا فإنّ امتناع الله تعالى عن اللطف لا يكون ظلماً.  
وإنّما يكون منافياً للجود والكرم الإلهي <sup>(2)</sup>.

- 
- 1 - انظر: قواعد العوام، ميثم البوانى: القاعدة الخامسة، الركن الثالث، ص118 .  
كشف العواد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص445 .  
الوامع الإلهية، مقداد السيوري: اللامع التاسع، المقصد الرابع، النوع الثاني، ص227.

## المبحث الرابع

### أثر اللطف

ليس اللطف الإلهي علة تامّة تجبر المكلفين على فعل الطاعة وترك المعصية.

بل اللطف عبارة عن "بعث" و"تحفيز" فقط.

فإذا لم يستجب بعض المكلفين لهذا اللطف.

فإنهم سيعرّضون أنفسهم من هذا اللطف نتيجة لسوء اختيارهم<sup>(1)</sup>.

### تفريعات ذلك :

أولاً: إنّ عدم تأثير اللطف الإلهي على الكافر لا يعني:

"عدم وجود هذا اللطف بنوعية أنّه لو كان لتوك أّوه"

لأنّ اللطف الإلهي مجرد "بعث" و"تحفيز" منه تعالى بحيث يجعل المكلف أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية.

وليس اللطف الإلهي رادة حتمية منه تعالى ليتوك أّوه على المكلف بصورة قهرية.

ثانياً: إنّ عدم تأثير اللطف الإلهي على الكافر لا يعني:

"عجز الله عن هداية الكافر".

لأنّّه تعالى شاء أن يكون الإنسان مختاراً في أفعاله العبادية.

واللطف الإلهي . في الواقع . مجرد "بعث" و"تحفيز" منه تعالى بحيث يكون

1- انظر: مناهج اليقين، العلامة الحلي: المنهج السادس، المبحث الخامس، ص254.

كشف الغرّاد، العلامة الحلي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص446.

الإنسان معه أقرب إلى امتثال أوامر الله تعالى والانتها عن نواهيه.

وليس اللطف الإلهي رادة حتمية وتكوينية منه تعالى ليكون عدم تأثّره دالاً على العجز الإلهي.

ثالثاً: لو كان اللطف الإلهي أمراً يجبر الإنسان على الإيمان ولو كان كافراً، فإن الكفار سيحتجون على الله تعالى بأنهم لم

يؤمنوا لأنّه تعالى حرّمهم من لطفه.

ويكون بذلك للكفار حجة على الله تعالى.

ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما الحجّة البالغة لله تعالى.

واللطف عبارة عن "باعث" و"محفز" فقط.

ويبقى الإنسان هو المسؤول عن أفعاله الاختيارية<sup>(1)</sup>.

---

1 - انظر: مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج3، تفسير آية 165 من سورة النساء ص218.

الصفحة 321

## المبحث الخامس

### تنبيهات حول اللطف

1 . إنَّ الإنسان قد يخطيء في تشخيص اللطف، فيحكم على ما فيه مفسدة بأنه من اللطف، وهو غير ملتفت إلى وجود المفسدة فيه.

ولهذا ينبغي أن لا يحكم الإنسان على شيء بأنه من اللطف إلا بعد بلوغ مرحلة اليقين بانتفاء المفسدة من ذلك الشيء<sup>(1)</sup>.

2 . إنَّ اللطف لا ينحصر تحققه دائماً في فعل معين، بل قد تكون مجموعة أفعال تؤدي كل واحدة منها دور اللطف المطلوب<sup>(2)</sup>.

3 . إنَّ لله تعالى لطفًا لا يمنحه إلا لمن ينتفع منه.

وأما الذين لا ينفعهم هذا النمط من اللطف، ولا يؤدي بهم إلى فعل الطاعة وترك المعصية، فإنه تعالى سيجرمهم من هذا اللطف<sup>(3)</sup>.

بعبارة أخرى:

إنَّ اللطف الإلهي ينقسم إلى قسمين:

وَأولاً: لطف عام

---

1 - انظر: كشف العوائد، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة (12)، ص445.

مناهج اليقين، العلامة الحلّي: المنهج السادس، البحث الخامس، ص253.

2 - انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الرابع، ص133.

3 - ذهب المحقق الحلّي والشيخ سديد الدين الحمصي إلى حرمان الكافر من اللطف بصورة مطلقة، ولكن التقسيم المذكور

لاحقاً أكثر دقة وشمولية .

انظر: المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الأول، ص102.

وهو من قبيل رسال الوصل لهداية الناس.

وهذا اللطف يفعله الله لجميع المكلفين إتماماً للحجة عليهم.

ثانياً: لطف خاص

وهو من قبيل دعم المكلفين بما يجعلهم أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية.

ويكون هذا اللطف للعباد الذين ينتفعون منه، وأمّا الذين لا ينتفعون منه فإنهم هم الذين يجرمون أنفسهم من هذا اللطف، لأنّ

تعالى لو يعلم انتفاعهم من لطفه هذا لفعله بهم .

قال تعالى: **{ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خِيراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ }** [ الأنفال: 23 ].<sup>1</sup>

أي: لو علم الله انتفاع هؤلاء المشركين من اللطف، لألطف عليهم وأسمعهم الجواب عن كلّ ما يسألونه، ولكنه علم بأنهم لا

ينتفعون ولا يفيدهم هذا اللطف، فلماذا أهملهم.

وقال الشيخ الطوسي حول تفسير هذه الآية: "وفي هذا دلالة على أنّ الله تعالى لا يمنع أحداً من المكلفين اللطف، وإنما لا

يلطف لمن يعلم أنّه لا ينتفع به"<sup>(1)</sup>.

ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حول قوله تعالى: **{ تَوَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ }** [ البقرة: 17 ].

قال (عليه السلام): "إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالتوك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر

والضلال، منعهم المعاونة واللطف وخلقى بينهم وبين اختيلهم"<sup>(2)</sup>.

1 - مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج4، تفسير آية 23 من سورة الأنفال، ص 818 .

2 - عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ج1، باب 11، ح 16، ص 113.

## المبحث السادس

### اللطف والمفسدة

إنّ ما يقابل "اللطف" هو "الإفساد".

وتطلق "المفسدة" على ما يدعو المكلف إلى فعل المعصية وتوك الطاعة، بحيث يكون المكلف مع هذه الدعوة أقرب إلى فعل

ما نهى الله تعالى عنه، وأبعد عن امتثال أوامره تعالى<sup>(1)</sup>.

تنبيهات :

1. لا يصح أبداً نسبة الإفساد إلى الله تعالى.
- لأنّ الإفساد في جميع الأحوال قبيح، والله تعالى مزهّ عن فعل القبيح.
2. لا يمكن القول بأنّ الله تعالى بما أنه خلق "الشهوة" في الإنسان، فإنه المسبب في إفساده .  
لأنّ الشهوة بحدّ ذاتها ليست مفسدة.  
وإنّما الإفساد يكمن في طغيانها<sup>(2)</sup> .  
وطغيان الشهوة أمر يرتبط باختيار الإنسان.  
وقد أمر الله تعالى الإنسان بضبط شهواته والسيطرة على زمامها.  
ولهذا لو أدّت الشهوة إلى الإفساد بسبب طغيانها.

- 
- 1 - انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الرابع، ص130.  
المسلك في أصول الدين، المحقّق الحليّ: النظر الثاني، البحث الرابع، المطلب الأوّل، ص101.  
المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1، القول في اللطف و...، ص298.
  - 2 - بعبرة أخرى: إنّ الشهوة بذاتها أمر ضروري للإنسان، وهي التي تدفع الإنسان إلى نيل متطلّباته في الحياة . ولا تعتبر الشهوة مصوراً للإفساد إلّا بعد أن يطلق الإنسان العنان لها ويفسح لها مجال الطغيان وتجاوز الحدّ .

الصفحة 324

- فإنّ الإنسان يكون هو المسؤول عن ذلك، لأنّه هو السبب في طغيانها.  
ولا يصح نسبة هذا الإفساد إلى الله سبحانه وتعالى.
- 3 . إنّ بعض المكلفين . سواء كانوا من الجن والإنس . يسيئون الاستفادة من الاختيار الذي مكنّهم الله تعالى منه، فيختارون سبيل الغي والضلال، ثمّ يصبحون بعد ذلك مصوراً لإفساد الآخرين.  
ومثال ذلك: إبليس والشياطين وغيرهم من الإنس والذين يفعلون ما يقوّب الآخرين إلى فعل المعاصي ويبعدّهم عن فعل الطاعات.

- وينسب "الإفساد" في هذا المقام إلى هؤلاء العصاة، لأنّهم اتجروا نحوه باختيلهم.  
ولا يصح نسبة هذا الإفساد إلى الله تعالى.
- لأنّه تعالى أمر الإنس والجن بفعل ما هو حسن، ونهاهم عن فعل ما هو قبيح، ويكون هؤلاء هم المسؤولون فيما لو اختاروا سبيل الإفساد.

فينسب الإفساد إليهم ولا ينسب إلى الله تعالى أبداً .

- 4 . إنّ الله تعالى لا يفعل الإفساد أبداً، لأنّه حكيم، ولكنه قد يحجب ألطافه عن البعض لواع مختلفة من قبيل معاقبتهم راء



لرتكابهم المعاصي أو نتيجة علمه تعالى بعدم انتفاعهم من اللطف فيما لو منحهم ذلك .

ومن هذا القبيل قوله تعالى:

{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } [ الأعراف: 146 ]

{ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْوَصُونَ }<sup>(2)</sup>

1 - سنبيّن هذا الموضوع بصورة مفصلة في الفصل الثاني عشر: الهداية والإضلال .

2 - ورد بيان معنى هذه الآية في المبحث السابق.

الصفحة 325

[ الأنفال: 23 ].

الصفحة 326

## المبحث السابع

### الإشارة إلى اللطف الإلهي في القوان الكريم

1 . { وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا } [ النور: 21 ].

أي: ولا أطف الله بكم ومعونته لكم، لكنتم أقرب إلى المفسدة، ولكنه تعالى قد أطف بكم وأعانكم من منطلق رحمته بحيث جعلكم أقرب إلى توكية أنفسكم<sup>(1)</sup> .

2 - { وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } [ النساء: 83 ].

أي: ولا الأطف الإلهية بكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا<sup>(2)</sup> .

3 . { وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ اللِّجْوَاءِ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [ المؤمنون: 75 ].

أي: إنا لو كشفنا الضر عنهم لاستمروا في طغيانهم يتوددون، وهذا ما فيه فساد لهم، ولهذا فإننا نلطف بهم ولا نرفع هذا الضر عنهم<sup>(3)</sup> .

4 . { وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سِقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمِمَّا مَرَجَ عَلَيْهَا يظهرون \* }

{ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسِرًّا عَلَيْهَا يَتَكَوَّنُونَ } [ الزخرف: 33 . 34 ].

أي: لو فعل الله ما ذكره لاجتمع الناس على الكفر، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لما

1 - انظر: مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج7، تفسير آية 21 من سورة النور، ص210 .

2- انظر: المصدر السابق: ج3، تفسير آية 83 من سورة النساء، ص126 .

3- انظر: المصدر السابق: ج7، تفسير آية 75 من سورة المؤمنين، ص181 .

الصفحة 327

فيه من المفسدة، بل يفعل الله ما فيه اللطف للعباد حفاظاً عليهم من الانحراف في أودية الكفر والضلال<sup>(1)</sup> .

1- انظر: مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج9 ، تفسير آية 43 و 44 من سورة الزخرف، ص72 .

الصفحة 328

## المبحث الثامن

### مناقشة رأي الأشاعرة حول اللطف الإلهي

يعتقد الأشاعرة بأنَّ الله تعالى هو الذي يخلق أفعال العباد سواء كانت هذه الأفعال طاعة أو معصية، ويذهب هؤلاء إلى "أنَّ أفعال العباد الاختيارية واقعة بقوة الله تعالى وحده"<sup>(1)</sup> .

ومن هذا المنطلق عوّف الأشاعرة اللطف بأنه عبلة عن عدم خلق الله قوة فعل المعصية في العبد.

ومن هنا لا يعصي الشخص الذي يشملته اللطف الإلهي "إذ لا قوة له على المعصية"<sup>(2)</sup> .

وعوّف بعض الأشاعرة اللطف بأنه يعني: أن لا يخلق الله تعالى الذنب في العبد<sup>(3)</sup> .

### يرد عليه :

يستلزم هذا الوأي القول بالجبر، لأنَّ من لا يمتلك القوة على فعل المعصية يكون مجبوراً على عدم فعلها.

ويترتب عليه عدم استحقاق الإنسان الثواب بتركه للمعصية، لأنه كيف يستحق الثواب على تركه للمعصية وهو لا يمتلك

القوة على فعلها. وإنما يكون الثواب لمن يمتلك القوة على فعل المعصية، ولكنه يتركها باختياله، فيكون مستحقاً للثواب

1- المواقف، عضدالدين الايجي، ج3، الموقف 5، المرصد 6، المقصد 1، ص208 .

2- شرح المقاصد، سعدالدين التفتلاني: ج4، المقصد 5، الفصل 6، المبحث 2، ص312 . 313 .

3- انظر: المصدر السابق.

الصفحة 329

رأه هذا الاختيار<sup>(1)</sup> .

1 - للزيدراجع في هذا الكتاب: الفصل السابع: الجبر والتفويض .

## الفصل الحادي عشر

### الأصلح

معنى الأصلح

وجوب فعل الأصلح

الأصلح في خلق العالم

### المبحث الأول

#### معنى الأصلح

**معنى الأصلح (في اللغة) :**

الأصلح عبوة عن أفعال تفضيل "الصلاح".

والصلاح ضدّ الفساد.

قال تعالى: **﴿وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** [الأعراف: 85].

والمصلحة: "ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه أو نفع قومه"<sup>(1)</sup>.

**معنى الأصلح (في الاصطلاح العقائدي):**

يظهر من المتكلمين: أنّ "المصلحة" عندهم تسلوى "المنفعة".

قال السيّد المرتضى: الصلاح عبوة عن النفع... ويقال عند التّوايد "أصلح" كما يقال "أنفع"<sup>(2)</sup>.

وقال أيضاً: "الأصلح في باب الدنيا هو فعل المنافع واللذات الخالية من وجه قبح"<sup>(3)</sup>.

1 - انظر: مفردات القوّان، الراغب الاصفهاني: باب: صلح.

المنجد: مادة (صلح).

2 - الذخوة، السيّد المرتضى: باب الكلام في الأصلح، ص199.

3 - شرح جمل العلم والعمل، السيّد المرتضى: لا يجب عليه تعالى الأصلح في أمر الدنيا، ص109.

## المبحث الثاني

### وجوب<sup>(1)</sup> فعل الأصلاح

إنّ الأصلاح ينقسم إلى قسمين<sup>(2)</sup> :

1 . الأصلاح في الدين: ومصالح الدين هي "الألطف" .

ولا إشكال في أنّ الله تعالى حكيم ، وهو يفعل دائماً ما هو الأصلاح بالعباد في أمور دينهم. وقد بينا "اللطيف الإلهي" في الفصل السابق.

2 . الأصلاح في الدنيا: ومصالح الدنيا هي الأمور التي ينتفع بها الأحياء بشروط أن لا تكون هذه الأمور قبيحة<sup>(3)</sup> ، ووجوب فعله تعالى لهذا المعنى من "الأصلاح" هو الذي وقع النزاع حوله بين العلماء .

### الآراء حول وجوب أو عدم وجوب فعله تعالى للأصلاح :

1 . عدم الوجوب .

2 . الوجوب .

والأى الأوّل: عدم وجوب فعله تعالى للأصلاح (أي: لا يجب على الله تعالى في الدنيا أن يفعل بالعباد ما هو أنفع لهم في دنياهم).

### أدلة ذلك :

1 - نوّكّد مرّة أخرى بأنّ الوجوب على الله تعالى لا يعني أنه تعالى مكلف بأن يفعل كذا وكذا، بل معناه أن عدم فعله تعالى لكذا وكذا لا ينسجم مع صفاته الكمالية.

انظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج59 ، كتاب السماء والعلم، باب 24: عصمة الملائكة...، ص310.

2- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج1 ، القول في اللطف والمصلحة والمفسدة، ص298.

3 - قال السيّد المرتضى: "لا يحسن فعل ذلك [ أي: فعل] الأصلاح إلّا مع التويّي من المفساد".

الذخيرة، السيّد المرتضى: باب الكلام في الأصلاح، ص205.

وجوب الأصلح يستلزم المحال.

توضيح ذلك :

ما من أصلح (أي: أنفع للعباد) إلا وهناك فعل أصلح منه، وهو مع ذلك خال عن المفسدة.  
فلو كان الأصلح واجباً لوجب على الله تعالى أن يقوم بأفعال غير متناهية، وكلها أصلح، وهذا محال .  
ولهذا ينبغي القول بعدم وجوب فعل الأصلح على الله تعالى مطلقاً<sup>(1)</sup> .

**يلاحظ عليه :**

- 1 . إنَّ البحث حول الأصلح يشمل المنافع التي يمكن وقوعها، وأمّا المحال فهو خرج عن البحث.  
قال العلامة الحلبي: "إنَّ الفعل إنما يجب على الله تعالى من حيث الحكمة، إذا كان ممكناً، أمّا إذا كان ممتنعاً فلا، وما لا يتناهى يستحيلُ إيجادُه"<sup>(2)</sup> .
- 2 . إنَّ الأصلح مرتبة واحدة، ولهذا فإنَّ الزيادة التي يتصورها البعض ليست داخلية في داوئة الأصلح، بل هي خرجة عنه، ولهذا لا يتجه الوجوب إليها، فتكون هذه الزيادة خرجة عن البحث.  
قال نصير الدين الطوسي: " لا يقال: فأبى مرتبة فُضت، أمكن الزيادة عليها، ويدخل بذلك تحت ما لا نهاية له .  
لأنَّ نقول: نمنع كونه أصلح، لأننا فرضنا الأصلح مرتبة، فالرائد ليس أصلح"<sup>(3)</sup> .

- 
- 1 - انظر: الذخيرة، السيد المرتضى: باب الكلام في الأصلح، ص 201 . 202 .  
شوح جمل العلم والعمل، السيد المرتضى: لا يجب عليه تعالى الأصلح في أمر الدنيا، ص 109 . 110 .  
الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الخامس، ص 140 .  
غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ج 2، لا يجب عليه تعالى الأصلح في أمر الدنيا، ص 110 .
  - 2- مناهج اليقين، العلامة الحلبي: المنهج السادس، البحث العاشر، ص 262 .
  - 3 - كشف الفوائد، نصير الدين الطوسي: الباب الثالث، الفصل الأول، وجوب الأصلح، ص 253 .

الصفحة 335

**الدليل الثاني على عدم وجوب فعله تعالى للأصلح :**

لو كان الأصلح واجباً لم يستحق الله الشكر منّا على ما يفعله بنا من الإحسان والإنعام، لأنّ الذي يقوم بفعل يجب عليه، فإنّه لا يستحق الشكر، وإنما الشكر يكون للمتفضل الذي له أن يفعل وله أن لا يفعل<sup>(1)</sup> .

**يلاحظ عليه :**

- 1 . إنَّ "الوجوب" الذي يتنافى مع استحقاق الشكر هو "الوجوب" بمعنى "الاضطرار" و"عدم الاختيار"، ولكن المقصود من

"الوجوب" هنا غير هذا المعنى، وإنما المقصود من الوجوب هنا أن العدل والحكمة الإلهية تقتضي أن يفعل الله تعالى كذا، لأن تركه لهذا الفعل يؤدي إلى الإخلال بعدله وحكمته ويوجب اتصافه تعالى بأوصاف يتزوّ عنها<sup>(2)</sup>.

2. إن شكونا لله تعالى راء فعل الأصلح يكون من قبيل شكونا له تعالى راء إعطائه "الثواب" و"العوض".

و"إعطاء الثواب" و"إعطاء العوض" أمران يجبان على الله تعالى بمقتضى عدله وحكمته.

ولكننا . مع ذلك . نشكر الله تعالى راءهما.

ولكن لا يكون شكونا له تعالى راء ما يجب عليه تعالى.

وإنما يكون شكونا له تعالى راء ما تفضل به علينا.

وتفضله تعالى في هذا المقام أنه خلقنا ومنحنا العقل وكلفنا وأوجد فينا الأسباب التي تجعلنا ممن يشملهم "الثواب" و"العوض"

الإلهي.

وكان بإمكانه تعالى أن لا يخلقنا أو لا يمنحنا العقل، فنكون ممن لا يشملهم

1 - انظر: الذخوة، الشريف المرتضى: باب الكلام في الأصلح، ص 207.

الاقتصاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني، الفصل الخامس، ص 142.

غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي: ج 2، لا يجب عليه تعالى الأصلح في أمر الدنيا، ص 109.

2 - انظر: الواهين القاطعة، محمد جعفر الاسترآبادي: ج 2، المقصد 3، الفصل 3، المقام 5، ص 455.

الصفحة 336

"الثواب" و"العوض" الإلهي.

ولكنه تعالى خلقنا ومنحنا العقل من باب التفضل، وبذلك أصبحنا ممن يقتضي عدله أن لا يظلمنا.

فيكون شكونا لله تعالى راء هذا التفضل.

وتعتبر مسألة الشكر راء فعل الأصلح أيضاً من هذا القبيل<sup>(1)</sup>.

**الدليل الثالث على عدم وجوب فعله تعالى للأصلح :**

لو كان فعل الأصلح واجباً لم يكن للدعاء أية فائدة.

لأنه إذا كان كل ما يفعله الله تعالى هو الأصلح الذي يجب أن يفعله، فعندئذ لا يمكن تغيير هذا الواجب، فينتفي دور

الدعاء.

ولكن بما أن للدعاء بوراً، فلهذا نستنتج بأنه تعالى لا يجب عليه فعل الأصلح.

**يلاحظ عليه :**

لا يوجب هذا الاستدلال نفي فعله تعالى للأصلح، لأن الله تعالى يفعل بالعباد ما هو أصلح لهم وفق ما تقتضيه الحكمة، وقد

اقتضت حكمته تعالى أن يجعل للعباد بعض "الأسباب" التي يحصلون بها على المزيد من المنافع، ومن هذه الأسباب "الدعاء".

فالأصلح في هذا المقام للعباد أن تتاح لهم الفرصة ليصلوا إلى منافعهم عن طريق تمسكهم بالأسباب.  
فمن يتمسك بهذه الأسباب، فإنه يصل إلى المنافع إن شاء الله تعالى.  
ومن لا يتمسك بهذه الأسباب، فإنه يحرم نفسه بنفسه من هذه المنافع.

### الرأي الثاني: وجوب فعله تعالى للأصلح (2) :

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : "إن الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلا "

1 - انظر: إثراق اللاهوت، عميد الدين العبيدي: المقصد الحادي عشر، المسألة الخامسة: ص 397.

2 - أي: وجوب فعله تعالى الأنفع للعباد في الدنيا .

الصفحة 337

الأصلح لهم" (1) .

### تنبيه مهم :

ينبغي الالتفات في هذا الصعيد إلى حقيقة مهمة وهي:

إن الأصلح في الدنيا لا يكون دائماً في مطلق إيصال الشيء النافع للعباد.

بل قد يكون الأصلح للعباد في الدنيا حرمانه من المنافع الدنيوية .

لأن المنافع الدنيوية ليست بنفسها ملاكاً عند الله تعالى في تعامله مع العباد.

وإنما الملاك عند الله تعالى هو المنافع الأخروية للعباد.

وعلى ضوء هذا الملاك يتعامل الله تعالى مع العباد في إيصال الأنفع إليهم.

### ورد في الحديث الشريف :

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جرير، عن النبي، عن الله عز وجل، قال: "قال الله تبارك وتعالى:

إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك.

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنَى ، ولو أفقرته لأفسده ذلك.

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو صححت جسمه لأفسده ذلك.

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك.

إني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم، فإني عليم خبير" (2) .

قال الشيخ المفيد:

"إنَّ اللهَ تعالى لا يفعل بعباده ما داموا مكلفين إلاَّ أصْلح الأشياء لهم في دينهم ودنياهم، وأنه لا يدخوهم صلاحاً ولا نفعاً، وأنَّ من أغناه فقد فعل به الأصْلح في التدبير، وكذلك من أفوه ومن أصحّه ومن أمرضه فالقول فيه كذلك"<sup>(3)</sup>.

- 1 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 62: باب أن الله تعالى لا يفعل بعباده إلاَّ الأصْلح لهم، ح9، ص392.
- 2 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 62، ح1، ص388.
- 3 - وائل المقالات، الشيخ المفيد: القول 28: القول في اللطف والأصْلح، ص59.

الصفحة 338

الصفحة 339

### المبحث الثالث

#### الأصْلح في خلق العالم

إنَّ كيفية نظام الوجود وقوانين الكون هي الأفضل والأكثر إنقائاً حسب ما اقتضته الحكمة والرحمة الإلهية، بحيث لا يمكن تصوّر أحسن منه في تنظيم عالم الإمكان مع لحاظ الأهداف المطلوبة.

#### الأدلة المثبتة للنظام الأحسن :

- 1 . إنَّ اللهَ تعالى حكيم، ولا يفعل إلاَّ الأفضل والأحسن حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.
- 2 . إنَّ اللهَ تعالى عالم بجميع جهات حسن وقبح الأفعال، والحكيم يختار دائماً ما هو الأحسن والأكمل .
- 3 . إنَّ اللهَ تعالى غني عن العالمين، وهو في منتهى الجود والكرم والعطاء، ولا يوجد ما يمنع اللهَ من إيجاد الأحسن حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

الصفحة 340

الصفحة 341

#### الفصل الثاني عشر

### الهداية والإضلال

معنى الهداية

الهداية الإلهية العامة

الهداية الإلهية الخاصة



## المبحث الأول

### معنى الهداية

#### معنى الهداية (في اللغة) :

(1) الهداية: الدلالة والإرشاد وبيان الطريق .

#### معنى الهداية (في الاصطلاح العقائدي) :

إنَّ للهداية . في داوَّة الاصطلاح العقائدي . العديد من المعاني التي سنذكرها خلال البحث مع بيان المعاني التي تصح نسبتها إلى الله تعالى والمعاني التي لا تصح نسبتها إليه تعالى .

1 - انظر: لسان العرب ، ابن منظور : مادة (هَدَي) .

## المبحث الثاني

### الهداية الإلهية العامة

#### أقسام الهداية الإلهية :

1 . الهداية الإلهية العامة .

2 . الهداية الإلهية الخاصة .

#### خصائص الهداية الإلهية العامة :

- 1 . تشمل الهداية الإلهية العامة كلَّ الموجودات ، وتعمَّ جميع الكائنات من دون تبييض أو تمييز .
- 2 . تتجسّد الهداية الإلهية العامة لكلّ موجود بما يتناسب ويتلاءم مع الغاية التي من أجلها خلقه الله تعالى .

#### أقسام الهداية الإلهية العامة :

1 . الهداية التكوينية .

### الهداية التكوينية :

أودع الله تعالى في ذات كلّ موجود ما يهديه إلى الغاية التي خلقه من أجلها ، وتسمّى هذه الهداية بالهداية التكوينية<sup>(1)</sup> .

1 - انظر : مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني: ج6، يبحث عن أسمائه وصفاته سبحانه، ص 501 .

الصفحة 345

### خصائص الهداية التكوينية<sup>(1)</sup> :

- 1 . تتم الهداية التكوينية عن طريق القوى التي يخلقها الله تعالى في كلّ موجود لتهديه إلى الغايات التي خلق لأجلها .
- 2 . تتحقّق الهداية التكوينية في كلّ موجود بصورة خاصة تتناسب وتتسجم مع ذلك الموجود .

### بعض الآيات القرآنية الدالة على الهداية التكوينية :

- 1 . { رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ } [ طه: 50 ]
- 2 . { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ \* الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ } [ الأعلى: 1 - 3 ] أي: كلّ ما يخلقه الله تعالى إنّما يخلقه بتقدير خاص تتبعه الهداية التكوينية العامة .

### أمثلة الهداية التكوينية :

### وَأولاً . الهداية التكوينية في الإنسان :

خلق الله تعالى الإنسان مختلراً ليصل عن طريق عبادته لله تعالى<sup>(2)</sup> وكدحه في سبيل الله عزّ وجلّ<sup>(3)</sup> إلى ما يستحقّ به الرحمة الإلهية<sup>(4)</sup> فيبلغ بذلك أعلى درجات الكمال من خلال توبّبه إلى الله تعالى .  
وقد أعدّ الله تعالى للإنسان كلّ ما يحتاجه في هذا السبيل من أجل وصوله إلى الغاية التي خلقه لأجلها، وهذا ما يسمّى بالهداية الإلهية التكوينية العامة للإنسان.  
قال تعالى:

{ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [ الشمس: 7 . 8 ]

{ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } [ البلد: 8 . 9 ]

1- المصدر السابق .

2 - قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) . [ الدُّرِّيَّات: 56 ]

3 - قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأَقِيهِ) . [ الإنشِقَاق: 6 ]

### نماذج من قوى الهداية التكوينية في الإنسان :

إنّ من القوى التي خلقها الله تعالى في الإنسان ليهتدي بها إلى غاية خلقه :

1 . قوى نمو النطفة والجسم :

جعل الله تعالى في النطفة قوى تهديها وترشدها عند توفر الشروط المطلوبة إلى النمو بصورة صحيحة من أجل تكوين

الإنسان بالشكل المطلوب . كما أنّ جسم الإنسان مليء بالأجهزة التي تهديه إلى حفظ حالة التوازن فيه .

2 . العقل :

إنّ العقل هو الجهاز الذي يرشد الإنسان إلى الخير والصلاح ، وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود هذه الهداية العامة في

جميع المكلفين ، وحثّ البري عزّ وجلّ الإنسان على التعقل والتفكير والتدبر ليبتنع من هذه الهداية العامة في حياته .

ملاحظة :

إنّ الذين يهملون عقولهم ولا ينتفعون بها عن طريق التفكير والتدبر والتأمل ، فإنهم . في الواقع . يحرمون أنفسهم من هذه

الهداية الإلهية العامة، وإنهم سيتحملون بأنفسهم مسؤولية عدم انتفاعهم من هذه الهداية <sup>(1)</sup> .

3 . الفطرة :

جعل الله تعالى الذات البشرية بصورة تنسجم مع التشريعات الإلهية . وعرف الله تعالى النفس البشرية طريق الفجر

وطريق التقوى ، بحيث جعلها قارة على التمييز بين الخير والشر بصورة فطرية . وهذا ما يعدّ من أنواع الهداية التكوينية

الإلهية للعباد .

قال تعالى :

{ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } [ الرّوم: 30 ]

1 - انظر: مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني: ج6، يبحث عن أسمائه وصفاته سبحانه، ص502 .

{ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [ الشمس: 7 . 8 ]

تنبيه :

إنّ الفطرة عامة عند جميع الناس ، ولكنها ربمّا تضعف أو يزول تأثيرها بسبب إغراض الإنسان عنها وتلبسه بصفات

سلبية تمنعه من إجابة ندائها، كالهوى والشهوات والغفلة والجهل والتعصّب والعناد واللجاج وما يشبه ذلك <sup>(1)</sup> .

## ثانياً: الهداية التكوينية في الحيوانات :

خلق الله تعالى الحيوانات لغايات معينة، ثم هدى كل صنف منها إلى نظام وجودها وحياتها الطبيعية لتحقيق الغاية التي خلقت من أجلها .

وقد سمى الله تعالى هذه الهداية التكوينية في بعض المورثات باسم "الوحي" فقال تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشُّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ \* ثُمَّ كَلَّمَتْهُم مِّن كُلِّ ثَمَرٍ أَتَتْهُنَّ وَأَسْلَمْنَ سُبُلًا

رَبِّكَ ذَلَّلًا يُخْرَجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68، 69]

وهذه الهداية عامة لجميع أفراد النحل بلا استثناء .

## نماذج من الهداية التكوينية في الحيوانات :

إنَّ الله تعالى هدى الحيوان إلى توفير أسباب العيش لنفسه ، من قبيل: الأكل والشرب، والبحث عن القوت ، والبناء أو البحث عن مأوى لنفسه ، والهروب من كل ما يضره أو يؤلمه ، والاتجاه نحو كل ما يحفظ له وجوده ويحقق له غاية حياته .

## ثالثاً: الهداية التكوينية في النباتات :

جهّز الله تعالى النباتات بقوى تهديها إلى كمالها المطلوب .

مثال :

1 - انظر: حديث حول الجبر والتفويض ، عبد الله الموسوي البحراني: مفهوم الجبر والاختيار ، ص 37 .

الصفحة 348

جهّز الله تعالى الحبة بأدق القوى التي تدفعها عند توفر الظروف الخاصة إلى الإزدهار، فالحبة عندما توضع تحت التراب

، وتتوفر لها شروط النمو، وتعاها هذه القوى الكامنة فيها للانتفاع من العوامل الخرجية كالماء والنور إلى أن تصبح شجرة

(1)

ثمرة .

## رابعاً: الهداية التكوينية في الجمادات :

جهّز الله تعالى كل نورة من الجمادات بأجهزة تسرّها وفق قانون طبيعي منظم يمنحها التماسك والتفاعل مع المؤثرات

الخرجية.

## الهداية التشريعية :

إنَّ الهداية التشريعية عبارة عن إرشاد الله العباد إلى الحق (2) عن طريق رسال الوسل والأنبياء وإزال الكتب السماوية،

ليتعرّف كل إنسان على ربه وعلى كيفية عبادته وعلى المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يتبعه في هذه الحياة ليصل به إلى

الكمال المنشود .

## خصائص الهداية التشريعية :

- 1 . تكون الهداية التشريعية من قبيل "إراءة الطريق"، ويقوم الأنبياء بهذه الهداية عن طريق إرشاد الناس إلى التشريعات الإلهية وإيضاح سبيل الخير والسعادة لهم وتحذوهم من سلوك سبيل الشر والغواية .
- 2 . تشمل الهداية التشريعية جميع المكلفين<sup>(3)</sup> ، وهي لا تختص بفرد أو جماعة دون غيرها، ولا بطائفة دون طائفة، ولا بجيل دون جيل ، بل هي عامة شاملة، ويكون بوسع كل إنسان أن يهتدي بهداها .
- 3 . إنّ عمومية الهداية التشريعية لكل مكلف تنفي الجبر وتثبت الاختيار في الإنسان؛ لأنّها تبين بأن كل إنسان مختار في الاهتداء بهداية الأنبياء والرسل والكتب السماوية ، وهو غير مجبور في هذا السبيل، وله أن يهتدي أو يضل وفق

1- انظر: الانصاف ، جعفر السبحاني: 3/84 .

2- انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب7، ص171 .

3- انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب7، ص171 .

الصفحة 349

إرادته واختياله .

- 4 . تعتبر الهداية التشريعية من شروط ومستلزمات التكليف ، بحيث لا يصح التكليف من دونها ، لأنّ الإنسان غير قادر على طاعة الله تعالى ما لم يهديه الله تعالى ويرشده إلى المنهج الديني الذي ينبغي السير على ضوئه .

## بعض الآيات القرآنية الدالة على الهداية التشريعية :

- 1 . {رُسُلًا مَّبْشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَّاسٍ يَكُونُ لِنَّاسٍ عَلَى اللَّهِ حِجَابٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165] ُ
- 2 . {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [الأنبياء: 73]
- 3 . {هُوَ الَّذِي رَسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ} [الفتح: 28]
- 4 . {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]
- 5 . {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ} [فصلت: 17]
- 6 . {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ} [النجم: 23]
- 7 . {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9]
- 8 . {... الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: 185]

الصفحة 350

## الهداية الإلهية الخاصة

إنَّ الهداية الإلهية الخاصة عبارة عن التوفيق والمعونة والتسديد الإلهي للعباد ومنحهم المزيد من الثبات في طريق الحقّ .

### مستحيي الهداية الإلهية الخاصة :

إنَّ الهداية الإلهية الخاصة تكون وفق مشيئته تعالى ، وإنَّ الله تعالى يهدي من يشاء بهدايته الخاصة .

ولهذا ورد في القرآن الكريم :

1 . { ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ } [ الأُمُر : 23 ]

2 . { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [ الفُصَصُ : 56 ]

3 . { وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [ البقرة : 213 ]

ولكن لا يخفى بأنَّ الله تعالى حكيم، وهو لا يشاء خرفاً أو عبثاً، وإنما تكون مشيئته وفق حكمته وعدله، وقد بين الله عزّ

وجلّ في القرآن الكريم موزين مشيئته تعالى في هداية العباد بهدايته الخاصة .

### موازن المشيئة الإلهية في هداية عباده بالهداية الخاصة :

ولألاّ الإيمان بالله والعمل الصالح (الانتفاع من الهداية التكوينية كالعقل والفتوة واتباع الهداية التشريعية) ، ولهذا قال تعالى

:

1 . { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } [ يونس : 9 ]

2 . { إِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [ الحج : 54 ]

الصفحة 351

3 . { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } [ التَّعَابُن : 11 ]

4 . { وَالَّذِينَ اهْتَوَوْا زَادَهُمْ هُدًى } [ مُحَمَّد : 17 ]

5 . { إِنَّهُمْ فَتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبُّنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } [ الكهف : 13 . 14 ]

6 . { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى } [ طه : 123 ]

7 . { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ... } [ المائدة : 15 . 16 ]

ثانياً . المجاهدة في سبيل الله

قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ سَبِيلَنَا } [ العنكبوت : 69 ]

أي: إنَّ الذين يجاهدون أهواءهم النفسية في سبيل الله تعالى، ويقفون بصلاية أمام التليرات المعاكسة للحق ، فإنَّ الله تعالى

وعددهم بالهداية الخاصة .

ثالثاً . الإنابة

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ ... وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ } [ الوعد : 27 ]

وقال تعالى: **{ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَنِيْبُ }** [ الشورى: 13 ]

أي: إنّ من ينيب إلى الله تعالى ورجع إليه ويقبل عليه ، فإن الله تعالى يهديه بهدايته الخاصة، فعلق الله تعالى الهداية على من اتّصف بالإنابة والتوجه إليه سبحانه وتعالى .

### النتيجة :

تكون الهداية الإلهية الخاصة فقط للذين يجاهدون ليستضيئوا بنور الهداية التكوينية والتشريعية العامة، فهؤلاء هم المستحقون لهذه الهداية ، وهم الذين تشملهم العناية الربانية، فتعينهم في سوره على جادة الصواب، وتسدّد خطاهم في اتّباعهم للحق، وتثبت أقدامهم على الصراط المستقيم .

الصفحة 352

### الآيات القرآنية الدالة على عدم مشيئة الله إجبار العباد على الهداية :

1 . **{ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا }** [ السجدة: 13 ]

2 . **{ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }** [ النحل: 9 ]

3 . **{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ }** [ الأنعام: 35 ]

4 . **{ وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ النَّاسَ حَتَّى يُكُونُوا مُؤْمِنِينَ }** [ يونس: 99 ]

5 . **{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا }** [ الأنعام: 107 ]

تبيّن هذه الآيات بأنّ الله تعالى قادر على سلب اختيار الإنسان وإجباره على الهداية، ولو كان كذلك لآمن واهتدى كل من في الأرض ، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك ، وإنّما شاء أن يجعل الإنسان مختاراً في سلوكه سبيل الهداية أو الضلال ، لأن قيمة الهداية تكمن في كونها مستندة إلى الاختيار لا إلى الجبر .

### الرد الإلهي على المشركين الذين نسوا شركهم إلى مشيئة الله تعالى:

قال تعالى :

1 . **{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاهُوا }**

**بِأَسْتَأْذِنُ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }** [ الأنعام: 148 ]

2 . **{ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ }**

**فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَهْلَ غَالِي الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغَ الْمَبِينِ }** [ النحل: 35 ]

### توضيح :

إدعاء المشركين: شاء الله تعالى لنا الإثراك به وشاء لنا عبادة غيره .  
استنتاج المشركين: لذلك أشركنا بالله في الصعيد العقائدي والعبادي .





احتجاج المشركين: { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا } ، { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عْبَدْنَا مِنْ دُونِهِ }

### الموقف الإلهي لراء هؤلاء المشركين :

- 1 . كَذَّبَهُمَ اللَّهُ فِي هَذَا الْإِدْعَاءِ وَالْإِحْتِجَاجِ ، وَقَالَ تَعَالَى: { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } .
  - 2 . أُوْعِدُهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ ، فَقَالَ تَعَالَى: { حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا } بسبب هذا الكذب الذي كَذَّبَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .
  - 3 . طَالِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْأَدْلِيلِ عَلَى مَا ادَّعَوْهُ ، فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): { قُلْ هَلْ عِنْدِكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } .
- أي: إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ دَلِيلٌ أَوْ وَهَانُ فَاخْرُجُوهُ ، وَلَكُمْ فِي الْوَاقِعِ . لَا تَعْتَمِدُونَ فِي ادِّعَاءَاتِكُمْ عَلَى مُسْتَدَدٍ عِلْمِيٍّ ، وَإِنَّمَا تَتَّبِعُونَ الظُّنَّ الْكَاذِبَةَ الَّتِي هِيَ وَهَامٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ .
- 4 . رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى احْتِجَاجِهِمْ بِقَوْلِهِ: { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ } [ الْأَنْعَامُ: 149 ] . أي: شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَمْنَحَكُمْ الْإِخْتِيَارَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ إِجْبَالَكُمْ ، لِأَجْرِكُمْ عَلَى الْهَدَايَةِ ، وَلَمْ يَجْبِرْكُمْ عَلَى الشُّكِّ بِهِ ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ تَبْلُغُ صَمِيمَ الْحَقِيقَةِ ، وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ <sup>(1)</sup> .

### الآيات القرآنية الدالة على حرّية مشيئة الإنسان في اختيار الإيمان أو الكفر:

- 1 . { قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ } [ الْكَهْفُ: 29 ]
- 2 . { إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } [ الْإِنْسَانُ: 29 ]
- 3 . { اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [ قَصَصَتْ: 40 ]
- 4 . { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَبْزُقْ لِعِبَادَةِ الْكُفْرِ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ } .

1 - انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن جنكه الميداني: ص 780 . 781 .

{ لَكُمْ } [ الزمر: 7 ]

أي: إِنَّكُمْ تَمْتَلِكُونَ إِخْتِيَارَ الْإِيمَانِ أَوْ الْكُفْرِ بِمَحْضِ رَادَتِكُمْ ، وَإِنَّكُمْ غَيْرُ مُسَلَّوبِي الْإِرَادَةِ فِي التَّلَبُّسِ بِأَيْهَمَّا شِئْتُمْ .  
فَلَوْ اخْتَرْتُمُ الْكُفْرَ وَكُفَرْتُمْ بِاللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَكِنَّ الْكُفْرَ سَيَقُودُكُمْ إِلَى الشَّرِّ ، وَاللَّهُ يُرِيدُ لَكُمْ الْخَيْرَ ، فَلِهَذَا لَا يَرْضَى اللَّهُ لِعِبَادَةِ الْكُفْرِ .

وَلَوْ اخْتَرْتُمْ سَبِيلَ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ اللَّهَ أَيْضًا غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَكِنَّ هَذَا الشُّكْرَ سَيَقُودُكُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، وَاللَّهُ يُرِيدُ لَكُمْ الْخَيْرَ ، فَلِهَذَا إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ .

وهذا ما يدلّ بصراحة على امتلاك الإنسان الاختيار في سلوكه وتصرفاته .

## معاني أخرى للهداية الإلهية الخاصة

معاني الهداية التي يصح نسبتها إلى الله تعالى :

(2) **المعنى الأول: الإثابة**

1 . قال تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }** [

يونس: 9 ]

فقوله تعالى: **{ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ }** أي: يثيبهم بإيمانهم ويهديهم طريق الجنة<sup>(3)</sup> .

2 . قال تعالى: **{ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يَعْلَمُوا صَدْرَهُمْ يُصَلِّحْ سَبِيلَهُمْ }** [ مُحَمَّدٌ: 4 . 5 ]

فقوله تعالى: **{ سَيَهْدِيهِمْ }** أي: سيثيبهم<sup>(4)</sup> لأنّ الهداية التي تكون بعد قتلهم

---

1 - انظر: حديث حول الجبر والتفويض، عبد الله الموسوي البحراني: مفهوم الجبر والاختيار ، ص 39 .

2- انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج 5، كتاب العدل والمعاد، باب 7، تفسير الآيات ، ص 172 .

3- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1 ، القول في الهدى والضلال، ص 188 .

المسلك في أصول الدين ، المحقق الحلي: النظر الثاني ، البحث الثالث ، ص 91 .

4- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1 ، القول في الهدى والضلال، ص 188 .

الصفحة 355

(1) هي إثابتهم لا محالة .

3 . قال تعالى: **{ فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }** [ الْأَنْعَامُ: 125 ] أي: من يرد الله أن يثيبه بإيمانه وطاعته

التي فعلها، فإنّ الله تعالى يشرح صدره ليطمئن قلبه بالإيمان ويثبت عليه، لأنّ المؤمن إذا انشراح صدره عند قيامه بعمل

عبادي، فإنّ هذا الانشراح سيدفعه إلى مواصلة ذلك العمل والتثبّت عليه<sup>(2)</sup> .

4 . قال تعالى: **{ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }** [ الْبَقَرَةُ: 272 ] أي: ليس عليك يا رسول الله إثابتهم ،

ولكن الله يثيب من يشاء وفق موزين حكمته وعدله<sup>(3)</sup> .

5 . قال تعالى: **{ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }** [ الْقَصَصُ: 56 ]

أي: إنّك يا رسول الله لا تثيب من أحببت، ولكن الإثابة بيد الله تعالى، وأنّه تعالى يثيب وفق مشيئته الحكيمة والعادلة<sup>(4)</sup> .

**المعنى الثاني: إثبات الهداية والحكم بها**

(5)

قد تعني عبارة "هدى الله هؤلاء" أنه تعالى أثبت أنهم مهنتون وحكم عليهم بهذا الوصف .

- 1- انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب7، تفسير الآيات، ص172 .
- 2- انظر: المنفذ من التقليد، سيد الدين الحمصي: ج1 ، القول في الهدى والضلال، ص191 .  
تصحيح اعتقادات الإمامية ، الشيخ المفيد : فصل في الإعادة والمشيمة ، ص51 .  
كشف العواد، العلامة الحلبي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث، المسألة التاسعة، ص436 .  
وقد ورد هذا المعنى في حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) .  
راجع: التوحيد، الشيخ الصدوق: باب 35: باب تفسير الهدى والضلالة، ح4، ص237 .
- 3- انظر: أصول الدين، محمد حسن آل ياسين: العدل الإلهي، ص180 .
- 4- انظر: المصدر السابق .
- 5- انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب 7: تفسير الآيات، ص172 .

الصفحة 356

### المعنى الثالث: الإرشاد إلى الجنة

قال تعالى: **{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا }** [ الكهف: 17 ]

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) حول هذه الآية:

"إنَّ اللهَ تَبْرَكَ وتعالى يضلُّ الظالمينَ يومَ القيامةِ عن دارِ كرامته، ويهدي أهلَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ إلى جنته، كما قال

عزَّ وجلَّ: **{ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ }** [ إِبْرَاهِيمُ: 27 ]

وقال عزَّ وجلَّ: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }** [

يونس: 9 ] ..."<sup>(1)</sup> .

معاني الهداية التي لا يصح نسبتها إلى الله تعالى :

### المعنى الأول: إيصال الإنسان إلى الهداية إجباراً

إنَّ تفسير الهداية الإلهية بمعنى إجبار الله الإنسان على الهداية وحمله عليها بالقسر والغلبة يتنافى مع اختيار الإنسان في

أفعاله ولا ينسجم مع مبدأ التكليف ومبدأ استحقاق الإنسان الثواب والعقاب .<sup>(2)</sup>

### المعنى الثاني: خلق الهداية في الإنسان

لا يصح القول بأنَّ الله تعالى يخلق الهداية في الإنسان من غير أن يكون للإنسان القوة على الامتناع وقد ناقشنا هذا

الموضوع فيما سبق .<sup>(3)</sup>

- 1 - التوحيد ، الشيخ الصدوق: باب 35 ، ح1، ص236 .
- 2 - للزبير راجع الفصل السابع ، المبحث الرابع من هذا الكتاب .
- 3 - راجع: الفصل السابع، المبحث السادس من هذا الكتاب .

الصفحة 357

## المبحث الرابع

### معنى الإضلال

#### معنى الإضلال<sup>(1)</sup> :

- 1 . التغيب: يقال: أضللت الشيء إذا غيبتَه .  
وجاء في القَوَانِ الكَرِيمِ: **{ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى }** [ طه: 52 ] أي: لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء .
- 2 . التضضيع: يقال: أضللتَه إذا ضيَّعته، ويقال: ضلَّتْ ناقتي ، أي: ضاعت ناقتي وتاهت ، ويقال: ضللت الطريق ، أي: ضعت عن الطريق .
- 3 . الهلاك: كقوله تعالى: **{ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }** [ الكهف: 104 ] أي: حبط سعيهم. وكقوله تعالى حكاية عن الدهيين: **{ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ }** [ السجدة: 10 ] أي: إذا هلكتنا في الأرض ومتنا وتفتتت أخواننا أ نخلق خلقاً جديداً<sup>(2)</sup> .
- 4 . النسيان: كقوله تعالى: **{ وَاسْتَشْهَبُوا شُهَيْدِينَ مِّنْ رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِّنَ الشُّهَدَاءِ إِن تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى }** [ البقرة: 282 ] أي: إذا نسيت إحداهما ذكَّرتها الأخرى .
- 5 . وجده ضالاً: يقال: أضللت الشيء إذا وجدته ضالاً، ومنه الحديث: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى قومه فأضلَّهم ، أي: وجدهم ضلالاً غير مهتدين إلى الحقّ .
- 6 . السبب للضلال والدخول فيه: كما جاء في القَوَانِ الكَرِيمِ حول الأصنام:

- 1 - وردت المعاني الستة المذكورة في بداية هذا القسم في: لسان العرب، ابن منظور: مادة (ضلل) .
- 2 - انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: فصل: في الإعادة والمشيمة، ص52 .

الصفحة 358

**{ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ }** [ إِبْرَاهِيمَ: 36 ] أي: ربّ إنّ الأصنام أصبحن سبباً لإضلال الكثير، مع العلم بأنّ الأصنام لا تعقل ولا تفعل شيئاً<sup>(1)</sup> .

7 . إبطال العمل: كقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}** [ مُحَمَّدٌ: 4 ] أي: فلن يبطل الله أعمالهم ، وكقوله تعالى: **{وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}** [ مُحَمَّدٌ: 8 ] أي: أبطل أعمالهم لسوء نواياهم وتلبّسها بالرياء والنفاق<sup>(2)</sup> .

- 1 - انظر: بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5 ، كتاب العدل والمعاد، باب7، ح48، ص208 .
- 2 - انظر: كشف المراد ، العلامة الحلّي: المقصد الثالث، الفصل الثالث ، المسألة التاسعة ، ص436 .  
المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: النظر الثاني ، البحث الثالث، ص91 .

الصفحة 359

## المبحث الخامس

### نسبة إضلال العباد إلى الله تعالى

إنّ إضلال الله لبعض العباد عبثاً عن خذلانهم وتركهم لشأنهم وإيكالهم إلى أنفسهم وسلب التوفيق والعناية والتسديد منهم ، وحرمانهم من الهداية الخاصة .

### مستحقي هذا النوع من الإضلال :

إنّ إضلال الله لبعض العباد يكون وفق مشيئته تعالى ، وإنّ الله تعالى يضل من يشاء .  
ولهذا ورد في القرآن الكريم :

1 . **{ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ }** [ العنكبوت: 27 ]

2 . **{ فَيَضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ }** [ إبراهيم: 4 ]

ولكن لا يخفى بأنّ الله تعالى حكيم ، وهو لا يشاء خرافاً أو عبثاً، وإنما تكون مشيئته وفق حكمته وعدله ، وقد بين الله عزّ وجل في القرآن الكريم مولى مشيئته تعالى في إضلال بعض العباد وحرمانهم من الهداية الخاصة .

### موازين مشيئته تعالى في إضلال العباد وحرمانهم من الهداية الخاصة :

#### وَأُولَئِكَ الْكٰفِر

قال تعالى :

1 . **{ كَذٰلِكَ يَضِلُّ اللّٰهُ الْكٰفِرِيْنَ }** [ غافر: 74 ]

2 . **{ وَاِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ }** [ النحل: 107 ]

3 . **{ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ }** [ البقرة: 264 ]

4 . **{ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كٰذِبٌ كَفّٰرٌ }** [ المؤمن: 3 ]

**ثانياً : الظلم**

قال تعالى :

- 1 . { وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ } [إبراهيم: 27]
- 2 . { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة: 51]
- 3 . { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: 258]

**ثالثاً: الفسق**

قال تعالى :

- 1 . { وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ } [البقرة: 26]
- 2 . { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ } [المائدة: 108]

**رابعاً : الإسراف واللاتياف**

قال تعالى : { كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ } [عافر: 34]

**خامساً : الانحراف عن الحق**

قال تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا زَآغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [الصف: 5]

**سادساً : الاستكبار**

قال تعالى : { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ } [عافر: 35]

معاني الإضلال التي لا يصح نسبتها إلى الله تعالى

المعنى الأول: الإغواء والتوجيه نحو الباطل <sup>(1)</sup> .

الآيات القرآنية المشيرة إلى هذا المعنى من الإضلال :

- 1 . { وَأَضَلُّ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى } [طه: 79]
- 2 . { وَأَضَلَّهُمُ الشَّامِرِيُّ } [طه: 85]
- 3 . { وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا المَجْرُمُونَ } [الشعراء: 99]
- 4 . { رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَوَّارَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } [الأحزاب: 67]
- 5 . { وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوِ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } [آل عمران: 69]

6 . { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } [النساء: 27]

7 . { وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: 60]

8 . { وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا } [يس: 62]

9 . { كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حِوَّانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتَنَا قَلَّ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ } [

الأنعام: 71]

10 . { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ \* كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ

عَذَابِ السَّعِيرِ } [الحج: 4.3]

أي: إن من يتبع الشيطان فإنه يضلّه ، أي: يغويه ويصور له الباطل بصورة الحق ، ويؤين له الانحراف عن المنهج

المستقيم، ويؤينه له ويوصله إلى عذاب السعير عن طريق ما يوسوس له .

1 - انظر: كشف العواد ، العلامة الحلبي: المقصد الثالث ، الفصل الثالث ، المسألة التاسعة ، ص 435 .

المنفذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1 ، القول في الهدى والضلال ، ص 189 .

الصفحة 362

**أدلة عدم صحة نسبة هذا المعنى من الإضلال إلى الله تعالى :**

1 . إن هذا المعنى من الإضلال قبيح ، والله تعالى مؤدّ عن فعل القبيح <sup>(1)</sup> .

2 . إن الله تعالى . كما جاء في الآيات القوانية التي ذكرت آنفاً . ذم إبليس وفوعون والسامري والمجرمين والطغاة على

إضلالهم الناس ، فكيف يصح أن يكون مضلاً للعباد بهذا المعنى الذي ذمّ به هؤلاء ؟

3 . إن من يتصف ترة بالإضلال ويتصف ترة أخرى بالهدى لا يمكن الوثوق بأمره ونهيه ، فتبطل بذلك الشرائع الإلهية،

ولهذا ينبغي تنزيه الله تعالى عن الإضلال بمعنى الإغواء والتوجيه نحو الباطل .

4 . إن هذا المعنى من الإضلال يتنافى مع هداية الله التكوينية والتشريعية للعباد، لأن الله تعالى منح العباد العقول وأرسل

إليهم الأنبياء وأرسل لهم الكتب السماوية، وكان غرضه تعالى من ذلك هداية العباد إلى الحق ، فكيف يصح أن يكون مغواياً لهم

بعد ذلك وهو الذي أراد هدايتهم بولادته التشريعية ؟

قال تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ } [التوبة: 115]

5 . إن الله تعالى نسب الضلال إلى العبد في العديد من آيات كتابه العزيز ، وبين أن العبد لا يضل (أي: لا يتجه نحو

الباطل) إلا نتيجة تمسكه بأسباب الضلال وفعله الاختيلى لما يوجب وقوعه في الضلال .

ومن هذه الآيات القوانية:

1 . { مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } [الإسراء: 15]

2 . { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَأَنَا ضَالٌّ عَلَى نَفْسِي } [ سبأ: 50 ]

3 . { وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

1 - انظر: المصدر السابق: كشف الغراد، ص436، المنقذ من التقليد: ص190 .

الصفحة 363

بَعِيدًا } [ النساء: 136 ]

4 . { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا } [ النساء: 167 ]

5 . { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [ النساء: 116 ]

6 . { وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [ الممتحنة: 1 ]

أي: ومن يتخذ عدو الله ولياً فقد ضل سواء السبيل .

**المعنى الثاني للإضلال الذي لا يصح نسبته إلى الله تعالى: إجبار الإنسان على الضلال:**

وقد ناقشنا أدلة القول بالجبر والودّ عليها فيما سبق <sup>(1)</sup> .

### النتيجة :

يجد المتأمل في آيات القرآن الكريم الوردية حول الهداية والإضلال بأن هذه الآيات تنقسم إلى قسمين :

1 . آيات تبين بأن المشيئة الإلهية مطلقة في الهداية والإضلال ، وأنه تعالى لا سلطان ولا نفوذ لأحد عليه ، وأنه تعالى

يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء . كقوله تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ يَصِلُ مَنْ يُشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يُشَاءُ } [ فاطر: 8 ]

2 . آيات تبين بأن المشيئة الإلهية . التي لا سلطان لأحد عليها . مشيئة عادلة وأن هدايته تعالى واضلّاله لا تتم إلا حسب

مولزين تتسجم مع صفاته الكمالية ، وأنه تعالى لا يضلّ إلا من استحق الضلال ، ولا يهدي أحداً بهدايته الخاصة إلا من

استحق هذه الهداية .

### وجه الجمع بين هذه الآيات :

لا يوجد أي تعارض بين هذين القسمين من الآيات ، ومنتهى القول :

1 - راجع: الفصل السابع، المبحث الرابع والخامس من هذا الكتاب .

الصفحة 364

تبين آيات القسم الأول بأن مشيئة الله تعالى مطلقة ولا سلطان لأحد عليها .

وتبين آيات القسم الثاني بأن مشيئة الله تعالى المطلقة مشيئة عادلة وحكيمة .



## المنهج الصحيح لتفسير هذه الآيات:

إنّ المنهج الصحيح لتفسير الآيات القآنية الولدة حول الهداية والإضلال هو التفسير الموضوعي الذي يتم عن طويقه النظر إلى مجموع النصوص القآنية الولدة في هذا المجال، وربط الآيات بعضها ببعض، وجعل بعضها قوينة للأخرى، والتنسيق بين معانيها من أجل التعرف على مقصود القآن الكريم. وأما الاقتصار على بعض الآيات وإهمال البعض الآخر، فإنه لا ينتج سوى الفهم الخاطيء والابتعاد عن العقيدة التوحيدية النقية.

الصفحة 365

## الفصل الثالث عشر

### الأجل

معنى الأجل

أقسام الأجل

ما يزيد وينقص الأجل

أجل المقتول لو لم يقتل

الصفحة 366

الصفحة 367

## المبحث الأول

### معنى الأجل

معنى الأجل (في اللغة) :

الأجل مدّة الشيء، وغاية الوقت في الموت <sup>(1)</sup> .

معنى الأجل اصطلاحاً :

أجل كلّ كائن حي هو الوقت الذي تنتهي فيه حياته الدنيوية <sup>(2)</sup> .

ملاحظة: ذكرت مصادر هذا الفصل بصورة موجزة في ذيل كلّ صفحة، ويستطيع الراغب للتوسّع أن يجد هذه المصادر

بصورة مفصّلة في نهاية الفصل الرابع عشر .

1 - انظر: لسان العرب، ابن منظور: 1 / 79، مادة (أجل) .

2 - انظر: التوحيد ، الشيخ الصوق: 368 ، تجريد الاعتقاد، نصير الدين الطوسي: 208 ، المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: 111 ، كشف الرواد ، العلامة الحلّي: 461، مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 259 .

الصفحة 368

## المبحث الثاني

### (1) أقسام الأجل

#### 1 . أجل محتوم :

وهو الأجل الذي يعلمه الله تعالى بالنسبة إلى كل كائن حي .  
ولا يخفى بأن العلم الإلهي كاشف عن الواقع الخرجي ، وليس لهذا العلم أي أثر في الخرج ، وإنما هو مجرد انكشاف للأمر والأحداث التي ستقع بأسبابها . وبما أن للإنسان . في بعض الأحيان . دوراً في تحديد أجله أو أجل الآخرين ، فإن الأجل المحتوم سيكون في هذه الحالة عبارة عن علمه تعالى بالأجل الذي يحدده الإنسان لنفسه أو لغوه .

#### آيات قرآنية مشيرة إلى الأجل المحتوم :

{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [ الأعراف: 34 ]

{ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ } [ الحجر: 5 ]

{ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا } [ المنافقون: 11 ]

{ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ } [ فُوح: 4 ]

1 - ورد هذا التقسيم في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال حول أقسام الآجال: " ... هما آجالان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء وأجل محتوم ".  
بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب 4: الآجال، ح9، ص140 .

الصفحة 369

#### 2 . أجل غير محتوم (أجل موقوف) :

وهو الأجل الذي يكون متوقفاً على شرط أو فقدان مانع .  
فإذا تحقق الشرط وفُقد المانع، تمت العلة ، فيتحقق الأجل .  
وإذا لم يتحقق الشرط ولم يفقد المانع ، لم تتم العلة ، فلا يتحقق الأجل .

إنّ للأجل غير المحتوم قابلية للتقدّم والتأخّر، والزيادة والنقصان، ويستطيع الإنسان أن يغيّر أجله عن طريق التمسك ببعض الأسباب التي سنشير إليها لاحقاً .

**آية قرآنية مشورة إلى الأجل غير المحتوم :**

**{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ... } [ الأنعام: 2 ]**

الصفحة 370

### المبحث الثالث

#### ما يزيد وينقص الأجل

يستطيع الإنسان . إلى حد ما . أن يزيد أو ينقص في عموه عن طريق التمسك ببعض الأسباب التي أشرت إليها أحاديث

أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منها :

- 1 . رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أكثر من الطهور يزيد الله في عمرك" <sup>(1)</sup> .
- 2 . الإمام الصادق (عليه السلام): "من حسنت نيّته زيد في عموه" <sup>(2)</sup> .
- 3 . الإمام الصادق (عليه السلام): "يعيش الناس بإحسانهم أكثر مما يعيشون بأعملهم، ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بأجلهم" <sup>(3)</sup> .
- 4 . الإمام الصادق (عليه السلام): "إن أحببت أن يزيد الله في عمرك فسرّ أبويك" <sup>(4)</sup> .
- 5 . الإمام الكاظم (عليه السلام): "من حسن وهّ بإخوانه وأهله مدّ في عموه" <sup>(5)</sup> .
- 6 . الإمام علي (عليه السلام): "صلّ رحمك يزيد الله في عمرك" <sup>(6)</sup> .
- 7 . رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنّ العوّاء ليصلّ رحمه وما بقي من عموه إلا ثلاث سنين، فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة.

وإنّ العوّاء ليقطع رحمه وقد بقي من عموه ثلاث وثلاثون سنة، فيقصوها الله إلى ثلاث سنين

- 1- وسائل الشيعة ، الحر العاملي: ج 1 ، كتاب الطهارة، باب 11 ، باب استحباب الوضوء .. ، ح3، ص383 .
- 2 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج69 ، كتاب الإيمان والكفر، باب38، ح117، ص408 .
- 3 - بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب 4: الأجل، ح7، ص140 .
- 4 - إلهد، الحسين بن سعيد الكوفي: باب5: باب بر الوالدين، ح87 ، ص33 .
- 5 - مستترك الوسائل، ميرزا حسين النوري: ج12 ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أبواب فعل المعروف،

أو أدنى" (1) .

8 . الإمام علي(عليه السلام): "من رآد البقاء ولا بقاء، فليخفف الوداء، وليباكر الغذاء، وليقل مجامعة النساء" (2) .

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج 5، كتاب العدل والمعاد، باب 4: الآجال، ح 12، ص 141 .

2- وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج 24، كتاب الأطعمة والأشربة، باب 112، ح 5 [ 30988 ]، ص 433 .

## المبحث الرابع

### أجل المقتول لو لم يقتل

وأجل الميت بسبب لو لم يميت بذلك السبب

#### المسألة :

إنّ الذي يُقتل هل كان يعيش لو لم يقتل ؟

كما أنّ الذي يموت بسبب كإزالة أو حادث اصطدام أو ... هل كان يعيش لو لم يميت بذلك السبب ؟

#### الرأي الأول :

إنّ المقتول أو الميت بسبب كإزالة أو الغرق أو ... تخرج روحه من جسده بأجله ، ولو لا القتل أو ذلك السبب لمات هذا الشخص لا محالة في نفس ذلك الوقت بصورة أخرى أو بشكل طبيعي ، لأنّ أجله كان في ذلك الوقت فحسب (1) .

#### يرد عليه :

1 . أننا نجد بعض الظلمة يقتلون جمعاً كثواً من الناس في فترة زمنية قصيرة .

ونجد سفينة تغرق فيموت من كان فيها في عدة دقائق .

ولكننا لم نجد بأنّه تعالى أمات مثل هذا الجمع دفعة واحدة .

ومن هنا نستيقن بأنّ هؤلاء الذي قتلوا أو ماتوا بسبب من الأسباب ليس من

انظر: شرح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: 244 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/356 ، كشف  
الواد، العلامة الحلّي: 461، مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 259 ، رشاد الطالبين ، مقدار السيوري: 291 .  
الصفحة 373

الضرورة أن يفلقوا الحياة لولا القتل أو ذلك السبب (1) .  
2 . لو كان المقتول يموت . لا محالة . لولا القتل في نفس وقت قتله ، لم يكن القاتل مسيئاً إلى المقتول ، ولتمكّن القاتل من  
الاحتجاج بأنّ الشخص المقتول إنّما مات بأجله، وأنّه لو لم يقتله لمات هذا الشخص في نفس ذلك الوقت .  
وهذا ما ينكوه العقل بالبداهة، ويحكم العقل بوضوح بأنّه ليس من الضرورة أن يموت المقتول لو لم يقتله القاتل (2) .  
3 . لو كان المقتول يموت . لا محالة . لولا القتل في نفس وقت قتله ، لكان الشخص الذي يذبح شاة غوه من دون إذنه  
محسناً إليه ، لأنّه لو لم يذبحها لماتت ، ولفات الانتفاع بلحمها ، ولكن العقل يحكم بأنّ هذا الذابح غير محسن، وأنّه يستحق  
اللوم والتوبيخ والعقوبة .

ومن هنا نستيقن بأنّنا لا يمكننا أن نقطع بموت الشاة لولا الذبح (3) .  
4 . لو كان المقتول يموت . لا محالة . لو لا القتل في نفس وقت قتله ، لكان القصاص عبثاً، ولم يكن للقصاص أي دور في  
خروج روح المقتص منه، بل كان موت هذا الشخص حين القصاص بأجله ، فلا يكون في القصاص أي فائدة وهذا بخلاف  
قوله تعالى: **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ }** [البقرة: 179]  
ومن هنا نستيقن بأنّ الذي لم يقتل عن طريق القصاص ، فإنّه ليس من الضرورة أن يموت لولا القصاص (4) .

1 - انظر: الاقتصاد، الشيخ الطوسي: 172 ، المسلك في أصول الدين، المحقّق الحلّي: 113 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين  
الحمصي: 1/357، مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 260 .  
2- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/358 .  
3 - انظر: الذخيرة ، الشريف المرتضى: 264 ، الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 171 ، المسلك في أصول الدين، المحقّق  
الحلّي: 113 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1 / 358 ، كشف الواد، العلامة الحلّي: 462، مناهج اليقين، العلامة  
الحلّي: 260 ، رشاد الطالبين ، مقدار السيوري: 291 .  
4- انظر: مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 260 ، رشاد الطالبين ، مقدار السيوري: 292 .

الصفحة 374

## الرأي الثاني :

إنّ المقتول أو الميت بسبب كإزوال أو الغرق أو ... تخرج روحه من جسده نتيجة القتل أو ذلك السبب ، ولولا القتل أو  
ذلك السبب لبقي هذا الشخص حياً لا محالة (1) .

## يرد عليه :

لا يوجد أي دليل معتبر على لزوم بقاء هذا الشخص حيّاً لولا القتل أو الموت بسبب من الأسباب ، لأنّ خروج الروح من الجسد بيد الله تعالى ، ولا يمكن الحتم ببقاء حياة أي شخص في أي وقت .  
ولهذا يحتمل لمن لم يقتل أو يموت بذلك السبب أن يقبض الله روحه في نفس ذلك الوقت (2) .

## الرأي الثالث :

إنّ المقتول يحتمل أن يكون وقت قتله هو انتهاء أجله المقرّر أن يموت فيه ، ويحتمل أن لا يكون ذلك فيعيش لو لم يقتل ، وكذلك الحكم بالنسبة إلى من يموت بسبب من الأسباب ، وهذا الرأي هو الرأي الصحيح (3) .

1 - نسب هذا الرأي إلى جماعة المعتولة البغداديين .

انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/356 ، كشف الرواد، العلامة الحلّي: 461، مناهج اليقين، اليقين ، العلامة الحلّي: 259 ، إرشاد الطالبين، مقداد السيوري: 291 .

2- انظر: الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 172 .

3 - انظر: التوحيد ، الشيخ الصدوق: 368 ، الذخوة، الشريف المرتضى: 263 ، شوح جمل العلم والعمل ، الشريف المرتضى: 244 ، الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 171 ، المسلك في أصول الدين، المحقّق الحلّي: 112 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/356 ، كشف الرواد ، العلامة الحلّي: 461 . 462 ، مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 260 ، إرشاد الطالبين، مقداد السيوري: 292 .

الصفحة 375

## الدليل :

إنّ هذه المسألة لا تخلو من ثلاثة آراء، وحيث ثبت بطلان الرأي الأول والثاني، ثبت صحة هذا الرأي .

الصفحة 376

الصفحة 377

## الفصل الرابع عشر

## الرزق

### معنى الرزق

إطلاق وصف "الوازيق" على الله تعالى وغيره

الرزق والملك

لا يصح تسمية الحوام برزق

أقسام الرزق

طلب الرزق

الرزق والتوكل

الرزق والقسمة

زيادة الرزق

السعر

الصفحة 378

الصفحة 379

## المبحث الأول

### معنى الرزق

معنى الرزق ( باعتباره عنواناً للشيء الذي ينتفع به المرزوق ) :

إنّ الرزق عبارة عن "الشيء" الذي يصح<sup>(1)</sup> انتفاع الكائن الحي به، ولا يكون لأحد<sup>(2)</sup> أن يمنعه من هذا الانتفاع<sup>(3)</sup> .

معنى الرزق ( باعتباره مصوراً لفعل رزق يرزق ) :

إنّ الرزق عبارة عن "تمكين" الكائن الحي من الانتفاع بالشيء الذي يصح الانتفاع به، مع عدم التجويز لأحد أن يمنعه من هذا الانتفاع<sup>(4)</sup> .

مثال :

إنّ معنى قولنا: رزقنا الله مالا، أي: وفرّ الله تعالى لنا هذا المال ، ومكناً من الانتفاع به ، ولم يجوز لأحد أن يغصبه منا

1 - إنّ المقصود من "يصح" بالنسبة للعباد هي الصحة الشوعية، ولهذا لا يسمى الانتفاع بالحوام رزقاً، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً .

2 - إنّ المقصود من "لا يكون لأحد" ، أي: "لا يجوز شوعاً لأحد من العباد" لأن الإنسان قد يخالف الأوامر الإلهية ، فيعتدي على حقوق الآخرين ، ويأكل رزق غوه . وسنذكر المصادر المشورة إلى هذا المعنى لاحقاً .

3 - انظر: الذخوة ، الشويف الموتضى: 267 ، شوح جمل العلم والعمل ، الشويف الموتضى: 245 ، الاقتصاد ، الشيخ

الطوسي: 173 ، تجريد الاعتقاد ، نصير الدين الطوسي: 208 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/361، المسلك في أصول الدين، المحقق الحلّي: 113 ، مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 260 ، اللوامع الإلهية ، مقداد السيوري: 230 ، لرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: 286 .

4- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/361، بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ج70 ، كتاب الإيمان والكفر، باب: 52 ، ذيل ح7، ص145 .

الصفحة 380

### تبيهان :

1 . لا يجوز للإنسان الانتفاع بشيء . وفق المولّين الشوعية . إلا في إحدى الحالتين التاليتين :  
ولألاً: أن يكون مالكا لذلك الشيء، فيجوز له التصرف بملكه والانتفاع منه.  
ثانياً: أن تكون جهة أخرى مالكة لذلك الشيء، ويكون الفود مأثونا في التصرف ومتاحا له الانتفاع بذلك الشيء من قبل المالك .

2 . إنّ الكائنات الحية قاورة على أكل رزق غوها <sup>(1)</sup> .

ولا يعني ذلك التغلب على رادة الله تعالى.

لأنّ معنى "رزق الله فلانا": أنه تعالى هياً له فوصة الحصول على الرزق ، ورشده إلى مصدر الرزق، ومكنه من الانتفاع به .

ولا يعني "رزق الله فلانا": أنه تعالى أجوه على أخذ الرزق ، وأجبر الآخرين على عدم منعه من الانتفاع بما رزقه تعالى .

ولهذا لا يكون أكل رزق الغير تغلباً على رادة الله تعالى ، وانماً يكون ذلك بالنسبة للإنسان معصية فيما لو نهاه الله تعالى عن ذلك <sup>(2)</sup> .

1 - انظر: الذخوة، الشويف الموتضى: 270 ، شرح جمل العلم والعمل ، الشويف الموتضى: 247 ، الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 175 ، غنية النزوع ، ابن زهوة الحلبي: 2/127 ، لرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: 287 .

2 - انظر: الذخوة، الشويف الموتضى: 270 ، غنية النزوع، ابن زهوة الحلبي: 2/127 .

الصفحة 381

### المبحث الثاني

إطلاق وصف "الرزق" على الله تعالى وغوه

(1)



يطلق وصف "الرزق" على كلِّ من :

- 1 . يفعل الرزق .
- 2 . يصبح سبباً لوقوع الرزق .
- 3 . يقوم بتمهيد السبيل وتوفير الأجواء لتحقيق الرزق .

ويطلق هذا الوصف على :

وَأَلَّا: اللهُ سبحانه وتعالى .

ثانياً: غير الله عزَّ وجلَّ .

### إطلاق وصف الرازق على الله تعالى :

- إنَّ الله تعالى هو الذي يرزق الإنسان والحيوان، بل جميع الكائنات الحية بمختلف الأزواق .  
ويطلق وصف الرزقية على الله تعالى وإن لم يكن هو السبب المباشر لتحقيق الرزق .

**دليل ذلك (2) :**

إنَّ الله تعالى هو الذي :

1 - انظر: تقويب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: 140 .

2 - انظر: الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 175 . 176 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/364 ، كشف المراد ،  
العلامة الحلبي: 463 .

الصفحة 382

- 1 . أوجد ما يصح أن تنتفع به هذه الموجودات .
- 2 . مكَّن هذه الموجودات من الانتفاع .
- 3 . جعل الرغبة في هذه الموجودات لتنتفع به .
- 4 . أباح لهذه الموجودات الانتفاع مما يصح لها الانتفاع به .

### إطلاق وصف الرازق على غير الله تعالى :

يصح أن إطلاق وصف "الرزق" على غير الله تعالى ، من قبيل إطلاقه على الإنسان (1) .

**دليل ذلك :**

إنَّ الله عزَّ وجلَّ منح الإنسان القوة على أن يفعل الرزق أو يكون سبباً لتحقيقه ، وقد وصف الله تعالى الإنسان في محكم

كتابه بهذا الوصف قائلاً :

1. **{لَوْلَا تَوَتُّوْا السَّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** [النساء: 5]

2. **{إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** [النساء: 8]

فعبارة: **{ ارزقوهم }** في هاتين الآيتين تدل على صحة وصف الإنسان بأنه يرزق .

3. **{وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ}** [الحج: 58]

4. **{وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ}** [المؤمنون: 72]

فعبارة: **{ الرَّزُقِينَ }** تدل على صحة تسمية غير الله باسم الرزق ، فالله تعالى رزق وغره أ يضار رزق ، ولكن الله تعالى خير الرزقين .

1- الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 175 ، تقويب المعرف ، أبو الصلاح الحلبي: 140 .

الصفحة 383

### الله تعالى هو الرزق على الإطلاق :

إذا وهب شخص لغوه مالا أو طعاماً، وأصبح رزقاً له ، فإن هذا الرزق ينسب أيضاً إلى الله تعالى ، لأنه تعالى . كما بيّننا . هو الموجد لهذا المال أو الطعام، وهو الممكن من الانتفاع به، وهو الذي أعطى اللواهب القفوة على إيصال النفع إلى ذلك الغير<sup>(1)</sup> .

ومن هذا المنطلق ينسب الرزق بصورة مطلقة إلى الله تعالى ، ولهذا قال تعالى :

1. **{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ }** [الذريات: 58]

2. **{ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }** [فاطر: 3]

3. **{ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ }** [سبأ: 24]

4. **{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا }** [هود: 6]

ورود عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حول قول الله تبارك وتعالى: **{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ الْإِوَاهِمِ }**

**{ مُشْرِكُونَ }** [يوسف: 106]

قال (عليه السلام): "هو قول الرجل :

لولا فلان لهلكت

ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا

ولولا فلان لضاع عيالي .

ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه"

فقال الولوي: فنقول: لو لا أنّ الله منّ عليّ بفلان لهلكت؟

فقال (عليه السلام): "نعم، لا بأس بهذا ونحوه"<sup>(2)</sup>.

1 - انظر: الذخوة، الشريفة المروتضى: 271، المنقذ من التقليد، سيد الدين الحمصي: 1/364 .

2 - بحار الأتوار ، العلامة المجلسي: ج5، كتاب العدل والمعاد، باب: 5 : الأرزاق والأسعار ، ح12، ص148 .

الصفحة 384

### شروط صحة وصف الإنسان بالرزق :

يشترط في وصف الإنسان رزقاً أن يكون مختلواً في إيصاله النفع إلى غيره ، وأن لا يأخذ العوض راء ما يعطي .  
ولهذا<sup>(1)</sup> :

1 . لا يقال للمورث: إنّه رزق ، لأنّ الإرث يتم انتقاله منه إلى الورث من دون اختيله ، ويكون ذلك بأمر الله تعالى ، فلا ينسب هذا الرزق إلا إلى الله تعالى .

2 . لا يقال للكافر: إنّه رزق فيما لو غنم المسلم منه غنيمة خلال الحرب ، لأنّ هذه الغنيمة خرجت من يد الكافر من دون اختيله ، وإنّما كانت بأمر الله تعالى ، ولهذا لا ينسب هذا الرزق إلا إلى الله تعالى .

3 . لا يقال للبايع: إنّه رزق ، لأنّه يأخذ أجرته من المشتوي راء ما يبيع .

1- انظر: الاقتصاد ، الشيخ الطوسي: 176 .

الصفحة 385

### المبحث الثالث

#### الرزق والملك

إنّ الرزق بالنسبة للإنسان شيء عام لا يقتصر على الممتلكات فقط، بل يشمل الحياة والعلم والزوجة والولد والجاه و

(1)

...

مثال :

يقال: رزق الله فلاناً علماً وزوجة وولداً وجاهاً و... .

#### النسبة بين الرزق والملك :

إنّ النسبة بين الرزق والملك هي نسبة العموم والخصوص من وجه .

## معنى ذلك :

- 1 . بعض الرزق ملك.
- 2 . بعض الملك رزق.
- 3 . بعض الرزق ليس بملك.
- 4 . بعض الملك ليس برزق.

توضيح ذلك :

- 1 . بعض الرزق ملك .
- 2 . بعض الملك رزق .

مثالهما:

يقال: هذا الشخص مالك لهذا الشيء.

ويقال أيضاً: هذا الشخص رزقه الله تعالى هذا الشيء.

فهذا الشيء ملك ورزق لهذا الشخص في نفس الوقت.

- 3 . بعض الرزق ليس بملك.

1 - انظر: إرشاد الطالبين ، مقداد السيوري: 287 .

الصفحة 386

مثال :

المثال الأول: إنّ بعض الأشياء من قبيل العقل والعلم والصحة والزوجة والولد والجاه هي رزق للإنسان، ولكنها ليست ملكاً

(1)  
له .

فيقال: رزق الله هذا الشخص عقلاً وعلماً وصحةً وزوجةً وولداً وجاهاً ولا يقال: إنّ العقل والعلم والصحة والزوجة والولد

والجاه ملك.

المثال الثاني: إنّ النبات رزق للبهائم، ولكنه ليس ملكاً لها، لأنّ شرط التسمية بالملك أن يكون المالك عاقلاً أو من هو في

(2)  
حكم العقلاء كالطفل، ولهذا لا يصح نسبة الملكية إلى الحيوانات .

فيقال: إنّ البهيمة مرزوقة.

ولا يقال: إنّ البهيمة مالكة.

- 4 . بعض الملك ليس برزق.

مثال:

إنّ الأشياء كلّها ملك لله تعالى، وليست رزقا له تعالى، لأن الرزق ما يصح الانتفاع به، والله تعالى غني، وهو مؤه عن الانتفاع<sup>(3)</sup>.

- 1 - انظر: شوح جمل العلم والعمل، الشويف الموتضى: 246 ، لرشاد الطالبين، مقدار السيوري: 287.
- 2 - انظر: غنية النزوع، ابن زهوه الحلبي: 126 ، كشف العواد، العلامة الحلبي: 463 ، لرشاد الطالبين، مقدار السيوري: 287.
- 3 - انظر: شوح جمل العلم والعمل، الشويف الموتضى: 246 ، الاقتصاد، الشيخ الطوسي: 173 ، غنية النزوع، ابن زهوه الحلبي: 2/126.

الصفحة 387

## المبحث الرابع

### لا يصح تسمية الحرام برزق

#### أدلة عدم صحة تسمية الحرام برزق :

- 1 . إنّ الله تعالى أمرنا بالإنفاق مما رزقنا، فقال تعالى: **{ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ }** [المنافقون: 10]، ولا خلاف بأنّ الله تعالى نهانا عن الإنفاق من الحرام . فهذا يثبت عدم صحّة تسمية الحرام برزق<sup>(1)</sup>.
- 2 . إنّ الله تعالى مدح المؤمنين على إنفاقهم مما يرزقهم، فقال تعالى: **{ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }** [البقرة: 3]، ولا خلاف بأنّ المنفق من الحرام لا يستحق المدح، بل يستحق الذم . وقد بيّنت الشريعة الإسلامية ذلك . وهذا ما يثبت عدم صحّة تسمية الحرام برزق<sup>(2)</sup>.
- 3 . إنّ الله تعالى أباح الانتفاع بالرزق، فقال تعالى: **{ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ }** [البقرة: 60] ، فلو كان الحرام رزقاً، لدلّت هذه الآية على جواز الانتفاع بالأموال المحوّمة لكونها من الرزق، والواقع ليس كذلك . وهذا ما يدل على عدم صحّة وصف الحرام بأنّه من رزق الله تعالى<sup>(3)</sup>.

- 1 - انظر: الذخوة، الشويف الموتضى: 270 ، الاقتصاد، الشيخ الطوسي: 175 ، غنية النزوع، ابن زهوه الحلبي: 2/127 ، المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي 1/363 ، مناهج اليقين، العلامة الحلبي: 261 ، كشف العواد، العلامة الحلبي: 462 ، لرشاد الطالبين، مقدار السيوري: 287 .
- 2 - انظر: تقريب المعرف، أبو الصلاح الحلبي: 139 ، الاقتصاد، الشيخ الطوسي: 175 ، لرشاد الطالبين، مقدار السيوري: 287 .

### رأي الأشاعرة حول تسمية الحوام برزق :

ذهب الأشاعرة إلى جواز تسمية الحوام برزق.

### دليل ذلك :

إذا كان الرزق هو الحلال فقط، فسيكون لأرمله:

إنّ الشخص الذي لم يأكل طول عمره إلاّ الحوام لم يرزقه الله تعالى أبداً.

وهذا باطل لقوله تعالى: **{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}** [هود: 6] <sup>(1)</sup>.

### يرد عليه :

إنّ معنى "رزق الله فلاناً":

إنّ الله تعالى مكنّ هذا الشخص من الانتفاع بما يصح الانتفاع به.

والذي لم يأكل طول عمره إلاّ الحوام، فإنّ الله تعالى قد رزقه، أي: مكنّه من الحلال، إلاّ أنّ هذا الشخص أعرض عما هياً لله تعالى له من حلال، ولم يأكل إلاّ الحوام <sup>(2)</sup>.

1 - انظر: شرح المقاصد، سعدالدين التفتزاني: 4/319.

2 - انظر: المصدر السابق، والمنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/363.

## المبحث الخامس

### أقسام الرزق

ينقسم الرزق إلى قسمين:

1. رزق يتمّ الحصول عليه من بون طلب.

2. رزق لا يتمّ الحصول عليه إلاّ بطلب.

### من أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول أقسام الرزق :

1. قال الإمام علي (عليه السلام)، في وصيته لمحمد بن الحنفية: "يا بني، الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك..." <sup>(1)</sup>.

2. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "الرزق مقسوم على ضويين:

أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه.

والآخر معلق بطلبه.

فالذي قسم للعبد على كل حال، آتية وإن لم يسع له.

والذي قسم له بالسعي، فينبغي له أن يطلبه من وجهه، وهو ما أحله الله له دون غوه، فإن طلبه من جهة الحوام فوجده،  
حُـسب عليه بوزقه وحوسب عليه"<sup>(2)</sup>.

### القسم الأول: الرزق الذي يحصل عليه الإنسان من دون طلب

إنّ هذا القسم من الرزق هو الرزق الذي شاء الله تعالى أن يتمكن الإنسان من الحصول عليه بلا طلب.

1- الفصول المهمة، الشيخ الحرّ العاملي: ج3، أبواب نواذر الكليات، باب 108، ح2 (3140).

2- المصدر السابق: ح1 (3139).

الصفحة 390

ويشمل هذا الرزق :

1 . الهدية والهبة والمواث وغوها من الأزراق التي يحصل عليها الإنسان من دون طلب.

2 . الفوص الموجودة في متناول يد الإنسان للحصول على الرزق، لأنّ هذه الفوص لا تحتاج إلى طلب، بل هي مهياًة،

وليس للإنسان سوى اغتنام هذه الفوص من أجل الحصول على الرزق.

توضيح ذلك :

هياً الله تعالى للإنسان الكثير من فوص الحصول على الرزق، وتتقسم هذه الفوص إلى قسمين وهما:

1 . قد تكون هذه "الفوص" في متناول يد الإنسان بحيث لا يحتاج إلى طلبها والسعي من أجل تهيئتها والحصول عليها.

وهذا الرزق الموجود في هذه الفوص يسمّى بوزق يطلبك.

وليس للإنسان . في هذه الحالة . إلاّ أن يغتتم هذه الفوص المهياًة له من أجل الحصول على الرزق.

2 . قد تكون هذه "الفوص" بعيدة عن متناول يد الإنسان، بحيث يحتاج الإنسان إلى الطلب والسعي من أجل تهيئتها

والحصول عليها.

وهذا الرزق الموجود في هذه الفوص يسمّى بوزق تطلبه، وينبغي للإنسان فيما لو أراد الحصول على هذا الرزق أن يسعى

لتوفير فوصة الحصول عليه.

الأوصاف الواردة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)

حول الرزق الذي يتمّ الحصول عليه من دون طلب

1 . قال الإمام علي(عليه السلام): " ... ورزق يطلبك، فإن لم تأتأه أتاك فلا تحمل همّ سنتك على هم يومك، وكفاك كل يوم

(1)

1- الفصول المهمة، الشيخ الحرّ العاملي، ج3 ، أبواب نواذر الكليات، باب 108 ، ح2 (3140).

الصفحة 391

2 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): " ..واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه...فالذي قسم للعبد على كل حال آتية وإن لم يسع له..."<sup>(1)</sup> .

3 . قال الإمام علي(عليه السلام): " ... ورزق يطلبك ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطله عنك ما قدر لك"<sup>(2)</sup> .

4 . قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): "إنّ الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله"<sup>(3)</sup> .

5 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام): " ... ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرُّ من الموت لأبركه رزقه كما يبركه الموت"<sup>(4)</sup> .

إنّ عبادة "يطلب الرجل" في الحديث السابق، وعبارة "لأبركه رزقه" تبيّن أنّ المقصود من الرزق في هذين الحديثين هو القسم الأوّل من الرزق الذي يطلب الإنسان ويتمّ الحصول عليه من دون سعي، وليس المقصود القسم الثاني من الرزق الذي لا يتمّ الحصول عليه إلاّ بطلب.

### القسم الثاني: الرزق الذي لا يحصل عليه الإنسان إلاّ بطلب

إنّ هذا القسم من الرزق هو الرزق الذي جعل الله تعالى الطلب والسعي سبيلاً للحصول عليه.

### القاعدة العامة :

إنّ النظام الإلهي العام في هذا العالم قائم على جعل الطلب والسعي شرطاً للحصول على الرزق . ولهذا فإنّ الخطوة الأولى المطلوبة للحصول على الرزق هي الطلب والسعي.

1- المصدر السابق: ح1 (3139).

2- المصدر السابق: ج1 ، أبواب أصول الدين، باب 52 : إنّ الله قسم الأرزاق...، ح7 (294).

3- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج77 ، كتاب الروضة، باب7، ص187.

4- المصدر السابق: ج78 ، كتاب الروضة، باب 23 : مواظ الصادق(عليه السلام) ح81 ، ص209.

الصفحة 392



لا يخفى بأنّ هذا القانون يشمل الإنسان وجميع الكائنات الحيّة التي منحها الله تعالى القوّة على طلب الرزق. ولا يشمل هذا القانون الكائنات الحيّة التي لم يمنحها الله تعالى القوّة على طلب الرزق من قبيل الأشجار والنباتات. فالأشجار والنباتات يكون رزقها بيد الله تعالى، وهي تزرق حسب المشيئة الإلهية، ووفق نظام الأسباب الذي جعله الله تعالى في هذا الكون.

## المبحث السادس

### طلب الرزق

تنقسم الكائنات الحيّة بالنسبة إلى قدرتها وعدم قدرتها على طلب الرزق إلى <sup>(1)</sup> :

- 1 . لا يمكنها الطلب: كالنباتات، فيكون رزقها بيد الله تعالى من خلال نظام الأسباب.
- 2 . يمكنها الطلب، ورزقها ينقسم إلى قسمين:
- 1 . لا يتوقّف الرزق على الطلب: كالهواء، فلا معنى للطلب.
- 2 . يتوقّف الرزق على الطلب، وهذا الرزق:
- 1 . يحصل بدون الطلب اتفاقاً: من قبيل الهدية والهبة والمواث ونحوها، فلا معنى للطلب.
- 2 . لا يحصل بدون الطلب: وهذا هو محل البحث.

### أحكام طلب الرزق :

إنّ طلب الرزق ليس له بذاته حُسن أو قبحٌ عقلي أو شرعي، ولكنه يتبع في الحُسن والقبح ما يترتب عليه. فإن ترتب عليه عنوان حسن صار حسناً. وإن ترتب عليه عنوان قبيح صار قبيحاً. ومقتضى الأصل الأولي فيه: هو الإباحة عقلاً وشرعاً <sup>(2)</sup> .

1 - انظر: صواط الحقّ ، محمد آصف المحسني: 2/397.

2 - انظر: إيضاح العواد، علي الوباني الكلبيكاني: 326.



### أحكام طلب الرزق حسب ما يترتب عليه <sup>(1)</sup> :

- 1 . الوجوب: وذلك إذا توقفت حياة الإنسان على هذا الطلب، لأن حفظ الحياة واجب، ومقدمة الواجب واجبة.
- 2 . الاستحباب: وذلك إذا كان هذا الطلب مقدمة لما هو مستحب في نفسه، من قبيل قصد التوسعة على النفس والعيال وخدمة المؤمنين ونحو ذلك.
- 3 . الإباحة: وذلك إذا لم يكن هذا الطلب مقدمة لحرام أو مكروه ولا مقدمة لواجب أو مستحب.
- 4 . الكراهة: وذلك إذا كان هذا الطلب مشتملاً على فعل مكروه أو ترك مستحب أو ما ينبغي التؤة عنه.
- 5 . الحزمة: وذلك إذا كان هذا الطلب مشتملاً على فعل حرام أو ترك واجب.

### من الآيات القرآنية التي حثت على طلب الرزق :

- 1 . { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ } [الملك: 15] .  
أي: إن الله تعالى جعل لكم الأرض منقاداً لتصرفاتكم بحوث وحفر وبناء، فامشوا في جوانبها أو جبالها واكلوا من رزقه <sup>(2)</sup> .
- 2 . { فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } [الجمعة: 10] .  
أي: فانتشروا في الأرض واطلبوا الرزق <sup>(3)</sup> .
- 3 . { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَوَى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } [النحل: 14] .

1 - انظر: تجريد الاعتقاد، نصير الدين الطوسي: 208 ، كشف الغواص، العلامة الحلي: 463 ، إرشاد الطالبين، مقدار السيري: 288.

2 - انظر: تفسير القرآن الكريم ، عبد الله شبر: ذيل آية 15 من سورة الملك.

3- انظر: المصدر السابق، ذيل آية 10 من سورة الجمعة.

- 4 . { وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُؤَاتٍ سَائِغٌ شِوَابِهِ وَهَذَا مَلْحٌ أجاج وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَوَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } [فاطر: 12] .

أي: إن الله تعالى سخر لكم البحر لتلتمسوا الرزق بركوب البحر للتجارة والمسير فيها طلباً للمنافع وما يستخرج منه <sup>(1)</sup> .

من الأحاديث الشريفة التي حثت على طلب الرزق ودمت تركه :

- 1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة".
- 2 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله"<sup>(3)</sup>.
- 3 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال"<sup>(4)</sup>.
- 4 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "... بكرّوا في طلب الرزق واطلبوا الحلال، فإنّ الله عزّ وجلّ سيرزقكم ويعينكم عليه"<sup>(5)</sup>.
- 5 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنّ أصنافاً منّ أمّتي لا يستجاب لهم دعؤهم... رجل يقعد في بيته ويقول: ربّ ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق. فيقول الله عزّ وجلّ: عبدي! ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجورح صحيحة؟..."<sup>(6)</sup>.
- 6 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "ثلاثة يدعون فلا يستجاب لهم: رجل جلس عن طلب الرزق، ثمّ يقول: اللهم ارزقني. يقول الله تعالى: ألم أجعل لك طريقاً إلى الطلب..."<sup>(7)</sup>.

- 1- انظر: التبيان، الشيخ الطوسي: ج 8 ، تفسير سورة فاطر ، آية 12، ص 419 . 420.
- 2- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج 103 ، كتاب العقود والإيقاعات، باب 1، ح 35، ص 9.
- 3- المصدر السابق: ح 59 ص 13.
- 4- الكافي، الكليني: ج 5 ، كتاب المعيشة، باب الحث على الطلب والتعوض للرزق، ح 6، ص 78.
- 5- الكافي، الكليني، ج 5 ، كتاب المعيشة، باب الحث على الطلب والتعوض للرزق، ح 8 ، ص 79.
- 6- المصدر السابق: ج 5، كتاب المعيشة، باب: دخول الصوفية... ، ح 1، ص 67.
- 7- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج 103 ، كتاب العقود والإيقاعات، أبواب المكاسب، باب 1، ح 58، ص 12 . 13.

الصفحة 396

- 7 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "... من الثلاثة الذين دعوا، فلم يستجب لهم دعوة : ... رجل جلس في بيته يسأل الله أن يرزقه، فقال: ألم أجعل لك إلى طلب الرزق سبيلاً، أن تسير في الأرض وتبتغي من فضلي، فودّت عليه دعوته"<sup>(1)</sup>.
- 8 . قال علي بن عبد الغرير: قال [ لي ] أبو عبد الله (عليه السلام): "ما فعل عمر بن مسلم؟". قلت: جعلت فداك، أقبل على العبادة وترك التجارة. فقال: "ويحه أما علم أنّ ترك الطلب لا يستجاب له دعوة. إنّ قوماً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قلت { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } أغلقوا الأبواب، وأقبلوا على العبادة، وقالوا: قد كُفينا.

فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرُسل إليهم، فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟!

قالوا: يارسول الله، تكفل الله عز وجل بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة!

فقال: إنّه من فعل ذلك لم يستجب الله له، عليكم بالطلب.

ثم قال إنّي لأبغض الرجل فاغوا فاه إلى ربه، يقول: لرزقني، ويتوك الطلب" (2).

9 . قال عمر بن يزيد: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل قال: لأقعدن في بيتي ولأصلين ولأصومن ولأعبدن ربي، فأما رزقي فسيأتيني!

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): "هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم" (3).

10 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "رأيت لو أن رجلاً دخل بيته وأغلق بابه، أكان يسقط عليه شيء من السماء؟!!" (4).

11 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "رأيت لو أن رجلاً دخل بيتاً وطين عليه

---

1 - الأماي، الشيخ الطوسي: المجلس السابع والثلاثون، ح1445/24، ص680.

2 - من لا يحضوه الفقيه، الشيخ الصدوق: ج3 ، أبواب القضايا والأحكام، باب 61 : باب التجارة وآدابها وفضلها وفقهها، ح5 [510]، ص119 . 120.

3- الكافي، الكليني: ج5 ، كتاب المعيشة، باب: الحث على الطلب والتعوض للرزق، ح1 ، ص77 .

4- المصدر السابق: ح2 ، ص78 .

---

الصفحة 397

بابه، وقال: رزقي يقول عليّ، كان يكون هذا؟ أما أنه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة" (1).

12 . عن أيوب أخي أديم بياع الهروي قال: كنا جلوساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ أقبل العلاء بن كامل، فجلس قدام أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: أدع الله أن يرزقني في دعوة.

فقال [ له الإمام الصادق (عليه السلام) ]: "لا أدعو لك! أطلب كما أمرك الله عز وجل" (2).

13 . الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): "من طلب الرزق في الدنيا استعفاً عن الناس وتوسيعاً على أهله وتعطفاً على جره لَقَّ الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر" (3).

14 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إن ظننت أو بلغك أن هذا الأمر كائن في غد" (4) ، فلا تدع طلب الرزق، وإن استطعت أن لا تكون كلاً" (5) فأفعل" (6).

**من آداب طلب الرزق: "الإجمال في الطلب"**

(7) ينبغي للشخص الذي يطلب الرزق أن يكون طلبه مؤمناً عما لا يليق، وأن لا يكون كده كذا قأحشا .

وقد ورد هذا المعنى تحت عنوان: "الإجمال في الطلب" في بعض الأحاديث الشريفة منها:

1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "... اتقوا الله واجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء

1- وسائل الشيعة، الشيخ الحرّ العاملي ج 17 ، كتاب التجارة، باب 5 ، ح9، ص28.

2- الكافي، الكليني: ج 5 ، كتاب المعيشة، باب: الحثّ على الطلب والتعوّض للرزق، ح 3 ، ص 78 .

3- المصدر السابق: ح 5 ، ص 78 .

4- أي: أمر القائم(عليه السلام) أو الموت.

5 - الكل: الذي لا يقوم بأمر حياته بل يُلقبها على غوه.

انظر لسان العرب: مادة (كلل).

6- الكافي، الكليني، ج 5 ، كتاب المعيشة، باب الحث على الطلب والتعوّض للرزق، ح 9 ، ص 79 .

7- انظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج70 ، كتاب الإيمان والكفر، باب 47 ، ذيل ح 3 ، ص 96 .

الصفحة 398

(1) من الرزق أن تطلوه بشيء من معصية الله...".

2 . قال الإمام الحسن بن علي(عليهما السلام) لرجل: "يا هذا، لا تجاهد الطلب جهاد المغالب، ولا تتكل على القدر انكّال

المستسلم، فإنّ ابتغاء الفضل من السنة، والإجمال في الطلب من العفة...".<sup>(2)</sup>

3 . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): "ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيق، ودون طلب الحريص

الراضي بديناه المطمئن إليها، ولكن اتول نفسك من ذلك بمتولة المنصف المعفف، ترفع نفسك عن متولة الواهن الضعيف

ونكتسب ما لا بدّ منه...".<sup>(3)</sup>

### تنبيه :

إنّ "الإجمال في طلب الرزق" يعني التوّء عن الأمور القبيحة عند طلب الرزق.

ويقال: الإجمال في الطلب، أي: الاعتدال وعدم الإفراط فيه.<sup>(4)</sup>

ولا يعني "الإجمال في الطلب" التهاون والتكاسل والفتور في طلب الرزق، لأنّ التهاون والتكاسل والفتور أمور مذمومة في

طلب الرزق.

ولهذا قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام): "إذا طلبت الرزق فاطلبه بقوة".<sup>(5)</sup>

1- الكافي، الكليني: ج5، كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب، ح1، ص 80 .

2- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج103 ، كتاب العقود والإيقاعات.

3- الكافي، الكليني: ج5، كتاب المعيشة، باب الإجمال في الطلب، ح8، ص81.

4 - انظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (جمل).

5 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج83، كتاب الصلاة، باب 41: باب النهي عن التكفير ح5، ص327.

الصفحة 399

## المبحث السابع

### الرزق والتوكّل

إنّ المتوكّل على الله تعالى في مجال الرزق هو الذي يعتقد بأنّ الله تعالى "يوفر له الرزق".  
ولا يخفى بأنّ "الطلب" لا ينافي "التوكّل"<sup>(1)</sup>.

لأنّ "توفير الرزق" شيء، و"الحصول على الرزق" شيء آخر.

فالله تبارك وتعالى يوفر للعبد "الرزق"، وأما "الحصول على الرزق" فهو تابع لطلب العبد وسعيه في الحصول على هذا

الرزق.

مثال :

إنّ الله تعالى هو الذي يرزق الطيور، أي: هو الذي "يوفر لها الرزق"، وأما "نفس الحصول على الرزق" فهو يرتبط بطلب

الطيور لذلك.

ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

"لو أنّكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله، لوزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا"<sup>(2)</sup>.

أي: تذهب مبركة لطلب الرزق وهي جائعة، ثمّ تعود في العشي وهي ملأى البطون .

فالطيور متوكّلة، ورزقها بيد الله تعالى، ولكنها مع ذلك لا تتوكّل بطلب الرزق، بل

1- انظر: مناهج اليقين، العلامة الحلّي: 261، إرشاد الطالبين، مقداد السيوري: 290.

2- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج71، كتاب الإيمان والكفر، باب63، ح51، ص151.

الصفحة 400

<sup>(1)</sup> تبذل غاية جهدها في هذا السبيل .

وهذا ما يثبت بأنّ "الطلب" لا ينافي "التوكّل".

### حديث آخر حول التوكّل وطلب الرزق :

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام): "لا تدع طلب الرزق من حلّة، فإنّه عون لك على دينك، واعقل راحلتك

<sup>(2)</sup>

1- انظر: المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: 1/367 ، لرشاد الطالبين، مقداد السبيري: 290.

2 - انظر: الأمالي، الشيخ المفيد: المجلس الثاني والعشرون ، ح1، ص172 .

الصفحة 401

## المبحث الثامن

### الرزق والقسمة

إنّ قسمة الله الأزراق بين العباد على نحوين:

1 . القسمة العامة

2 . القسمة الخاصة

#### معنى القسمة العامة :

تعني قسمة الله الأزراق بين العباد (بمعناها العام):

إنّ الله تعالى وفرّ لجميع العباد العديد من فرص الحصول على الرزق، ثم جعل نظام الأسباب والمسببات سبيلاً ليحصلوا من خلاله على الرزق.

فمن تمسك بالأسباب الموصلة إلى الرزق كان احتمال حصوله على الرزق أكثر ممن يتوكّل هذه الأسباب ويهملها ولا يهتم

بها.

#### معنى القسمة الخاصة :

تعني قسمة الله الأزراق بين العباد (بمعناها الخاص):

إنّ الله تعالى لم يتوكّل نظام الأسباب والمسببات ليعمل كيفما يشاء أو كيفما يحركه العباد، بل قد تتدخل الإرادة الإلهية

الحكيمة، فنتحكّم بمقدار توفير الرزق لبعض العباد أو مقدار منع البعض من الحصول على الرزق.

ولهذا تتدخل الإلهي نواع حكيمة كثرة، منها: اختبار مدى شكر العباد راء الغنى، واختبار مدى صومهم راء الفقر

والحرمان.

الصفحة 402

#### بعض الآيات القرآنية المشيرة إلى القسمة الخاصة :

1 . { اللَّهُ يُبْسِطُ الرُّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُقَدِّرُ لَهُ } [ العنكبوت: 62 ].

2. { إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ } [ سَبَأً: 39 ].

3. { إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حُسَابٍ } [ آل عمران: 37 ].

### تنبيهان :

1 . إنَّ التدخّل الإلهي في تقسيم أرزاق العباد لا يتحقّق على نحو الإعجاز، وانمّا يكون في إطار نظام الأسباب، لأنّ الله تعالى أّبي أن تحوي الأمور إلّا بأسبابها.  
ومن هذا القبيل قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام): "إذا سبّب الله للعبد الرزق في أرض، جعل له فيها حاجة"<sup>(1)</sup>.

2 . لا يستطيع الإنسان الذي بذل غاية الجهد في الحصول على الرزق، ثمّ لم يحصل على ما يريد أن يجزم بأنّ الله تعالى هو السبب في حرمانه، لأنّ السبب قد يكون نتيجة جهله بكيفية استفادته من نظام الأسباب للحصول على الرزق.

### بعض الأحاديث الشريفة الواردة حول القسمة في الرزق :

1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أيّها الناس إنّ الرزق مقسوم، لن يعدو امرؤ ما قسم له، فاجملوا في الطلب"<sup>(2)</sup>.

### معنى الحديث :

أيّها الناس; إنّ الله تعالى وفرّ لكم نطاقاً محدداً من فرص الحصول على الرزق، فعليكم أن تعرفوا الحدود التي أتاحها الله لكم في صعيد كسب الرزق، لئلا تتجاوزوها، فتزهقون أنفسكم من دون فائدة.  
وليكن طلبكم للرزق منسجماً مع ما مكّنكم الله تعالى منه.

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج76، كتاب الآداب والسنن، باب 45، ح 4، ص 221 .

2 - لمصدر السابق: كتاب الروضة، باب 70، ح 10، الحديث الثاني عشر، ص 181.

وليكن طلبكم للرزق متّوناً ومتصقاً بما لا يتنافى مع المروءة.

2 . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام): "من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه، جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، وشنتّ أوهه، ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسم له..."<sup>(1)</sup>.

### معنى الحديث :

إنّ الإنسان مهما يبذل الجهد لطلب الرزق، فإنّه لا يحصل من الرزق إلّا ما مكّنه الله من الحصول عليه، ولهذا ليس للإنسان إلّا الطلب في إطار ما وفرّ الله تعالى له من فرص للحصول على الرزق.



وأما الهم والغم وغيرها من الحالات النفسية السلبية فإنها لا تؤدي إلى زيادة رزق الإنسان، والمتصف بهذه الودائل لا ينال من الدنيا إلا ما قُسم له، أي: لا ينال بطلبه إلا الرزق الذي وفه الله تعالى له.

## رضا الإنسان بما قسم الله له من الرزق :

### 1 . الرضا بالقسمة العامة

إن رضا الإنسان بالقسمة العامة يعني رضاه بنظام الأسباب الذي جعله الله تعالى سبيلا ليحصل الإنسان من خلاله على الرزق، وعدم التذمر والسخط من جعل الله هذا النظام وسيلة للحصول على الرزق.

### 2 . الرضا بالقسمة الخاصة :

إن رضا الإنسان بالقسمة الخاصة يعني: رضاه بتدخل الإرادة الإلهية في بعض الأحيان وتحكمها بمقدار توفير الرزق لبعض العباد أو منعها البعض الآخر من الحصول على الرزق.

### تنبيه :

لا يكون الرضا بقسمة الله تعالى إلا بعد بذل الإنسان الجهد في طلب الرزق، وأما المتهاون والمتكاسل في طلب الرزق، فإنه ينبغي أن لا يلوم إلا نفسه، لأن الله

1 - بحار الأتوار، العلامة المجلسي: ج73، كتاب الإيمان والكفر، باب 122، ح6، ص17.

الصفحة 404

تعالى قد وفر له العديد من فرص الحصول على الرزق، لكنه لم يستفد منها ولم ينتفع بها، فضيغ الفوصة على نفسه بنفسه. فهكذا شخص لا يحق له أن ينسب قلة رزقه إلى الله تعالى.

### بعض الأحاديث الشريفة الواردة حول الرضا بالقسمة :

الحديث الأول :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من لم يرض بما قسم الله له من الرزق، وبث شكواه ولم يصبر ولم يحتسب، لم ترفع له حسنة، ويلق الله وهو عليه غضبان إلا أن يتوب"<sup>(1)</sup>.

### معنى الحديث :

إن الله تعالى جعل لكل إنسان نطاقاً محدداً لطلب الرزق، وليس للإنسان إلا السعي من أجل الانتفاع من جميع الفوص

المتاحة له.

ولا يخفى بأن هذا التحديد لنطاق طلب الرزق يكون نتيجة أحد الأمرين التاليين:

1 . عمل نظام الأسباب والمؤثرات الخرجية المتحكّمة بها، سواء كانت هذه المؤثرات . التي تعمل في ظل مشيئة الله . من ذات الأسباب أو كانت هذه المؤثرات من تدخل العباد بها.

2 . تدخل الإرادة الإلهية بصورة مباشرة.

فمن لم يرض بالنطاق المحدد له في الرزق، فإن معنى ذلك أنه:

**وَأَلا: لم يرض بنظام الأسباب الذي شاءه الله تعالى لهذا العالم.**

**ثانياً: لم يرض بتدخل الإرادة الإلهية في تقسيم الرزق.**

وكلا هذين الأمرين اعتراض على الله تعالى، فيكون عدم الرضا في هذا المجال عدم رضا بالمشيئة والإرادة الإلهية، وهذا الأمر معصية، وينبغي لهذا الشخص أن يتوب من هذه المعصية.

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج72، كتاب الإيمان والكفر، باب 119، ح6، ص329.

الصفحة 405

الحديث الثاني :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "... إن لكل أمرىء رزقا هو يأتيه لا محالة، فمن رضي به يورك له فيه ووسع، ومن لم يرض به لم يورك له فيه ولم يسهه..."<sup>(1)</sup> .

**معنى الحديث :**

إنّ الله تعالى يوفّر لكل إنسان فرصة الحصول على الرزق، وليس للإنسان إلا السعي من أجل الحصول على الرزق الذي وفّاه الله تعالى له.

فمن سعى وطلب الرزق حتّى توصل إليه ، فعليه أن يرضى بما وفّاه الله تعالى له ومكّنه من الحصول عليه، ليبرك الله تعالى له في هذا الرزق، ويوفّر له المزيد من الفوص الأخرى.

ومن لم يرض بالرزق الذي مكّنه الله تعالى منه، فإنّه تعالى سيسلب منه البركة، وسيحومه من الفوص الأخرى لنيل الرزق.

الحديث الثالث :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من رضي من الله باليسير من الرزق، رضي الله منه بالقليل من العمل"<sup>(2)</sup> .

**معنى الحديث :**

إنّ الإنسان قد يسعى . وفق نظام الأسباب . من أجل الحصول على ما وفّاه الله تعالى له من الرزق، ولكنه لا يحصل من الرزق إلا على القليل.

وهنا بيّن الله تعالى الموقف النموذجي لمثل هذا الشخص، وهذا الموقف يكون في الصعيدين التاليين:

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج77، كتاب الروضة، باب7، ح10، الحديث الحادي والثلاثون، ص187.

ولهذا الحديث تكملة ذكرناها في قسم الرزق الذي يتمّ الحصول عليه من دون طلب.

2 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج71، كتاب الإيمان والكفر، باب 86، ح17، ص348.

الصفحة 406

### أولاً: الصعيد السلوكي

ينبغي أن يكون موقف الإنسان في هذا الصعيد مواصلة الطلب والسعي<sup>(1)</sup>، لأنّ السبب في عدم الحصول على الرزق قد لا يكون نتيجة لادة الله تعالى، وإنما يكون نتيجة جهل الإنسان بنظام الأسباب والمسببات.

### ثانياً: الصعيد القلبي

ينبغي أن يكون موقف الإنسان في هذا الصعيد الوضا بالقليل الذي رزقه الله تعالى، لأنّ الوضا في هذا المجال يعني:

1 . الوضا بنظام الأسباب الذي جعله الله تعالى لتمشية الأمور في هذا العالم.

2 . الوضا بالتدخّل الإلهي المحتمل في تحديد الرزق.

وقد وعد الله هذا الشخص . الذي يتوصّل إلى القليل من الرزق بعد بذله الجهد والسعي المطلوب، ثم يكون موقفه الوضا

بهذا القليل . أن يوفق به في محاسبته الأخروية وأن يرضى منه القليل من العمل.

### معنى بعض الآيات الواردة حول الرزق الإلهي :

1 . { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } [الطلاق: 2 . 3].

### معنى الآية :

إنّ أبواب طلب الحلال قد تغلق . لفترة . بوجه الإنسان، وتفتح له من جهة أخرى أبواب الحرام، فتكون هذه الحالة فرصة

يختبر بها الله تعالى مستوى تحفّظ هذا الشخص من الحرام.

وهذه الآية تبيّن العباد بأنّ الله تعالى خلق الأرض بصورة لا تخلو من الرزق

1 - هذا ما أشلرت إليه الأحاديث الشريفة التي حثّت على طلب الرزق وذمّت تركه، وقد ذكرنا جملة من هذه الأحاديث

سابقاً .

الصفحة 407

الحلال، ومن يتق الله يجعل الله له مخرجاً، ويوفّر له الرزق الحلال من حيث لا يتوقع.

ولا يخفى بأنّ "توفير الرزق" . كما تبين سابقاً . لا يعني "إيصاله"، بل معنى ذلك "تمكين" الإنسان من الوصول إليه، أما "الوصول" فهو مرتبط بطلب الإنسان وسعيه واستفادته من النظام السببي الذي خلقه الله تعالى في هذا العالم. وبصورة خاصة، فإنّ الإرادة الإلهية قد تتدخل بصورة مباشرة، وتحرك الأسباب لتجعل مخرجاً لعبادها المتقين، فتوصل إليهم "الرزق" من حيث لا يتوقعون.

2 . { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } [ هُودُ: 6 ].

**معنى الآية :**

إنّ الله تعالى وفرّ في الأرض ما تحتاج إليه الوباب، ومكناً من الانتفاع، وهياً لها أسباب الوصول إلى هذا الرزق، وليس للوباب سوى طلب هذا الرزق، والسعي من أجل الحصول عليه.

3 . { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً بِإِمْلاقٍ نَحْنُ نُرِزِّقُهُمْ وَأَيَّامَكُمْ } [ الإسراء: 31 ].

**معنى الآية :**

لا تقتلوا أولادكم مخافة الفقر والفاقة، لأننا وفوناً لكم ولهم في الأرض الكثير من فوص الحصول على الرزق، وسنهييء لكم ولأولادكم هذه الفوص لتتمكّنوا من الحصول على الرزق، ولهذا فلا داعي لأن تقتلوا أولادكم.

4 . { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَأَيَّامَكُمْ } [ العنكبوت: 60 ].

**معنى الآية :**

إنّ بعض الوباب لا تحمل رزقها، أي: لا تدخّوه ولا تجمععه كما يفعل الإنسان والنمل والفار، فبيّنت هذه الآية بأنّ الله تعالى يوفّر الرزق لجميع هذه الوباب، ويمكنّها من الوصول إلى ما تنتفع به. لأنّ الله تعالى هياً في الأرض الكثير من الفوص للحصول على الرزق، وليس

الصفحة 408

للكائنات الحيّة إلاّ طلب ما وفّه الله تعالى لها.

فإذا كانت الوباب التي لا تدخّر لنفسها الرزق تحصل على رزقها، فكيف بالإنسان الذي أعطاه الله تعالى الكثير من القورات للحصول على الرزق، وجعله قابواً على ادخار الرزق لنفسه ومنحه العقل والفكر لتدبير معاشه؟

5 . { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ } [ النحل: 71 ].

**معنى الآية :**

إنّ الله سبحانه وتعالى جعل نظام الأسباب بحيث تكون فوص الحصول على الرزق متوفّرة للبعض أكثر من البعض الآخر، وهذا ما يؤدّي إلى وجود التفاضل بين العباد في مجال الرزق. وبصورة خاصّة فإنّ الإرادة الإلهية قد تتدخل بصورة مباشرة لتفضلّ بعض العباد على البعض الآخر في الرزق.

## المبحث التاسع

### زيادة الرزق

إنّ للسعي نور كبير في زيادة الرزق.

وقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) : " إنَّ اللهَ قسمَ الأرزاقَ بينَ عبادِهِ وأفضلَ فضلًا كَبُورًا لم يُقسَمه بينَ أحدٍ، قالَ اللهُ : **{وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}** [النساء:32] <sup>(1)</sup> .

وهذا ما يدل على أنّ السعي .ولو على نحو الدعاء - له نور كبير في الحصول على الفضل الإلهي من الرزق الذي لم يقسّمه الله تعالى بين أحد.

#### تنبيهان :

1 . إنَّ السعي في طلب الرزق لا يستتزم زيادة الرزق دائماً، والإنسان قد يسعى، ولكنه لا يحصل على ما يريد.

#### دليل ذلك :

إنَّ السعي لا يشكّل العلةَ التامةَ للحصول على المزيد من الرزق، وذلك لوجود أسباب أخرى لها مدخلية في زيادة الرزق. ولهذا قال الإمام علي(عليه السلام): "كم من متعب نفسه مقتر عليه، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير" <sup>(2)</sup> .

2 . إنَّ قولنا: "إنَّ السعي في طلب الرزق لا يستتزم زيادة في الرزق" لا يعني:

---

1- الفصول المهمة، الشيخ الحر العاملي: ج1 ، أبواب أصول الدين، باب 52، ح4 [291]، ص271.

2- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج103 ، كتاب العقود والإيقاعات، باب 2، ح69، ص35.

أن يتوك الإنسان السعي في طلب الرزق.

#### دليل ذلك :

إنَّ اللهَ تعالى جعل السعي . بصورة عامة . سبيلاً للحصول على الرزق . فإذا سعى الإنسان وأخطأ في نيل ما يبتغيه من الرزق، فعليه أن لا ييأس من الطلب لمجرد فشله مرة واحدة أو عدة مرات، بل ينبغي له أن يجرب الطرق الأخرى حتى يصل . بإذن الله تعالى . إلى ما يبتغيه . ولهذا قال الإمام علي(عليه السلام): "اطلبوا الرزق فإنّه مضمون لطالبه" <sup>(1)</sup> .

## الحرص لا يزيد الرزق :

إنّ الحرص . كما ورد في الحديث الشريف . ليس له أي نور في زيادة الرزق أبداً، ومن هذه الأحاديث:

- 1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنّ الرزق لا يحوّ حريصاً"<sup>(2)</sup> .
- 2 . قال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "... إنّ الرزق لا يسوقه حرص حريص"<sup>(3)</sup> .

## الفرق بين "الحرص" و"السعي" :

إنّ الدعوة إلى عدم "الحرص" لا يعني الدعوة إلى عدم "السعي".

لأنّ "الحرص" و"السعي" مفهومان يختلفان في المعنى.

- فالحرص يعني: شدّة الشّوه والجشع إلى المطلوب<sup>(4)</sup> ، وهو صفة نفسية مذمومة في صعيد طلب الرزق. ولكن السعي يعني: العمل والقصد في الصعيد السلوكي<sup>(5)</sup> وهو شرط من شروط الحصول على الرزق.

- 1- المصدر السابق: ج77 ، كتاب الروضة، باب 15، ح40، ص423.
- 2- المصدر السابق: ج77 ، كتاب الروضة، باب 3، ح4، ص63.
- 3- المصدر السابق: ج75 ، كتاب الروضة، باب 23، ح81 ، ص209 .
- 4 - لسان العرب، ابن منظور: مادة (حرص) ومادة (سعى).
- 5- المصدر السابق .

الصفحة 411

## المؤثّرات في زيادة الرزق :

### وَأولاً: المؤثّرات المادية

إنّ المؤثّرات المادية عبّارة عن التمسكّ بالأسباب المادية من أجل طلب زيادة الرزق. وهذه الأسباب واضحة، وهي من قبيل التجارة وغيرها من الأعمال التي جعلها الله تعالى سبباً للحصول على الرزق.

وقد أشّرت الأحاديث الشريفة إلى أهميّة التجارة ودمّ استتجار النفس للعمل، ومن هذه الأحاديث:

- 1 . قال الإمام علي (عليه السلام): "اتّجروا برك الله لكم، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: الرزق عشوة أجراء، تسعة في التجارة، وواحد في غيرها"<sup>(1)</sup> .

- 2 . روى عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الرجل يتجرّ، وإن هو آجر نفسه أعطى أكثر مما يصيب في تجلّته؟ قال: "لا يؤاجر نفسه، ولكن يسترزق الله عزّ وجلّ ويتجرّ، فإنه إذا آجر نفسه فقد حذر على نفسه الرزق"<sup>(2)</sup> .

### ثانياً: المؤثّرات المعنوية :

إنّ المؤثّات المعنوية عبّارة عن التمسك بالأسباب الغيبية التي ذكرتها الشريعة الإلهية، وبينت بأن التمسك بها يزيد في

الرزق.

ومن الأحاديث الشريفة المبيّنة للأسباب المعنوية المؤثّة في زيادة الرزق<sup>(3)</sup> :

- 1 . "شكر المنعم يزيد في الرزق".
- 2 . "الاستغفار يزيد في الرزق".
- 3 . "قول الحقّ يزيد في الرزق".
- 4 . "طيب الكلام يزيد في الرزق".
- 5 . "أداء الأمانة يزيد في الرزق".

1 - من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج3، ب61 : باب التجارة، ح6 [510] ص120.

2 - عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ج3 ، باب التجارة، ح27 ص201.

3 - راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج76، كتاب الآداب والسنن، باب: 60، ص314 . 319.

الصفحة 412

6 . "صلة الرحم يزيد في الرزق".

7 . "مواساة الأخ في الله عزّ وجلّ يزيد في الرزق".

8 . "الوضوء قبل الطعام يزيد في الرزق".

9 . "البكور في طلب الرزق يزيد في الرزق".

10 . "استولوا الرزق بالصدقة".

الصفحة 413

## المبحث العاشر

(1)  
السعر

(2)  
معنى السعر: تقدير الثمن للشيء المبيع .

(3)  
أقسام السعر :

1 . الوخص: وهو انحطاط السعر عما جرت له العادة.

2 . الغلاء: وهو ارتفاع السعر عما جرت به العادة.

(4)  
المسبّب للوخص والغلاء :

إنَّ المسبَّب للرخص والغلاء قد يكون الله سبحانه وتعالى وقد يكون العباد.  
فإن كان المسبَّب هو الله تعالى، فإنه تعالى لا يفعل إلا ما فيه العدل والحكمة.  
وإن كان المسبَّب هم العباد، فكلّ فؤد يستحق المدح والثواب راء فعله للخير، ويستحق الذم والعقاب راء فعله للشر.

### من الأحاديث الشريفة الدالة على التدخّل الإلهي في مسألة الأسعار :

- 1 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "...إنما السعر إلى الله عزّ وجلّ، يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء" <sup>(5)</sup> .
- 2 . قال علي بن الحسين (عليه السلام): "إنّ الله تبارك وتعالى وكلّ بالسعر ملكا يدبر أمره" <sup>(6)</sup> .

1 - إنّ الداعي لتناول هذا المبحث هو لأنّ السعر قد ينسب إلى الله تعالى، فيكون من أفعاله عزّ وجلّ، فيدخل في موضوع العدل في الأفعال الإلهية.

2-4 ) انظر: المصادر المشوّة إلى مبحث "الأسعار" في نهاية هذا الفصل.

5 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب القضاء والقدر و ... ، ح33 ، ص377 . 378 .

6 - التوحيد، الشيخ الصدوق: باب القضاء والقدر و...: ح34، ص378.

الصفحة 414

### من الأحاديث الشريفة الدالة على دور العباد في مسألة الأسعار :

- 1 . قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) عندما سئل عن الحوّة: "إنما الحوّة أنّ تشوي طعاما وليس في المصر غره فتحتكه ... ولو كان الغلاء في هذا الموضع من الله عزّ وجلّ لما استحق المشوي لجميع طعام المدينة الذم، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يذم العبد على ما يفعله، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "الجالب مرزوق والمحتكر ملعون" <sup>(1)</sup> .
- 2 . نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن التسعير <sup>(2)</sup> ، وهذا ما يكشف قوّة العباد على تغيير الأسعار، فلو لم يكن للعباد أيّ دور في مسألة الأسعار لما نهاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك <sup>(3)</sup> .

1- المصدر السابق: ح36، ص379.

2 - راجع: وسائل الشيعة، الشيخ الحرّ العاملي: كتاب التجارة، باب 30 : باب إنّ المحتكر إذا أزم بالبيع لا يجوز أن يسعر عليه .

3 - انظر: الفصول المهمة، الشيخ الحرّ العاملي، أبواب أصول الدين، باب 54 : إنّ الأسعار بيد الله يزيدا وينقصها إذا شاء وإن كان بعضها من الناس، ص276.

الصفحة 415



مصادر الفصل الثالث عشر والرابع عشر بصورة مفصلة:

- الذخوة في علم الكلام، الشريف المرتضى: الكلام في الآجال: ص 261 . 266 ، الكلام في الأزاق: ص 267 . 273 ،  
الكلام في الأسعار: ص 274 . 275 .
- شوح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى، باب الآجال والأزاق والأسعار: ص 273 . 248 .
- الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد، الشيخ الطوسي: القسم الثاني: مباحث العدل ولو احنة، فصل في الكلام في الآجال والأزاق  
والأسعار: ص 169 . 177 .
- تقريب المعرف، أبو الصلاح الحلبي: مسائل العدل، مسألة في الآجال: ص 138 . 139 ، مسألة في الرزق: ص 139 . 140 ،  
مسألة في الأسعار: ص 140 . 142 .
- تجريد الاعتقاد، نصول الدين الطوسي: المقصد الثالث: في إثبات الصانع وصفاته وآثره، الفصل الثالث: في أفعاله، الأجل،  
الرزق، السعر ص 208 .
- غنية النزوع، ابن زهوه الحلبي: ج 2 ، فصل في الآجال والأزاق والأسعار: ص 123 . 128 .
- المنقذ من التقليد، سديد الدين الحمصي: ج 1 ، القول في الآجال: ص 353 . 360 ، القول في الأزاق: ص 361 . 367 ،  
القول في الأسعار والغلاء والرخص: ص 368 . 370 .
- المسلك في أصول الدين، المحقق الحلبي: النظر الثاني: في أفعاله سبحانه وتعالى، البحث الرابع: في فروع العدل، المطلب  
الثالث: في الآجال والأزاق والأسعار: ص 111 . 114 .
- مناهج اليقين في أصول الدين، العلامة الحلبي: المنهج السادس: في العدل، البحث الثامن في الآجال، ص 259 . 260 ،  
البحث التاسع: في الأزاق والأسعار، ص 260 . 261 .
- كشف المواد في شوح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلبي، المقصد الثالث: في إثبات الصانع تعالى، الفصل الثالث في أفعاله  
تعالى، المسألة (15): في الآجال: ص 461 . 462 ، المسألة (16): في الأزاق، ص 462 . 464 ، المسألة (17): في الأسعار:  
464 . 465 .
- الوامع الالهية في المباحث الكلامية، مقداد السيوري: اللامع التاسع: في الأفعال، المقصد الرابع: فيما تقتضى الحكمة  
وجوبه عليه سبحانه، الفوع الثاني: اللطف، المسألة الرابعة: في توابعه، القسم الثاني: الرزق، ص 230 . 232 ، القسم الثالث:  
السعر: 232 ، القسم الرابع: الأجل، ص 232 . 234 .
- رشاد الطالبين، مقداد السيوري: مباحث العدل، بحث في الأزاق: ص 286 . 290 ، بحث في الآجال: ص 290 . 292 ،  
بحث في الأسعار: 293 . 294 .

## مصادر الكتاب

- 1 . القوان الكريم .
- 2 . الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعوي ، تحقيق: عباس صباغ ، الطبعة الأولى ، 1414 هـ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- 3 . الاحتجاج ، أبو منصور أحمد بن علي الطوسي ، تحقيق: الشيخ إراهيم البهاري والشيخ محمد هادي ، الطبعة الثانية ، 1416 هـ ، دار الأسوة للطباعة والنشر .
- 4 . إحقاق الحق وإرهاق الباطل ، القاضي السيد نور الله الحسيني العرشي التسوي، (ت 1019 ) ، مع تعليقات السيد شهاب الدين الحسيني العرشي النجفي ، من منشورات مكتبة السيد العرشي النجفي ، قم ، إيران .
- 5 . الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرزي ، تحقيق: الدكتور أحمد حجلي السقا ، سلسلة من زات الرزي 11 ، الطبعة الأولى ، 1406 هـ ، مكتبة الكليات الأهوية ، الأهر ، القاوة ، مصر .
- 6 . إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين ، جمال الدين مقداد بن عبد الله السيوري (الفاضل المقداد) تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ، 1405 هـ ، منشورات مكتبة السيد العرشي النجفي، قم ، إيران .
- 7 . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، 2 ج، تحقيق: مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، 1413 هـ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، قم ، إيران .
- 8 . الاعتقادات في دين الإمامية ، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ، تحقيق: غلام رضا المزنوناني، الطبعة الأولى ، 1412 هـ ، المطبعة العلمية ، قم ، إيران .
- 9 . الاعتماد في شوح واجب الاعتقاد، المقداد بن عبد الله السيوري، تحقيق: صفاء الدين البصوي ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران .

- 10 . الإشرارات والتنبيهات (4 ج) ، أبو علي بن سينا ، مع شوح نصير الدين الطوسي ، تحقيق: د. سليمان دنيا، الطبعة الأولى ، 1413 هـ ، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- 11 . إثراق اللاهوت في نقد شوح الياقوت ، السيد عميد الدين أبو عبد الله عبد المطلب بن مجد الدين الحسيني العبيدلي، تحقيق: علي أكبر ضيائي، الطبعة الأولى ، 1423 هـ ، مركز نشر موث مكتوب . طهران ، إيران .
- 12 . أصول الدين ، الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الأولى 1413 هـ ، نشر: مؤسسة قائم آل محمد (عجل الله فوجه)، قم ، إيران .

- 13 . الأصول من الكافي ، الشيخ ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة السادسة ، 1375 هـ . ش، دار الكتب الإسلامية ، طهوان ، إوان .
- 14 . أعيان الشيعة ، السيد محمد الأمين، تحقيق: حسن الأمين ، الطبعة الأولى ، 1403 هـ ، دار التعرف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
- 15 . الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة ، السيد رضي الدين علي بن موسى ابن جعفر بن طولوس ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، 3 ج ، الطبعة الثانية، 1419 هـ ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي .
- 16 . الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد ، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى ، 1399 هـ ، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف ، العراق .
- 17 . الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل ، محاضرات الشيخ جعفر السبحاني ، بقلم: الشيخ حسن محمد مكي العاملي، الطبعة الرابعة، 1413 هـ ، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية .
- 18 . الأمالي ، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، على أكبر الغفري، الطبعة الأولى، 1413 هـ ، ضمن مصنّفات الشيخ المفيد، ج13، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد .
- 19 . الأمالي ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ، 1414 هـ ، نشر: دار الثقافة، قم ، إوان .
- 20 . أوائل المقالات ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان المفيد، تحقيق: الشيخ إواهم الأنصلي، الطبعة الأولى ، 1413، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ، ج4 .
- 
- الصفحة 419
- 21 . الباب الحادي عشر للعلامة الحلّي ، مع شوحه النافع يوم الحشر، لمقداد بن عبد الله السيوري ومفتاح الباب لأبي الفتح بن مخوم الحسيني، تحقيق: د. مهدي محقق ، الطبعة الثالثة ، 1372 هـ ش، انتشارات الآستانة الوضوية المقدسة ، مشهد، إوان .
- 22 . بحار الأنوار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، 110 ج، دار الكتب الإسلامية، طهوان ، إوان .
- 23 . بحر الكلام ، ميمون بن محمد النسفي، الشهير بأبي المعين النسفي ، نواصة وتعليق: د. ولي الدين محمد صالح الوفور ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ دار الوفور للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا .
- 24 . بحوث في الملل والنحل ، الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الثالثة ، 1416 هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ، إوان .
- 25 . بداية المعرف الإلهية في شوح عقائد الإمامية، تأليف: الشيخ محمدرضا المظفر، محاضرات: السيد محسن الخوري ج2، الطبعة الخامسة، 1418 هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة .

- 26 . واهين أصول المعرف الإلهية والعقائد الحقة للإمامية، أبو طالب التجليل، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، مطبعة مهر ، قم ، إوان .
- 27 . تزيخ الطوي، تزيخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إراهيم ، بيروت ، لبنان .
- 28 . التبيان في تفسير القرآن ، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان .
- 29 . تحف العقول عن آل الرسول ، أبو محمد الحسن بن علي الحواني ، الطبعة السادسة، 1417 هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطوعات ، بيروت ، لبنان .
- 30 . تجريد الاعتقاد ، الشيخ نصير الدين الطوسي، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجالي ، الطبعة الأولى ، 1407 هـ ، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي .
- 31 . تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين بركاهي، الطبعة الأولى، 1413 هـ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد (المجلد الخامس ضمن مصنقات الشيخ المفيد).
- 32 . تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، تحقيق: إراهيم
- 
- الصفحة 420
- شمس الدين ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
- 33 . التفسير الكبير ، الفخر الرازي، الطبعة الأولى ، 1415 هـ ، دار إحياء التراث العربي. بيروت ، لبنان .
- 34 . تزيب المعرف، أبو الصلاح تقي بن نجم الحلبي، تحقيق: فرس تروزيان الحسن ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ ، الناشر: المحقق ، قم ، إوان .
- 35 . تكلمة شورق الإلهام، للمولى عبد الرزاق اللاهيجي، محمد المحمدي الجيلاني، الطبعة الأولى 1421 هـ ، مركز انتشرت مكتب الإعلام الإسلامي، قم ، إوان .
- 36 . التوحيد ، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهواني ، الطبعة السابعة، 1422 هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، إوان .
- 37 . كتاب التوحيد ، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. فتح الله خليف .
- 38 . التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته ، تقوراً لدروس السيد كمال الحبيوي ، جواد علي كسار، الطبعة الثالثة، 1424 هـ ، دار فؤاد للطباعة والنشر .
- 39 . توحيد الإمامية، محمد باقر الملكي الميانجي، الطبعة الأولى ، 1415 هـ ، مؤسسة الطباعة والنشر وزلة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهوان ، إوان .

- 40 . تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأروهي (ت 370 هـ)، الطبعة الأولى، 1412 هـ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- 41 . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، الطبعة الرابعة، 1410 هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان .
- 42 . حديث حول الجبر والتفويض، السيد عبد الله السيد حسن الموسوي البهواني المحرقي، الطبعة الأولى، 1406 هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان .
- 43 . حقّ اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر، الطبعة الأولى، 1418 هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان .
- 44 . الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشولري، الطبعة الثالثة، 1401 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

الصفحة 421

- 45 . الخصال، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه، تحقيق: علي أكبر الغفلي، الطبعة الأولى، 1410 هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان .
- 46 . دلائل الصدق، الشيخ محمد حسن المظفر، الطبعة الثانية، 1396 هـ، دار العلم للطباعة . القاهرة، مصر .
- 47 . الذخيرة في علم الكلام، الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، 1411 هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، إيران .
- 48 . النريعة إلى أصول الشريعة، السيد أبو القاسم علي بن الحسين المرتضى علم الهدى، تحقيق: د. أبو القاسم هوجي، (مجلدين)، الطبعة الأولى، 1376 هـ . ش، انتشارات جامعة طهران، طهران، إيران .
- 49 . الرسالة السعدية، العلامة أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف الحلبي (ت 726) تحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، الطبعة الأولى، 1410 هـ، مكتبة السيد الموعشي النجفي، قم، إيران .
- 50 . الوهد، الحسين بن سعيد الكوفي الأهولي، تحقيق: غلامرضا عرفانيان، الطبعة الأولى، 1399 هـ . المطبعة العلمية .
- 51 . شوح الأسماء الحسنى، الملا هادي السيزوري (مجلدين)، مكتبة بصيرتي.
- 52 . شوح الأصول الخمسة، لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين ابن أبي هاشم، تحقيق وتقديم: د. عبدالكريم عثمان، الطبعة الثانية، 1408 هـ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر .
- 53 . شوح جمل العلم والعمل، الشريف علي بن الحسين المرتضى علم الهدى، تحقيق: الشيخ يعقوب الجعوفي الوراغي، الطبعة الثانية، 1419 هـ، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، إيران .

- 54 . شوح العقائد النسفية، سعد الدين التفتلاني، تحقيق: أحمد حجزي السقا، الطبعة الأولى ، 1407 هـ ، مكتبة الكليات  
الأهرية، القاهرة ، مصر .
- 55 . شوح المقاصد، مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتلاني، تحقيق: د . عبدالرحمن عموة، الطبعة الأولى،  
1409 هـ ، منشورات الشريف الوضي، قم ، إيران .
- 56 . الصحيفة السجادية .
- 
- 422 الصفحة
- 57 . صواط الحقّ في المعرف الإسلامية والأصول العقائدية، الشيخ محمد آصف المحسني، الطبعة الثانية ، 1413 هـ ،  
الحركة الإسلامية الأفغانية (القسم الثقافي) قم ، إيران .
- 58 . ضحى الإسلام ، أحمد أمين 3 ج ، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان .
- 59 . العدل الإلهي، الشيخ مرتضى المطهري، ترجمة ، محمد عبدالمنعم الخاقاني، الطبعة الثانية ، 1405 هـ ، الدار  
الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان.
- 60 . العروة الوثقى، السيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، إعداد: السيّد هادي خسرو شاهي، الطبعة الأولى ،  
1417 هـ ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طوان ، إيران .
- 61 . العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبدالرحمن حسن جنكه الميداني، الطبعة الثانية ، 1399 هـ ، دار العلم ، دمشق ، بيروت.
- 62 . علل الشوائع ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الطبعة الأولى 1386 هـ ،  
المكتبة الحيدرية .
- 63 . علم اليقين في أصول الدين، الشيخ محمد بن الموتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني، 2 ج، الطبعة الأولى ،  
1410 هـ ، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان .
- 64 . عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي (4 أجزاء) ، تحقيق: مجتبى الوافي، الطبعة الأولى ، 1403 هـ ، مطبعة  
سيد الشهداء .
- 65 . عيون أخبار الرضا، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، 2 ج، الطبعة  
الأولى ، 1404 هـ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان.
- 66 . غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، السيّد حفوة بن علي بن زهوة الحلبي، 2 ج، تحقيق: الشيخ إراهيم  
البهاوي، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، قم ، إيران .
- 67 . الفوق بين الفوق ، عبد القادر الاسفواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ ،  
المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، لبنان .
- 68 . فصوص الحكم ، الشيخ محيي الدين بن العربي، الطبعة الثانية ، 1409 هـ ، جماعة إحياء

الفلسفة، منشورات مكتبة دار الثقافة، العواق، نيوى.

- 69 . الفصول المهمة في أصول الأئمة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق: محمد ابن محمد الحسين القائيني، الطبعة الأولى ، 1424 هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 70 . الفوائد البهية في شوح عقائد الإمامية، 2 ج ، الشيخ محمد حمود العاملي، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، مركز العزة للدراسات والبحوث .
- 71 . القضاء والقدر، فخرالدين الوري، تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، الطبعة الثانية ، 1414 هـ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان.
- 72 . قواعد العقائد، نصير الدين الطوسي، تحقيق: الشيخ علي الرباني الكلبايكاني، الطبعة الأولى ، 1416 هـ ، لجنة إبرة الحوزة العلمية ، قم ، إيران .
- 73 . القواعد الكلامية، تبحث عن أصول عامة يُعتمد عليها في حل المسائل الكلامية ، الشيخ علي الرباني الكلبايكاني، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، قم، إيران .
- 74 . قواعد العوام في علم الكلام ، كمال الدين ميثم بن علي البجواني (ت 699 )، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ، 1406 هـ ، منشورات مكتبة السيد الموعشي النجفي، قم ، إيران .
- 75 . كشف الفوائد في شوح قواعد العقائد، العلامة الحلّي ، تحقيق وتعليق: الشيخ حسن المكي العاملي، الطبعة الأولى ، 1413 هـ ، دار الصفاة ، بيروت ، لبنان .
- 76 . كشف العواد في شوح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلّي ، تصحيح: الشيخ حسن حسن زادة الآملي، الطبعة التاسعة، 1422 هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، إيران .
- 77 . لسان العرب ، لابن منظور (ت 711 هـ ) ، الطبعة الثالثة ، 1419 هـ ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان.
- 78 . كتاب للمع في الود على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعوي ، تصحيح وتقديم وتعليق: د. حمودة غوابة، المكتبة الأهوية للتراث ، القاهرة ، مصر.
- 79 . اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، جمال الدين مقداد بن عبد الله الأسدي السبوري الحلّي، تحقيق: السيّد محمد علي القاضي الطباطبائي، الطبعة الثانية ، 1422 هـ ، مكتب

الإعلام الإسلامي .

- 80 . مبادئ العربية، رشيد الشوتوني، (4ج)، الطبعة الحادية عشر، 1375 هـ ش، مؤسسة انتشارات دار العلم ، قم ، إيران

- 81 . مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطوسي، (10 أجزاء في 5 مجلدات) ، الطبعة السادسة، 1421 هـ ، انتشارات ناصر خسرو .
- 82 . محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، فخر الدين الوري، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر ، ضمن سلسلة من وثائق الوري (4) .
- 83 . معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى، 1412 هـ ، جامعة المرسين ، قم ، إيران .
- 84 . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الشيخ أبو الحسن الأشعري ، تصحيح: هلموت رينز، الطبعة الثالثة ، 1400 هـ ، النشوات الإسلامية .
- 85 . المسائل والوسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق: د. عبد الإله بن سلمان الأحمدى (ج2)، الطبعة الثانية ، 1416 هـ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
- 86 . مستترك الوسائل ومستنبط المسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطوسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة الأولى ، 1408 هـ ، قم، إيران .
- 87 . المسلك في أصول الدين ، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي ، تحقيق: رضا الأستاذي، الطبعة الأولى ، 1414 هـ ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران .
- 88 . المصطلحات الإسلامية، السيد مرتضى العسكري، جمع وتنظيم: سليم الحسني، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، كلية أصول الدين، بيروت ، لبنان .
- 89 . معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي حسين بن بابويه القمي، تحقيق: علي أكبر الغفلي، الطبعة الرابعة، 1418 هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، إيران .
- 90 . معارف القرآن في معرفة الله ، محمد تقي المصباح، تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، الطبعة الأولى ، 1404 هـ ، دار الهادي للمطبوعات ، قم، إيران .

- 91 . المعجم الوسيط ، قام بإخراجه: إواهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، مجمع اللغة العربية ، الإذرة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، 1410 هـ . 1989 ، دار الدعوة ، مؤسسة الثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، اسطنبول ، تركيا .
- 92 . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإادة، ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى ، 1419 هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .



- 93 . مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني، الطبعة الأولى ، 1412 هـ ، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم ، إيران .
- 94 . الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (مجلدين) ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان .
- 95 . مناهج اليقين في أصول الدين، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي، الطبعة الأولى ، 1416 هـ ، الناشر: المحقق ، مطبعة ملان ، قم ، إيران.
- 96 . من العقيدة إلى الثورة، د. حسن حنفي، سلسلة موقفنا من التراث القديم ، الطبعة الأولى ، 1988، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
- 97 . المنقذ من التقليد (2 ج)، الشيخ سديد الدين محمود الحمصي الوري (المتوفي أوائل القون السابع) ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة .
- 98 . من لا يحضوه الفقيه، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: حسن الموسوي الخراسان، الطبعة الخامسة، 1410 هـ ، دار الكتب الإسلامية .
- 99 . منهاج السنة النبوية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ابن تيمية) تحقيق: محمد رشاد سالم ، دار أحد .
- 100 . كتاب المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي بشوح الشريف علي ابن محمد العرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عمير، 3 ج ، الطبعة الأولى ، 1417 هـ ، دار الجيل ، بيروت، لبنان .
- 101 . المزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الطبعة الخامسة، 1412 هـ ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، إيران .

- 102 . النياقوت في علم الكلام، أبو إسحاق إواهيم بن نوبخت، تحقيق وتقديم: علي أكبر ضيائي، الطبعة الأولى ، 1413 هـ ، مكتبة السيد الموعشي النجفي العامة، قم ، إيران .
- 103 . البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، الشيخ عبد الوهاب الشوانبي، الطبعة الأولى ، 1418 هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان .
- 104 . النافع يوم الحشر في شوح الباب الحادي عشر. العلامة أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف الحلي ، شوح: الفقيه الفاضل المقداد السيوري، الطبعة الثانية ، 1417 هـ ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- 105 . النكت الاعتقادية، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكوي المفيد ، ضمن مصنفات الشيخ المفيد ج10، الطبعة الأولى ، 1413 هـ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد .
- 106 . نهج البلاغة ، وهو مجموعة ما اختره الشريف أبو الحسن محمد الوضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ضبط نصّه وابتكر فهرسه العلمية: د. صبحي الصالح ، الطبعة

الأولى ، 1415 هـ ، دار الأسوة للطباعة والنشر .

107 . نهج الحقّ وكشف الصدق، العلامة الحسن بن يوسف المطهر الحليّ، تعليق: الشيخ عين الله الحسنّي، الطبعة الأولى

، 1407 هـ ، مؤسسة دار الهوة، قم، إيران .

108 . هداية الأمة إلى معرف الأئمة، نظم وشرح: الشيخ أبو جعفر محمّد جواد بن المحسن الخواساني (ت: 1397) ،

الطبعة الأولى ، 1416 هـ ، مؤسسة البعثة ، قم، إيران .

109 . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الفقيه المحدث الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق: مؤسسة آل

البيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث ، الطبعة الثانية ، 1414 هـ ، قم ، إيران .

